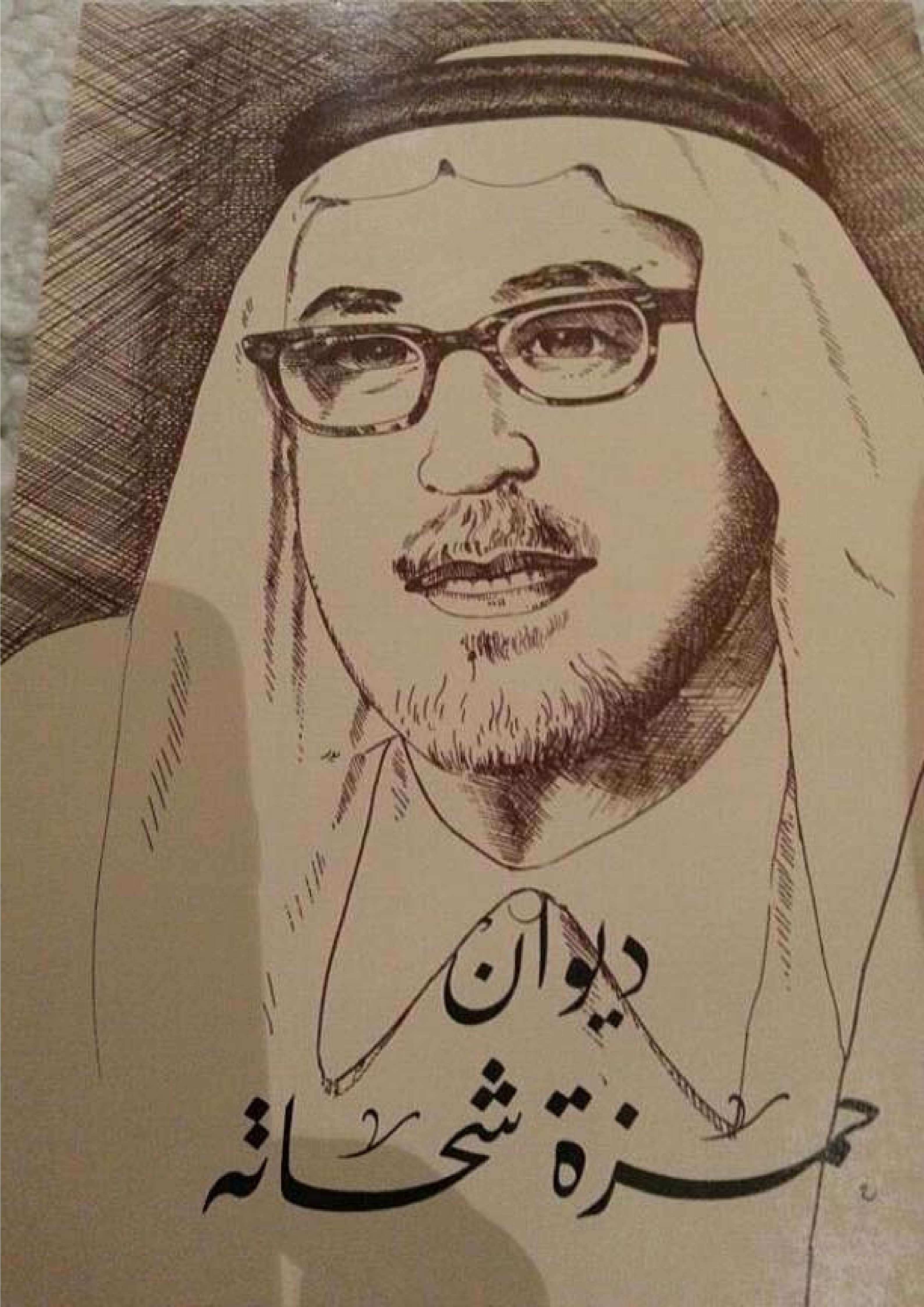
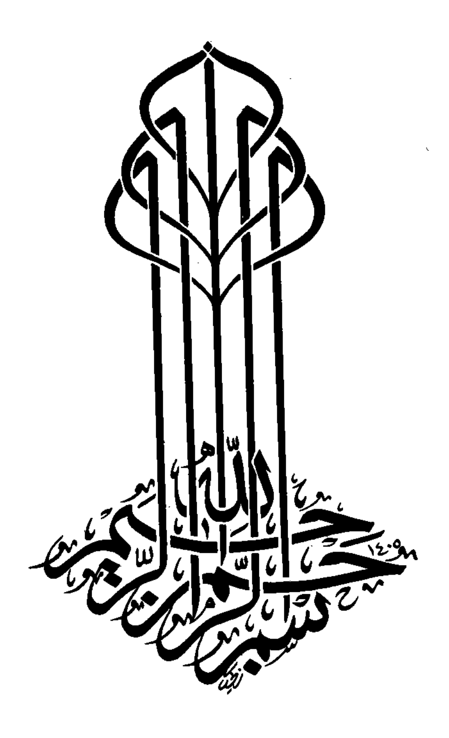

ديوان
حمزة شحاته


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٠٩

هَـذا الدّيــوَان

بقلم الأستاذين
محمد على المغربي وعبد المجيد شبكشي

هذا الديوان ، أو هذه المجموعة الكاملة من شعر الشاعر الكبير الأستاذ حمزة شحاته ؛ يرحمه الله ، مدينة بظهورها إلى النور لصاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، فهو الذي سعى إلى جمع ما تفرّق منها ، ونظم ما تناثر من أوراقها ، لتخرج إلى الناس مجموعة بين دفتي كتاب ؛ وليس هذا بالغريب على كَرَم سموّه ، فاهتمامه بالشعر والأدب ، لا يأتي من فراغ ، وهو الشاعر الرقيق المبدع الذي حاز على جوائز الشعر والأدب ، من داخل المملكة وخارجها .

ونرى لزاماً علينا ، وقد عهد إلينا سموّه بالإشراف على جمع هذه المجموعة ، وإعدادها للنشر ، أن نعرِّف القارئ بالطريقة التي تمَّ بها جمع الديوان ، وتبويبه ، وترتيبه .

كان أول ما اتجهنا إليه في جمعنا للديوان أن تقدمنا إلى سعادة الشيخ محمد نور صلاح جمجوم رجل الأعمال المعروف ، والذي تربطه بالشاعر الراحل صداقة حميمة طويلة ، والذي يحتفظ بمجموعة كبيرة من قصائد الشاعر ، تقدمنا إليه بطلب هذه المجموعة التي يحتفظ بها ، فقدَّمها لنا راضياً ، وكانت هذه المجموعة تمثل شعر الشاعر قبل هجرته إلى مصر ، وكثير منها كان قد نشر في الصحف المحلية في الحجاز ، ويمثّل بعضها الآخر ما نظمه الشاعر في مصر بعد هجرته إليها ، مما يمكن وصفه بالشعر التقليدي الذي يلتزم عمود الشعر العربي وزناً وقافية .

ولابدّ لنا أن نشير إلى أن الشاعر بعد أن طالت إقامته في مهجره بمصر ، ظهرت له قصائد شعرية مما يطلق عليه وصف « الشعر الحديث » ، بعضها يلتزم التفعيلة ، وبعضها يشذّ عنها ، ولم يكن فيما

وجدناه في مجموعة سعادة الشيخ محمد نور جمجوم شيء من هذا « الشعر الحديث » ، رغم أن صلته بالشاعر استمرت إلى حين وفاته .

وعلمنا أن سعادة الدكتور عبد اللطيف صلاح جمجوم يحتفظ بمجموعة من شعر الشاعر ، وبعد اتصالنا به تبيّن أن ما لديه هو نسخ مكررة مما وجدناه لدى سعادة أخيه الشيخ محمد نور جمجوم .

وأن من واجبنا أن نشكر للشيخ محمد نور جمجوم احتفاظه بهذه المجموعة الشعرية السنين الطوال رغم ما يمتلئ به وقته من مشاغل أعماله ، فلقد أسدى للأدب والشعر في بلادنا يداً تذكر له بالثناء والفضل .

وإلى جانب مجموعة الشيخ محمد نور جمجوم ، قدمت السيدة شيرين شحاته ، ابنة الشاعر ، مجموعة أخرى من الشعر ، تضم قصائد قديمة ، كما تضم قصائد الشاعر الجديدة التي نظمها في مصر .

وكانت مهمتنا الأولى هي استعراض كل القصائد التي تجمّعت لدينا ، واستثناء المكرر منها ، ثم تبويبها ، وترتيبها .

وقبل أن نتحدث عن التبويب والترتيب يجب أن نذكر أن مجموعة من قصائد الشاعر طبعت في مصر في نوفمبر ١٩٧٥ م بعنوان (شجون لا تنتهي) ، وهذه المجموعة هي عبارة عن أربع عشرة قصيدة ، لم نستطع إثباتها تحت هذا العنوان ، لأنها تختلف مع الترتيب الذي ارتأيناه للديوان ، وقد كنا وضعنا هذه القصائد في مواضعها التي اخترناها لها ، ولم يضف ديوان (شجون لا تنتهي) إلى المجموعة أيّ جديد ، فالقصائد كلها كانت موجودة ضمن ما تجمّع لدينا من قصائد الشاعر ، بل إن بعضها كان سبق أن نشر في الصحف بزمن طويل .

هناك مجموعة أخرى من قصائد الشاعر جمعها صديقه الأستاذ عبد الحميد مشخص ، وسماها الأستاذ مشخص (رجْع الصَّدَى) ، وقد راجعنا هذه القصائد ، فلم نجد فيها جديداً نضيفه إلى ما لدينا باستثناء قصيدتين : الأولى بعنوان (إلى ابنتي شيرين) ، وهي من الشعر الحديث ، ومطلعها : (يا بنتاه أديري رأسك) ، والثانية بعنوان

(وداع) ، وهي كذلك من « الشعر الحديث » ، ومطلعها : (يا سيدتي قد كان فضولا مني أن أحمل قلبي بين يدى) .

كما تفضل الأستاذ عبد الحميد مشخص فحصل من الأستاذ محمد سعيد بابصيل على المجموعة التي يحتفظ بها من شعر الأستاذ شحاته ، وكذلك الأستاذ محمد سعيد طيب فقد وافانا بمجموعة من شعر ونثر شاعرنا الراحل .

بعد أن تم استعراض كل هذه المجموعات ، رأينا تقسيم شعر الشاعر إلى أربعة أقسام : –

١ – الشعر الوجداني .
٢ – شعر الغزل .
٣ – الملحمة الكبرى .
٤ – شعر المتنوعات .

وقد أدرجنا في الشعر الوجداني كلّ ما نظمه الشاعر من شعر الوجدان ، وما تغلب عليه مسحة التأمل المشوب بأشجان الشاعر وأحلامه ، وأدرجنا في شعر الغزل كل قصائد الشاعر الغزلية ، وما يجري مجراها من فنون .

أما الملحمة الكبرى فقد أدرجنا فيها كل القصائد التي نظمها الشاعر في معركته الشعرية مع الشاعر الراحل الأستاذ محمد حسن عواد ، وأضفنا إليها بعض قصائد الهجاء التي دارت بين الشاعرين – يرحمهما الله – .

وأدرجنا في باب المتنوعات البقية الباقية من شعر الشاعر ، وبعضها يدخل في باب الإخوانيات ، وهى قصائد موجهة إلى أصدقاء الشاعر ، وهي مما نظم في الحجاز قبل هجرته إلى مصر .

وبعضها يمكن أن نطلق عليه عنوان (هموم البيت) ، وفيه يتحدث الشاعر عن أحوال بيته وأسرته ، والبعض الآخر يدخل في باب (الشعر الضاحك) ، وتتخلله بعض الكلمات العامية ، والبعض يدخل في باب (النقد والهجاء) ، ولأن هذه القصائد محدودة العدد فقد أدرجناها جميعاً تحت باب المتنوعات .

أما بالنسبة لترتيب القصائد فقد عمدنا إلى تقديم القديم من القصائد ، ليكون لدى القارئ فكرة عن التسلسل التاريخي لشعر الشاعر ، وقد وجدنا قصائد قليلة جداً سجل فيها الشاعر تاريخ النظم ، فأثبتنا ذلك كما سجله الشاعر ، واعتمدنا في الترتيب تقديم القصائد التي نظمها الشاعر في الحجاز قبل هجرته إلى مصر ، ثم ألحقنا بها القصائد الأخرى التي نظمها في مصر بعد هجرته إليها ، وقدمنا القصائد التي التزم فيها الشاعر بعمود الشعر قافية ووزناً . ثم أتبعنا ذلك بشعره الحديث ، وقدمنا ما التزم فيه الشاعر بالتفعيلة على ما لم يلتزم فيها بها ، واعتمدنا هذا الترتيب في جميع أقسام الديوان .

وأخيراً ، فإن الشاعر لم يكن يضع عناوين لشعره ، والقصائد التي وضعت لها عناوين قليلة جداً ، وقد أثبتناها كما وضعها ، وقد لاحظنا أن العناوين التي وضعها الشاعر لقصائده كانت موجزة أشد الإيجاز ، كان يكتفي بكلمة واحدة لعنوان القصيدة ، فوضعنا العناوين للقصائد الباقية بنفس الأسلوب ، وحرصنا أن يكون العنوان على إيجازه معبراً عن محتوى القصيدة .

وأخيراً ، فإن أغلب ما تجمع لدينا من قصائد الشاعر على اختلاف مصادره كان مكتوباً بخط اليد ، وبعض ذلك بخط الشاعر ، وهو السليم من الأخطاء ، والبعض الآخر قام بنسخه بعض أصدقاء الشاعر ، كما وجدنا بعض القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وكانت الأخطاء في القسمين الأخيرين واضحة ، ونستطيع أن نقول : إن القسم الأكبر من المجموعة قد مضى على كتابته ونسخه السنون الطوال ، وتعرض بحكم التصوير والقدم إلى طمس بعض السطور أو الكلمات ، وقد بذلنا جهدنا في تصحيحه ما وسعنا ذلك .

وقبل أن نختم كلامنا هذا نود أن نشير إلى المعونة القيّمة التي قدمها لنا سعادة الشيخ سالم أسعد نعمان الذي أشرف على نسخ الديوان ، وشارك مشاركة فعالة في ترتيبه وتبويبه ممّا استحق التنويه بهذا الجهد والثناء عليه .. وبالله التوفيـــق.

عبد المجيد شبكشي   محمد علي مغربي

هَـذا الشّـَاعِر

بقلـم الأستاذ
عــزيــز ضيــــاء

في اللحظات التي أوشكت فيها أن أفرغ من قراءة مجموعة القصائد ، التي آن لها أخيراً ، أن تجتمع بين دفتي كتاب يمكن أن يطلق عليه : (ديوان حمزة شحاته) ، وأن تطبع فعلاً على نفقة صاحب السّمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود ، فتتواجد بين أيدى المئات من القراء الذين لا أستكثر أن أقول إنهم فُتنوا ، أو أنهم مفتونون فعلاً ، ليس فقط بشعر الشاعر ، وإنما باسمه الذي قلَّ بين المثقفين من لم يسمع به ... في هذه اللحظات كان أغرب ما يتبلور في ذهني ، هو أن حمزة – رحمه الله – قد تمتّع بشهرة واسعة مستفيضة ، ليس لأنه هذا الشاعر ، الذي يجد القراء اليوم شعرَه بين دفتي هذا الديوان ، وإنما لخصائص أخرى غير الشعر قطعاً ، أو لأسباب ، إن كانت لها علاقة بالشعر ، فلأن بعض هذا الشعر ، ومنه الهجاء ، بينه وبين الأستاذ محمد حسن عواد – رحمه الله – قد ظهر في فترة كان فيها حمزةُ ، الشاعرَ ، والصديقَ ، والعضوَ البارزَ وربما الأهمَّ بين كوكبة من الشباب الذي كان يشق طريقه إلى تلك الآفاق المسحورة أو الساحرة التي كانت تتلامح في حياتنا ، أو هي تسطع كلّما صدر في مصر أو في لبنان كتاب ، لتوفيق الحكيم ، أو الدكتور طه حسين ، أو شبلي شميّل ، أو لطفي السيد ، إلى آخر تلك الأسماء التي توفّر لها من الإبهار في حياة أمثالنا ، ما كان له الفضل في شدِّنا إلى محاولة التحليق في تلك الآفاق . فكان يتاح للقصيدة من شعره – وهو في تقديري أوائل شعره – أن تنتهبها عيون وأذهان هذه الكوكبة من الأصدقاء ... ولعلي لا أثير ذكريات غمرتها رمال الزمان ، إذا قلت إن قصيدته القصيرة التي مطلعها :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق ... عزّ حتى السلام عند التلاقي

كانت تتردد على أذهان المجموعة في هوس أو هلوسة ، لا تكاد تهدأ حتى تثور ، ولعلي لا أنسى أن الأستاذ عبد السلام الساسي – رحمه الله – وكان من المدمنين أو الحريصين على ألا تفوتهم جلسة « المركاز » في رياض المسفلة ، قد حفظ هذه القصيدة – كما يحفظ غيرها – فلا نكاد نجتمع ، ويوضع على المنضدة براد الشاهي ، حتى يردد الساسي أحد أبيات هذه القصيدة مازحاً ، أو مثيراً لشهية الحوار ، فنسمعه يقول :

أنت حر ، والحسن لا يعرف القيـ..........ـدَ ، فصادر حرّيتي وانطلاقي
لم يكن باليسير صبري على عسْـ..........ـفِكَ لو أنني طليق الوثاق

فلا يكاد ينتهي الساسي ، حتى نسمع عبد الله عريف – رحمه الله – يرسلها ضحكة صاخبة قائلا : يعني إيه ؟؟؟ يعني كنت رايح تعمل إيه ؟؟؟ تتضارب معاه ؟

فيلاحقه أحدهم قائلا :

لا ... كان يزيد من وثاقه ... كأن يربطُ نفسَه في روشان المقعد ... عشان يشوفه وهوّه نازل يتمشى في العصر .

وتتلاحق الضحكات ، ليفاجئنا الساسي بسرد قصيدة من أبياتها ذلك البيت :

واهاً لماضٍ أنيقِ اللهوِ كنتُ به	إلى وفائك بالآمال أختلفُ
يجري الحديثُ رموزاً بين أعيننا	يَلينُ مَسراه تاراتٍ ويَعتسفُ
والصّحبُ بالحفلِ مشغولونَ عن بِدَعٍ	تجلو فنونَ جناها الروضةُ الأُنفُ
واليومَ يَثنيك عن داري وقد قَرُبتْ	ما لَفّق الصّحبُ عن سرّي وما اقترفوا

وعند الدار التي قربت ، يدور أشد الحوار صخباً وتعليقات ، ربمّا يداخلها الأستاذ أحمد قنديل رحمه الله ليقول :

ماتزال دارك في جدة ... وأنت هنا ... فكيف قربَت الدار ؟؟

ويجيب آخر :

إنك لا تدري أنه الآن قد نزل داراً في الطريق إلى المركاز .

* * *

ولا أذكر الآن مَنْ مِنْ ذلك الرعيل الذي عايش مركاز المسفلة ، يذكر ذلك المساء الذي ظهرت فيه تلك القصيدة ، التي ما تزال – في تقديري – تعد أروع وأحفل شعره بمعان ، أثارت الكثير الكثير من الحوار والنقاش ، حين وجد من قال إنه متأثر فيها بالشريف الرضيّ ، ومن نفى التأثر كلّيا ، مصرًّا أنها فريدة من فرائد الشعر العربي ، في القرن العشرين ... إنها : التي تظهر في هذا الديوان بعنوان (لِمَ أهواك) ... وهكذا ظهرت ، في المجموعة التي نشرها الأستاذ الساسي رحمه الله ... إنها التي يقول فيها :

يا حبيبي .. يا مُلتقى السّحرِ والفتـ.........ـنةِ ، يا غالبي على أمرِ نفسي
لِمَ كانتْ – ولا أسومُكَ لوماً – قِسْمتي في هواكَ قِسمةُ وَكْسِ
ألأني آثرتُ في حبّكَ القا.........هرِ عزّي ذهبتَ تطلبُ تعسي
أم لأني ضحيّةُ الألمِ الصّا.........متِ أطوي على الجوانح حِسّي

ومنها ذلك البيت الذي يقول فيه :

أمْ لمعنىً شَفَّتْ مفاتنُكَ العَذْ.........بةُ عنه فكادَ أن يَتراءى
فالمعاني في الكونِ ليست على الإنـ.........ـسانِ وَقفاً إلَّا هوًى وادّعاء

وهو بيت ، زعموا يومها أن حمزة ، رحمه الله ، كان ينظر فيه إلى رأي الجاحظ في المعاني ، التي قال إنها لا تميّز شاعراً عن شاعر ، وإنما التمييز والفحولة ، في صياغتها ... في الألفاظ التي تصاغ بها المعاني .

ويبدو أنه لابدّ من وقفة عند هذه القصيدة التي تعدّ من أشهر ما كتب حمزة ، بل قد لا يبالغ من يذهب إلى أنها رائعته الكبرى ، التي ندر أن قرأها قارئ في تلك الأيام ولم تعلق بذهنه بعض أبياتها . والوقفة تحتمها حقيقة أن الأستاذ أحمد قنديل قد ظهرت له في نفس الفترة قصيدتُه التي تُعدّ هي أيضاً من روائعه ، والتي تستوقفك بأنها تحلّق في نفس الأفق الذي تحلق فيه رائعة حمزة .

وُجدَ من ذهب إلى أن القنديل كتب رائعته متأثراً ، إن لم يكن منافساً للأجواء التي حلّق فيها حمزة ، إذ نجد في (لِمَ أهواك ؟) تساؤلاً ، يتدفّق بعده حمزة في شتيت من الصور والمرائي والأفكار ، والرفض لحقيقة ، ثم التناغم مع نفس الحقيقة ، بفكرة أن التناقض طبيعة

المشاعر التي يشعل أتونها الحب ... أو نظرة المحب .

ولا نكاد نمضي مع قصيدة قنديل (ما الذي فيك ؟) حتى نشعر أننا في نفس الأفق التي كنا فيها مع (لِمَ أهواك ؟) ... ونفس الآفاق هنا لا تعني التطابق أو التماثل ، أو حتى التشابه في المعاني والصور ، ... كلا ... وإنما هي آفاق التساؤل .. والحيرة ... والوقفة الذاهلة ، والإلحاح على اكتناه ما وراء المحجوب المستور من معاني الحسن ، كما يزدحم بها إحساس الشاعر .

وأجواء الأستاذ أحمد قنديل في رائعته ، تعايش مكامن الحسن ، وتلتمسها هنا وهناك ، وكأن الشاعر يحلق في أجواء فردوس عبقري ، لا يدري هو نفسه ، كيف يصوّره أو يعكس إحساسه نحو مرائيه .

كلّ ما فيك فاتنٌ ، يَعجز اللفـ.........ـظ إذا رام للذي فيك حلّا
وإذا شاء أن يحددَ معنا.........ك تناهى فما يكاد يُبين

ثم .. تستدرجه مكامن الحسن والحس فيقول :

في البريق الذي يضيءُ بعينيـ.........ـك معانٍ كثيرةٌ لا تُسمَّى
ملؤها السحر والدلال و (شيءٌ) لست أدرى لمعنييه مُسمَّى
فهو نورٌ يَهدي القلوبَ إليه وظلامٌ (يُصيّر العقل أعمى)
كلّما امتد من معانيه ضوءٌ كان قلبي لذلك الضوء مَرمَى
فإذا قلت (ما الذي فيك ؟) - من بعـ.........ـدُ - تراءى هذا الخفيُّ المبينُ

ويسترسل القنديل ، فيقف ، تارة عند هذا الثغر المنسق ... فهو الحياة تأخذ العين ، وتخفى في منتهى شفتيه ، وتارة أخرى عند (الجمال) ككل ... ولكن الحبيب ، يتعالى حتى على هذا الجمال ، إلى أن يقول :

ليس أمر الجمال والود إلّا متعة تنقضي وإلفاً تَغالى
فتنفنّنْ في الظن ، ينكشف الأمـ.........ـر ، فيا طالما تصيب الظنون

ومع أني كنت صديقاً للشاعرين ، ولم يكن عندي ما يمنع أن أسأل كلا منهما عن الذي سبق الآخر في إبداع قصيدته ، فإني رغم تعدد المحاولة ، لم أظفر بجواب حاسم ... ومن هنا يظل التساؤل معلّقا ... وتظل القصيدتان ، تعيش كل منهما حياتها في الأذهان ، رائعة من روائع

الإبداع ، لو قُدّر لهما أن تجدا مجالهما للنشر في العالم العربي – منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان ، لكان من الطبيعي أن تتصدّرا الكثير من الأعمال الفنية ، التي كانت تصطخب بها حركة الإبداع ، في هذا العالم ، ومصر منه خاصة ، التي كنا نتهافت على ما يتسلّل إلينا منها بين الحين والحين .

وليست هاتان القصيدتان ، هما وحدهما ، اللتان ، تشابهتا موضوعاً وآفاقاً ، فهناك قصيدة (جدّة) . لكل من الشاعرين الكبيرين ... والشاعران في القصيدتين عن جدة ، لا يجاري أحدهما الآخر في الوزن أو القافية ، بل ويختلفان في النظرة إلى هذه العروس التي رأياها ، بمشاعر وأحاسيس بالغة الرهف ، بل بالغة الحب ، عروساً قبل أن تتألّق وتتبرج ، وتتيه هذا التيه الذي يكاد يملأ النفوس انبهاراً بها ، وبما تحقق لها من النمو .

نظرة الأستاذ حمزة شحاته إلى جدة ، فيها هذا الخيال الجموح الذي يرى في جدة ، في تلك الأيام (دنيا رفافة بمنى الروح وكون بالمعجزات نطوق) و :

جدّتي أنت عالم الشعر والفتـ.........ـنة يَروي مشاعري ويَروقُ
فإذا أومض الخيال بذكرا.........ك تداعت بعض لبعض يتوق

ويحلق حمزة تحليقا بالغ السموق في إحساسه بجدة حين يقول :

جدّتي ... لا التي يحب الخليو.........ن شقاءٌ عذبٌ وأسرٌ أنيق
وصراع بين الحجا والأماني يطلق الحس تارة ويعوق

ولكم يستوقفنا ، الشاعر ، مع مشاعر التفجع والأسى ، بل والاستنكار حين يقول :

حبذا أنتِ لو وفيتِ وأجملْـ.........ـتِ ، ولم ينتهك لديك الصديق
فوفاء الحبيب أسمى معاني الـ.........ـحسن ، والطهر بالجمال خليق

إلى أن يقول ، في نبرة توجّع ملؤها الحزن :

أكذا أنت للنقائض وِرد يستوي عنده التقى والفسوق
بين من تمنحينهم وُدَّك السا.........ئغ قوم ودادهم ممذوق
من مياسير جاهلين أضاعو ك ، وكلٌّ بما يَشين عَلوق

ومهازيل كالضفادع في الظلـ.........ـمة أقصى ما يستطعن النقيق
قادهم أخرق الخطى للدنايا وهو فيهم بما جناه مسوق
وشباب غراسُه ما زكت فيـ.........ـكِ –ولا غرو– فالغراسُ العروق
لعلعت صرخة النهوض حواليـ.........ـكِ ، وأصواتهم لديك نعيق
هم أسارى مناعم العيش والحـ.........ـق عليهم – مما أذيل حنيق

إلى أن يقول :

لا تلومي على عتابك حرّاً قلبه منك بالجراح شريق
أنا للمجد – والهوى يؤثر العز.........وغيرى لغيره مخلـــــوق

وتختلف نظرة الأستاذ أحمد قنديل إلى جدة ، في هذه القصيدة ، إذ فيها إلى جانب مشاعر الحب والوله ، لمسات من الذكرى ... ذكرى الأمس البعيد ، ومشاعر الانتماء أبناء وجذوراً ، وطفولةً وصبا وشبابا ، والإحساس العميق (والهادئ) بأنها جزء من موطن (ملء القلب) ... وفيها وقفات الوصف المبدع عند الخضم ، الذي يشبهه (بصب على الباب طريح وهي عنه عيوف) .

ويترامى من هو فتقصينه عنك فيرتد ... والمحب ضعيف

وفي قوله (والمحب ضعيف) نوع من النظرة الراثية لهذا المحب ، الذي لا يملك إلا أن يرتد أمام الحسن ، أو أمام الحب ، إلى أن يقول :

هكذا أنت فتنة من كوى الفكـ.........ـر يراك المدلّه المشغوف
ولدى عالم الحقيقة شيء دون هذا لولا هواك العنيف

* * *

وبعد ... فهذه المجموعة من الشعر الذي قدر له أخيراً أن يظهر ديواناً ، كانت بالنسبة لي شخصياً مفاجأة ، إذ كان مما رسّخه الشاعر عندي ، وعند فريق من أصدقائه الشعراء وغير الشعراء أنّه لا يحتفظ بشيء مما يكتب من شعره ... يمزّقه ، أو يتناساه ، فيما يتناسى من مهملات ملفاته وأوراقه ... ولقد عكفت على قراءة معظم قصائد المجموعة ، متوخياً أن ألمس تطور حركة الإبداع عنده ، وإذ وجدت المجموعة ضخمة نسبياً ، قدّرت أنني سأجد شواهدَ هذا التطور فيما لم يسبق أن قرأت من هذا الشعر ، ولكن لست أدرى ، إن كانت

نظرتي إلى مفهوم التطور في الإبداع ، أم توقف حركة التطور في شعر حمزة ، هي التي جعلتني أقول بعد كل قصيدة قرأتها : إن أوائل ما أبدع من شعره في مكة وجدة ، وربما بعد ذلك بفترة قصيرة في مصر ، يظل هو الذي بنى له هذه الشهرة وذيوع الصيت كشاعر في القمة ... وعدم التطور أو وقوف حركة التطور لا تعني بطبيعة الحال أنه هبط عن مستواه ... ولكن لا شك أنه لم يرتفع ، وباستثناء (نفيسة) أو (فتاة بولاق) ، وقصيدة (قالت شجرة لأختها) ، وقصيدة (العجل أبيس) ، لا أجد في جملة ما قرأت ، ما يجعلني أشعر أنه تفوق على نفسه ، أو حتى جاء بمثل الروائع التي عرفت له في بداية حركة إبداعه ، مما سبق أن نشر له في الصحف ، أو فيما عني بنشره الأستاذ عبد السلام الساسي ، رحمه الله .

تلك نظرة ، أعلم أن كثيرين يرفضونها ، إذ للشاعر ذلك الأثر الفتّان ، على كل من سمع عنه ، أو قرأ له روائعه الأولى ... ولكن قد ينبغي ألا أحجم عن أن أقول : إن الشعر لم يكن وحده خصيصة الشاعر الذي استقر في الأذهان عبقرياً من عباقرة هذا البلد في القرن العشرين ، فهو – رحمه الله – طراز فريد في شخصيته ، كمحدث ، يملك أذهان وأسماع مستمعيه ... ، وككاتب أشعر أن نثره ، إنْ لم يكن أقوى من شعره كثيراً ، فإنه النثر الذي تشعر بقوته ، ولا تملك إلاّ أن تستزيد من قراءته ، كما في (المحاضرة) التي ألقاها في جمعية الإسعاف ... وكما في رسائله إلى ابنته (شيرين) ... بل وفي الكثير جداً من رسائله إلى أصدقائه ، وهو ما أرجو أن يتجمّع ، وأن يظهر في كتاب في يوم ما .

وبعد ... فليرحم الله الشاعر الفذّ ، وليغدق عليه من شآبيب رضوانه ... ولعله قد آن الأوان بعد اليوم ، لنسمع ونقرأ آراء النقاد في إبداعه ... وهو ما لابد أن تزدحم به أنهار الصحف ، والفضل في ذلك لليد الكريمة ، يد الشاعر الأمير عبد الله الفيصل ، الذي يعطينا المثال الفذّ ، لرعاية دوحة الأدب والفن ... ولا عجب فهو الأديب الفنّان ، الذي سيأتي اليوم الذي يعكف النقاد على دراسة شعره ، فيما صدر ، وفيما سوف يصدر له ، إن شاء الله .

عزيز ضياء

مَا تمّ عَمله في هَذا الديوَان

بقلـم
الـدكتور بكري شيخ أمين

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد أفصح العرب أجمعين .. وبعد ..

فلقد سَعِدتُ يوم كُلِّفتُ بالإشراف على ديوان الشّاعر الكبير المرحوم حمزة شحاته ، وإعداد ما يلزم من نواح علميّة أو فنّية لإخراجه إلى النّاس على الصّورة الطيّبة المقبولة .

وكان من أسباب سعادتي أنّ هذا الدّيوان يَخرج بهذا التّكامل لأول مرّة ، وأنّ العلماء والأدباء والمثقّفين في قلب المملكة العربيّة السعودية وخارجَها ، سيتلقّفون الديوان ، ولسوف يَنْكَبّ فريق من الباحثين على دراسته ، وقد يكون موضوعاً لعدد من الدّراسات العليا في الجامعات المختلفة .

إضافة إلى ذلك ، فإن الشّاعر حمزة لم يكن بالشّاعر الهيّن ، أو الليّن ، أو الضّعيف ، وإنما كان يملأ السّاحة الأدبيّة في أيّامه ، يُصاول ويُجاول ، ويُصالح ويُخاصم ، ويقف كالطَّود في كثير من القضايا ، وأمام عديد من النّاس ، حتّى لَيَصدُق فيه قول القدماء عن أبي الطيّب : (مَلأ الدّنيا وشَغَل النّاس) .

ولقد يظنّ كثير ممن لا يعرفون هذا الشاعر حقّ المعرفة أنّ شعره شبيهٌ بما نُحِتَ على الشّراع الحجريّ المنصوب على جانب من شواطىء (كورنيش) الحمراء بمدينة جدة ، فيه السّهولة والسّلاسة والحلاوة ، حتى لَكَأنّه شِعر البُحتري أو الشريف الرَّضِيّ .. من تلك الأبيات قوله في جدة :

النُّهى بين شاطِئَيْكِ غَريقٌ   والهَوَى فيكِ حالِمٌ ما يُفيقُ
ورُؤى الحُبِّ في رِحابِكِ شَتّى   يَسْتَفِزُّ الأسيرَ منها الطَّليقُ
ومَغانِيكِ ، في النّفوسِ الصَّدِيَّا...ـتِ إلى رَيِّها المَنيعِ رَحيقُ
إيهِ ! يا فتنةَ الحياةِ لِصَبٍّ   عَهدُهُ في هواكِ عَهدٌ وَثيقُ
كمْ يَكُرُّ الزَّمانُ ، مُتَّئِدَ الخَطْـ...ـوِ ، وغُصْنُ الصِّبا عليكِ وَريقُ
ويَذوبُ الجَمالُ في لَهَبِ الحُبِّ...إذا آبَ ، وَهْوَ فيكِ غَريقُ
جدَّتي ! أنتِ عالَمُ الشِّعرِ والفِتْـ...ـنَةِ ، يَرْوِي مَشاعِرِي ، وَيَرُوقُ

لكنَّ الحقيقة تختلف عن هذا ، فبَيْنا تَجدُه في قصيدةٍ مُنساباً ، مُتَرَقرِقاً ، واضحاً ، إذا هو في أخرى معقَّد ، غامِضٌ ، ميّالٌ إلى اللّفظ الغريب ، والمعنى الغامض ، والتركيب المتعاظِل .

لهذا ، فإنّ شعرَ حمزة شحاته لا يمكن أن يُقرَأ بسرعة ، ولابدَّ من التوقُّف بين الحين والآخر ، وإعادة القراءة – أحياناً – مَرّة بعد مرّة ، ليتّضحَ المُراد ، ويَترابطَ الموضوع ، وبدون ذلك يَبقى المقروء في عالم الغموض والإبهام .

من هذا الجانب كان الدّيوانُ بحاجة إلى جُهد ، ومراجعة ، وتأمّل ، وإعادة نظر ، وشرح ، وإتقان في الطبع ، ليمكن الإفادة منه ، وبدون ذلك نكون قد ظَلَمْنا الشّاعرَ والقارئَ .

كان في النّسخة المعتَمَدة للطباعة غيرُ قليل من أوهام نحويّة وإملائية وتطبيعية .. وكان أمرُ تصحيحها سهلاً يسيراً .

أمّا التّصحيف ، والكلماتُ المحرَّفة ، أو غيرُ الواضحة ، فكانت كثيرة – إلى حدّ ما – .

ويبدو أنّ ذلك أمرٌ عاديّ وطبيعيّ ، فبعض هذه القصائد أُخِذَ من الصّحف أو المجلات ، ووجود مثل هذه الهنات مألوف ، ومعضِلةٌ مزمِنَة ، وداءٌ قديم وعَرِيق .

ولقد أعان الأخُ المفضال الشيخ محمد علي مغربي على توضيح عددٍ منها ، وراجَعَ معي الأصولَ المختلفة التي بين يديه في أكثرَ من جَلسة ، وأكثرَ من لقاء .

ومع ذلك فقد كان في النسخة التي بين يديَّ عدد من الألفاظ ، يقل عن المائة بقليل ، يحتاج إلى تقليب نظر ، وتدقيق ، كما يحتاج إلى تأمل طويل ، ليمكِنَ فَهْمُه ورَبْطُه في سياق ما جاوره من ألفاظ ، وما ارتبط به من معان ، وحاولت – قَدْر الإمكان – أن أجتهدَ ، وأصلَ فيه إلى أقرب الحلول ، وأصحّها – من وِجهة نظري – وكان معظم تلك الألفاظ قد أصابها التّصحيف ، أو التّطبيع ، – في غالب الظن – من ذلك مثلا : (أشعاري) صحّفت إلى (أسفاري) ، و (الوجد) إلى (الوجه) ، و (وصله) إلى (مصله) ، و (مزقوا) إلى (فرقوا) ، و (ترامى) إلى (تراخى) ، و (فزعت) إلى (قرعت) ، و (شأو) إلى (شأن) ، و (اعبثي) إلى (اعتبي) ، و (يعيب) إلى (يغيب) ، وهكذا .. ومثل هذا يحتاج إلى أناة ، وتَبَصُّر قبل الإقدام على أقل تصحيح أو تصويب .

الأمر الآخر هو أن الشاعر كان – على ما أظنّ – يغوص في المعجم ، ويستخرج في أحيان كثيرة ألفاظاً غيرَ متداولة ، يصعب فهمها على القارئ المتوسط ، وتحتاج إلى شرح وإيضاح ، وبدون ذلك يبقى المعنى غيرَ مفهوم .. وكان القاموس المحيط وصحاح الجوهري ، ولسان العرب ، والمعجم الوسيط وسيلتي لهذا الشرح في الحاشية .

وهنا لابدَّ لي من الإشارة إلى أن بعض قصائده الهازلة ، أورد فيها عشرات المفردات غير الفصيحة ، منها ما يرتدّ إلى أصل هنديّ ، ومنها ما يرجع إلى أصل إنكليزي ، ومنها ما هو عاميّ محليّ ، أو مصريّ ، ومنها ما هو من اختراع الشّاعر ، كما فعل بَشّار في غَزَل حماره فاخترع (خَدَّ الشَّيْفَران) . وكان الأخ العالم الأستاذ المغربي خيرَ عَوْنٍ على شرح هذه الكلمات .

أضف إلى ذلك أنَّ الشّاعر – رحمه الله – كان – على ما يبدو – عريضَ الثّقافة ، واسعَ الاطّلاع ، كثيرَ القراءات .. فأنتَ تجد في شعره إشاراتٍ إلى بعض مناحي الأدب وتاريخه ، وإشارات إلى أساطير شتَّى يونانيّة ، ورومانيّة ، وفرعونيّة ، وإشارات إلى كتب وكُتَّاب من مختلف بلاد العالم من مثل كتاب اللامنتمي ، والكاتب كولن ولسون ، وغير ذلك .. وكان مرجعي في هذه الإشارات موسوعة المَوْرِد ، والموسوعة الميسَّرة ، وتاريخ الحضارة لِدْيُورَانْتْ .

وتقضي الأمانة العلميّة أن أشير إلى أن كثيراً من الأبيات لم تكن مقسَّمه الشَّطرين تقسيماً عروضيّاً سليماً . فلقد تجد – أحياناً – شطراً فيه تفعيلات أكثر ، أو أقلّ ، ممّا في الشّطر الآخر ، أو تجد بيتاً يختلف في عدد تفعيلاته عن سائر أبيات القصيدة أو المقطوعة ، ولقد حرصت على إعادة التّوازن العروضيّ بين الشّطرين من جهة ، والإشارة في الحاشية إلى زيادة التفعيلات أو نقصانها .

أمّا موضوع ضبط الكلمات وتشكيلها فقد آثرت أن أضبط ما يُشْكِلُ على القارئ – بوجهٍ عامّ – وما يُسَهّل عليه القراءة ، والفهمَ وراء ذلك ، ولم أضبط الكلمة كاملة ، كما هو الأمر في القرآن الكريم وكثير من كتب الحديث النبويّ ، لِظني أنّ الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التّشكيل ، وكانت إشارات التَّرقيم التي وضعتُها عوناً آخر – في اعتقادي – على الوصول إلى فهم المعنى والقراءة الصَّحيحة .

واستكمالاً للعمل ، قمتُ بنفسي بمراجعة التجارب (البروفات) للديوان ، خلال مراحل الطَّبع المختلفة ، للاطمئنان على سلامة النّصوص ، لِتخرجَ كما تركها الشّاعر الراحل حمزة شحاته – قَدْرَ الإمكان – .

وفي الختام : لا أدّعي أنّ عملي في هذا الديوان جاء مستكمِلاً لأسباب التّحقيق والتوثيق العلميَّينِ لِتَعلّات جئتُ على بعضها فيما تقدَّم ، ولأنَّ النَّقص من صفات البَشَر ، فالله ، سبحانه وتعالى ، أبى

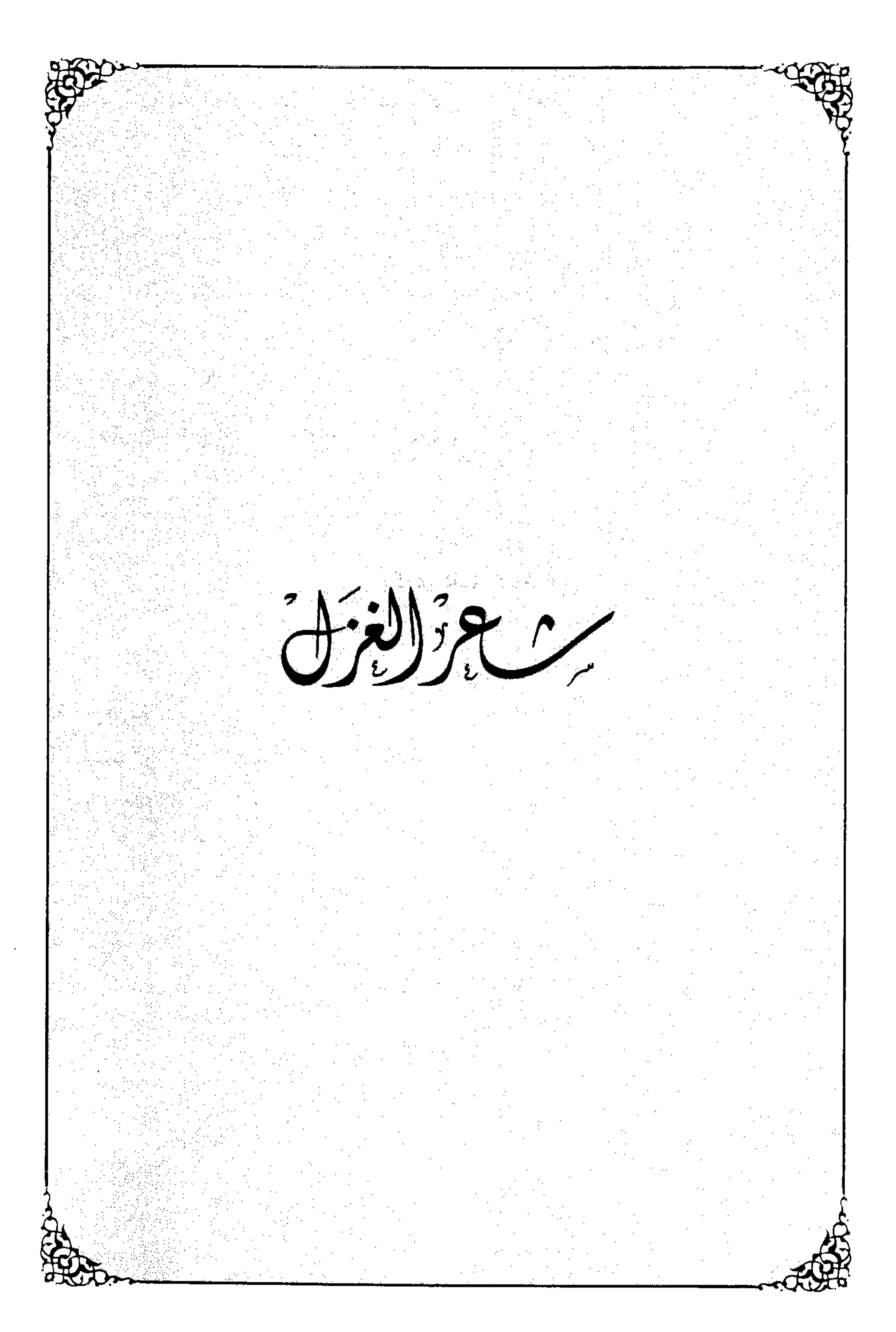
إلّا أن يكونَ الكمالُ لكتابه العزيز ، ولكنّني أرجو أن أكونَ قد وُفِّقتُ في حدود طاقتي وعملي في إخراج هذا الديوان على الصّورة التي تكفل للباحثين أن يُعوّلوا عليه ، ويُفيدوا منه ، دون أن يَجدوا فيه كبيرَ مشقَّة أو وعورةَ مسلك .

وإذا أخطأني التوفيق في شيءٍ من عملي هذا ، كاجتهادٍ في ضبط ، أو شرح ، أو تقويم ، أو تفسير ، أو توجيه ، فأرجو الله ألّا يحرِمَني أجرَ مَنِ اجتهدَ فأخطأ .

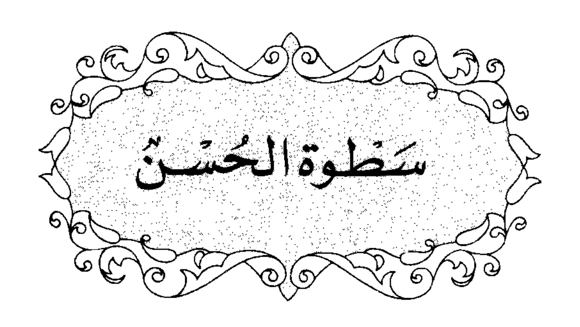
والحمد لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحات .

الدكتـــور
بكري محمد شيخ أمين

جدة المحروسة :
١٠ شـــوال ١٤٠٨ هـ
٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٨ م



شعر الغزل



سَطوة الحُسْن

بعدَ صَفْوِ الهَوى وطِيبِ الوِفاقِ   عَزَّ حتَّى السَّلامُ عندَ التَّلاقي [1]

يا مُعافىً من داءِ قلبي وحُزني   وَسَليماً من حُرقتي واشتياقِي !

هل تَمَثَّلْتَ ثورةَ اليأس في وَجْـ   ـهي وَهَوْلَ الشَّقاءِ في إطراقي ؟

أيُّ سهمٍ بهِ اختَرَقْتَ فُؤادي   حِينَ سَدَّدتَها إلى أعماقي ؟

مُسرعاً في المَسِيرِ ، تَنْتَهِبُ الخَطْـ   ـو ، فَهَل كنتَ مشفِقاً من لَحاقِي ؟

إذْ تهاديتَ مُبْدِلاً نظرةَ العَطـ   ـفِ بأُخرى قَليلةِ الأشواقِ

وتَهيَّأتَ للسَّلامِ ، ولم تَفْـ   ـعَلْ ، فأغرَيْتَ فُضولَ رِفاقي

هَبْكَ أهملتَ واجبي ، صَلَفاً مِنْـ   ـكَ ، فما ذَنْبُ واجب الأخلاق؟[2]

واعترى قلبَك المَلالُ ، فأعرضْـ   ـتَ ، فَهَلَّا انتظرتَ يومَ الفراق ؟

لا أُداجِيك ، والكرامةُ معنىً ،   تَتجلَّى في صحَّةِ الميثاقِ[3]

قد يُطاقُ الصُّدودُ ، يوجِبُهُ الذَّنْـ   ـبُ ، وَصَدُّ المَلالِ غيرُ مُطاقِ

سَطوةُ الحُسنِ حَلَّلَتْ ما كا   نَ حَراماً ، فافتَنَّ في إرهاقي

أنتَ حُرٌّ ، والحُسنُ لا يعرِفُ القَيـ   ـدَ ، فصادِرْ حريَّتي وانطلاقي

لم يكنْ باليسيرِ صبري على عَسْـ   ـفِكَ لَو أنَّني طَليقُ الوِثاقِ[4]

---

(١) عَزَّ : يَعِزّ : صار عزيزاً . وعَزَّ السَّلامُ : قَلَّ فلا يكاد يوجَد .

(٢) هَبْكَ : أصلها : هَبْ أنَّك ، واختصرت للضّرورة ، وهي بمعنى : آحسب وآعدد . الصَّلَف : التكبّر .

(٣) أداجيك : أداريك .

(٤) العَسف : الظّلم .



صَحْـــوَة

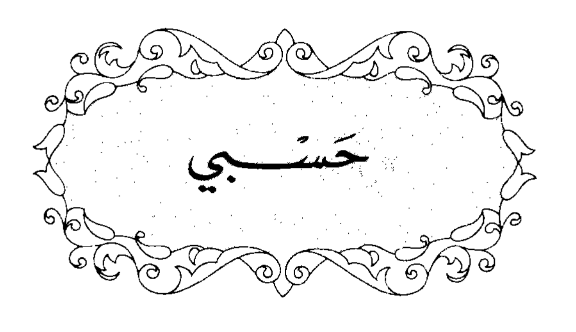
جَمـــالٌ ، ولكــنْ لا أَراهُ يَثـيبُ — وَوَصْلٌ ، ولكــنْ لا أَراهُ يَطــيبُ[1]
همَا ظُلمةُ الماضي انجلَت وتقشَّعَت — ولـو أنَّ جُرحاً ، خلَّفَتْـهُ خَصيبُ
تَأَلَّفَنــي الدَّاعــي إليها بِحُــزنها — أَلا إنَّ حُزنَ الجانيـاتِ عَجـيبُ
وهل بينَنَا من سالِفِ الوُدِّ موقِفٌ — نَلـوذُ به في يومِنـا ، ونُثُــوبُ[2]
ونحنُ ، على قُرب الدِّيارِ وبُعْدِها ، — غريبٌ ، نَأَتْ أحلامُه ، وغَــريبُ
فيا صورةَ الماضي البَغيض ، تَراجَعي — إلى حيثُ يُدْعَـى آثِـمٌ فيُجِـيبُ
ذكرتُ بكِ الأيـامَ سُوداً تَلُفُّنــي — وَمِـلْءَ دَمـي مِمَّــا أُسِرُّ لهيبُ
وما أَثقَلَ السَّاعاتِ في نَفْرَةِ الكَرَى — يَرُوح بها سَاري الرُّؤى وَيَــؤُوبُ[3]
قُبــورٌ وأَجسادٌ تَجَنَّبَهــا الــرَّدَى — تُوَلْوِلُ في جُنحِ الدُّجى وتَلُــوبُ[4]
فينــتَصِبُ الماضي لِعَيْنَــــيَّ بُؤْرَةً — من الرِّجسِ تَبدو ، تارةً ، وتَغيبُ
أراكِ بها كأساً تطــوفُ مَطافَهـــا — ولَــيس لها في الشَّاربيــنَ مُثِـيبُ[5]
مَدارُكِ فيها ياابنَــةَ الإثــمِ ضَيِّــقٌ — ولكنَّـــه للواغِليـــنَ رَحــيبُ
ومــا هوَ إلا مَأْزِقُ الضَّنْكِ والأَسى — وعُقباه يَأسٌ قاتــلٌ ولُغــوبُ

* * *

أَضَعْتَ على فجرِ الشَّبابِ هِدايــةً — فمــا أنتِ منها والــمَشيبُ غروبُ ؟

---

(١) يَثيب : يكافىء ويجازي (من الثواب) . وقد تعني : يُعيد ويُرجع .
(٢) نثوب : نرجع ، ونتوب .
(٣) نَفْرة الكرى : هروب النوم . ساري الرؤى : أحلام الليالي .
(٤) تَلُوب : تحوم حول الماء عَطَشاً .
(٥) مثيب : عائد وراجع . وقد تكون اسم فاعل من أثاب .



حَسْبي

حَسْبِي بما حَمَلَ الفؤادُ وما لَقِي ... كَمْ ذا أُصانِعُ في هواكَ وأَتَّقِي ؟

وَعَلامَ تَلْقاني بِوَجْهٍ مُشرِقٌ ... تُخفِي طلاقتُهُ جَهامَةَ مُطرِقِ؟[1]

ماذا يَصُدُّكَ عن هَوايَ وَدُونَهُ ... نَجوَى ضميرِكَ – إذْ تقولُ – ومَوْثِقِي ؟

قد كنتَ تَهزَأُ بالصِّعابِ فما لها ... رَدَّت خُطاكَ ، وما لنا لا نَلْتَقِي ؟

هانَتْ عليكَ مَواجِعِي فَنَسِيتَها ... أَمْ كنتَ في مَسْعاكَ غَيْرَ مُوَفَّقِ ؟

بَلْ قد مَنَعتَ ، ولستُ أولَّ راغبٍ ... فَجَعَتْهُ في رَغَباتِهِ يَدُ أَخْرَقِ[2]

ولقد تُجَشِّمُكَ الرَّغائِبُ مُرتقىً ... صَعباً ، فَمَن لَكَ أَنْ تكونَ المُرْتَقِي؟[3]

ولقد دَعَوتُكَ للخِطارِ فَهِبْتَهُ ... وأَجَلْتَ في عُقْباهُ رَأْيَ المُشفِقِ[4]

ومِنَ الغرائبِ أن أَسُومَكَهُ وهل ... يَرجو المعونَةَ مُوثَقٌ من مُوثِقِ؟[5]

وتُسيءُ ظَنِّي فيكَ فَتْرةُ سائِمٍ ... فَتَرُدُّني عنها عُلالَةُ شَيِّقِ[6]

وَأَمَا وَحُبِّكَ ما الرَّجاءُ بِمُسعِدِي ... إنْ كانَ حَظِّي ، منكَ ، حَظَّ المُخفِقِ

* * *

(١) الجهامة : عبوس الوجه .
(٢) الأخرق : الأحمق .
(٣) تجشّم الأمرَ : تكلّفه .
(٤) الخِطار : جمع الخَطَر . المشفق : الخائف الحذر .
(٥) أسومكه : أسومك إياه . وسام فلاناً الأمر : كلّفه إياه وألزمه به . الموثَق : اسم مفعول من أوثق بمعنى ربط وشدّ يديه أو رجليه بحبل أو سواه .
(٦) الفترة : الضعف والانكسار ، ومن معانيها : المدة . سائم : الذاهب على وجهه من غير هدى . العُلالة : ما يُتَعَلّل به أو يُتَلَهّى . الشيّق : المشتاق .

أَنكـرتُ فيكَ الـذُّلَّ حتَّـى رُضتَنِـــي فَطَـوَيْتُ دونَكَ للجَهامَـةِ مفرِقِـــي[1]

وأنـا الأَبِيُّ ، وقـد عَرَفتَ خلائِقِـي فاعـرِفْ على حُبِّيكَ بعـدُ تَخَلُّقِـــي[2]

يا مَوْرِدِي الفيَّـاضَ ، حَسْبِي وَقـدَةً ممَّـــا يُنازِعُنِـــي إِلـــيكَ تَحَـــرُّقِي

العـابثُ اللاّهـــي حِيـــالَكَ ناهِـــلٌ والعـاشِقُ اللَّهفـــان لَمَّـــا يَسْتَـــقِ

أَلْقـاكَ مَشبـــوبَ الجَوانِـــحِ لاظِيـــاً غَصَّانَ ، أَسبَحُ في الضِّرامِ المُحـرِقِ[3]

مُتَوقِّـدَ الأنفـاسِ ، أَصمُتُ والسَّنَــا لو شِئتَ شَعَّ بدائعـــاً في مَنطِقِـــي

ماذا فعـــلتَ بقـــلبِ حُرٍّ قادَهُ غَيُّ الصَّبابَـــةِ في هَوَاكَ المُزْلِـــقِ ؟

قد كنتُ قبلَ هواكَ أخطِرُ ضاحِكـاً بفـؤادِ موصولِ المَسَرَّةِ ، مُطلَـــقِ

متهلِّـلَ القَسَمـاتِ ، يَرْتَفِـقُ الهَـــوَى سِحْـري ، ويَحتَبِـلُ المفاتـنَ رَوْنَقِـي[4]

واليـومَ أُطرِقُ في مَقـامِكَ صامتـــاً وَتُـــرى لِغَيري نُهــزَةُ المُـــتَشَدِّقِ[5]

أنـا ذلك الصَّدَّاحُ أَخرَسَنِـــي الأَسى وَلَكَـــمْ منحـــتُكَ كلَّ لحنٍ مُشرِقِ

أيـامَ تَعـرِضُ لي ، فَترتَجِـلُ المُنَـــى شِعْـرَ الهوى ، كالعـارِضِ المُتَدَفِّـقِ[6]

فَتُعيـــدُه شفتـــاكَ سِحـــراً رائعـــاً يُزْري بكُـــلِّ مُنَضَّدٍ وَمُـــنَسَّقِ[7]

وَتُدِيرُ منه – وقد طَرِبتَ – سُلافَـةً تَدَعُ الكَليـلَ يُرِيـــغُ شَأوَ المُفْلِـــقِ[8]

والكـونُ حَوْلَكَ سابِـحٌ في حُلْمِـــهِ في مِثـلِ هَالَـــةِ وَجـــهكَ المتألِّـــقِ

والحَقـلُ محتَفِـلٌ يطارِحُـــهُ الهَـــوَى أَسرارُ حسنِكَ ، ضاحكاً ، وتَعَلُّقِـي

---

(١) راض المُهر : ذَلَّله وطَوَّعه . المفرِق : – هنا – كناية عن الوجه .

(٢) حُبِّيك : حبي إياك .

(٣) اللاّظي : اللاهب من اللَّظَى . الغَصّان : الذي صار في حلقه غُصَّة ، وهي بمعنى : غاصّ .

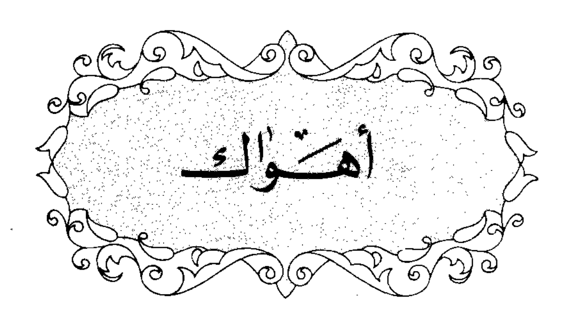
(٤) ارتفق : انتفع ، استعان . الرّونق : البهاء والحُسْن .

(٥) النُّهزَة : الفرصة . المتشدّق : الرجل يلوي شفتيه بالكلام يتفاصح .

(٦) العارض : السحاب .

(٧) أزرى به : تهاون به وقصَّر .

(٨) السُّلافة : أفضل الخمر وأخلصها . أراغ : طلب ، أراد ، راود . الشأو : الهمة ، الغاية .
المفلق : الحاذق المعجِب .



أهواك

أَهواكَ تَمنَحني الرِّضَا ، أو تبخَلُ — أنا ، في هَواكَ ، القانِتُ المُتَبَتِّلُ[1]

طلَّقتُ أسبابَ الحياةِ وَعِفتُها — حتَّى استبَاني وَجهُكَ المُتهلِّلُ[2]

وظمِئتُ لا تَروِي المباهجُ مُهجَتي — حتَّى بَدَا من ناظِرَيْكَ المَنهلُ

فَنسيتُ آلامَ الحياةِ وَبَرْحَها — وغَدَوْتُ لا أَشكو ولا أَتملمَلُ[3]

نَشوانَ ريَّانَ المطالبِ فائضاً — أَملاً ، وأنتَ المُنعِمُ المُتفَضِّلُ

يا جَنَّةً ، فاضَت مفاتِنُ حُسْنِها — هِيَ لِلْخلودِ مِثالُه المُتخَيَّلُ

رَفَّتْ معاني الحُسنِ واحتَشَدَت بها — وَشَدا الهَزارُ بها وغَنَّى البُلبلُ

وتعانَقَت فيها الغُصون رواقِصاً — جَذلاً يُعَبِّرُ عن هَواها الجَدولُ

وَجَلا الخَيالَ بها رَوائعُ حُسْنِهِ — أَخَّاذةً ، بفتونِها ، تَتَسَلْسَلُ

وَسَرَت بها النَّسَماتُ عاطِرةَ الشَّذَا — الزَّهْرُ يَحسُد طِيبَها والمَنْدَلُ[4]

حَرَمي الأَمينُ بها ومَأوى وَحْدَتي — وَمَلاذُ آمالي،ونِعْمَ المَوْئِلُ

الشَّمسُ فيها ، ما يَغيبُ شُعاعُها — والبَدرُ ، فيها ، مُشرِقٌ ما يَأفُلُ

تَحْنُو عَلَيَّ ، وَفِيَّةً وتُنيلُني — ما ليس لي مِن بَعدِهِ مُتَعَلَّلُ

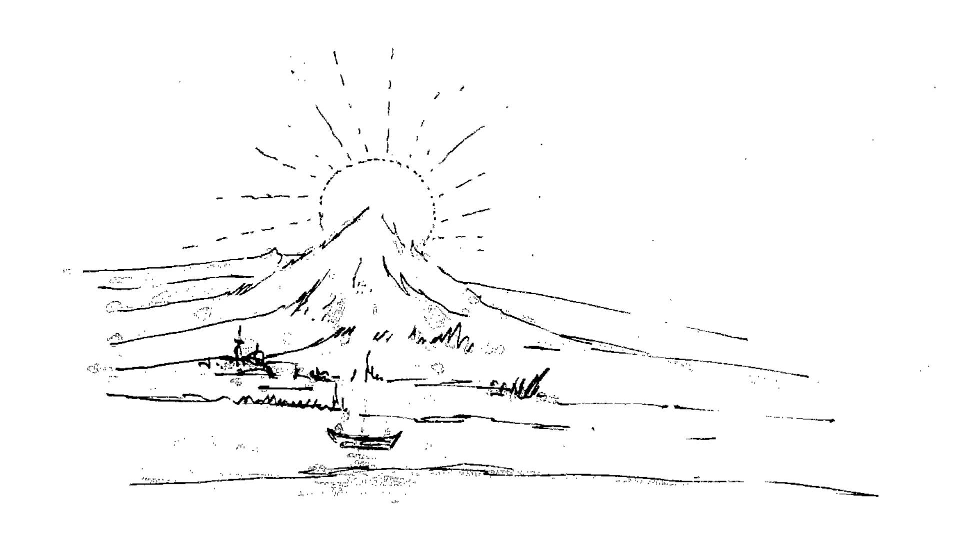
---

(١) القانت : المطيع ، الخاضع . المتبتّل : المتفرغ ، المنقطع .
(٢) استباني : أسَرَني .
(٣) البَرْح : الشدة ، العذاب الشديد .
(٤) المندل : العود الطيب الرائحة .

أنـا منكَ في دُنيـا نَعيـمٍ خالـدٍ تَفْنَى الرَّغائبُ ، وَهْوَ لا يَتَبَـدَّلُ

هيهاتَ يَسْلُبُني الزَّمـانُ سعـادتي في ظِلِّها ، أَو يَستَبيني مَأْمَـلُ

والحُبُّ ، إِنْ صَدَقَ الوَفاءُ ، سعَادةٌ يَعْنُو الزَّمانُ لِما تُريـدُ وَتكفُـلُ





مُنَاجَاة

هَيهَاتَ لا أَمَلٌ أَجْدَى ولا لَهَفُ ... وهل يُفيدُكَ في عُقبَى المُنَى أَسَفُ ؟

ما لا تُبَلِّغُكَ الأَفعالُ جاهدةً ... فكيفَ تَضمَنُهُ الآمالُ والصُّدَفُ ؟

قَلبي ! وهل كنتَ قلبي يومَ تَحمِلُني ... على أَمانِيكَ يَحدُو زُورَها السَّرَفُ ؟

غَرَّرْتَ بي فَأَضَعتُ الحَزمَ مندفِعاً ... على ضياءِ خَيالٍ تحتَه السَّدَفُ [1]

كانت سُوَيْعَةَ رِيٍّ بعدَها ظَمَأٌ ... وعَدلَ يومٍ تَناهَى بَعدَه الجَنَفُ [2]

خَطَّرتَ بينَهما نَشوانَ مُنطَلِقاً ... لا اللِّينُ يَثنِيكَ عن لَهوٍ ولا العُنُفُ

فَاحمِلْ على تَبِعاتِ الجهلِ ما تَرَكَتْ ... لكَ البَوادرُ ، فالأَيَّامُ تَنتَصِفُ [3]

قلبي ! وما كنتَ قَلبي يومَ وَدَّعَني ... لم يَثْنِهِ الدَّمعُ عمَّا رامَ واللَّهَفُ [4]

هلا استبنتَ معاني الغَدرِ تُرسِلُها ... عَيناهُ ، أم كنتَ في رَوْعِ النَّوَى تَجِفُ [5]؟

غَرَّتكَ دمعتُه الحَيْرَى يُكفكِفُها ... ودونَ ما ضُمِّنَتْهُ الغَدرُ والصَّلَفُ [6]

وراحَ ! تَأْمُلُ في عقبى نَواهُ لُقىً ... وُعِدْتَهُ ، فَقَضاهُ الهَجرُ والخُلُفُ

وعادَ ! هل عادَ مَن يَثنِيهِ رَونَقُه ... عن الوفاءِ وخوفُ العَذلِ والتَّرَفُ ؟

---

(١) السَّدَف : الظُّلمة .

(٢) الجَنَف : خلاف العدل ، الظلم .

(٣) البوادر : جمع بادرة وهي ما يبدر من الرجل عند غضبه من خطأ وسوء قول .

(٤) اللَّهَف : الحزن والتحسر .

(٥) تجف : من وَجَف يجف بمعنى اضطرب وخفق خوفاً .

(٦) الصَّلَف : الادّعاء مع التكبر والغطرسة .

عَلامَ تَخفِقُ والأيَّامُ ساكِنَةٌ وفِيمَ تَأمُلُ والمَرجُوُّ مُنصَرِفُ ؟
أعادَ ؟ ما عادَ مَن تُلهِيهِ صُحْبَتُهُ عَمَّن يُساوِرُه في حبِّهِ التَّلَفُ
حُرِمتُ مِنه على قُرْبٍ ولو بَعُدَت بِهِ الدِّيارُ أنالَت وَصْلَه الصُّحُفُ
ظمآنُ يَحرِقُني شَوقِي وَيعصِفُ بِي يَأسِي ، وَمَوْرِدُ نفسي حافِلٌ كَثِفُ
أَراهُ حِينَ يَرانِي مُطرِقاً حَزِناً كَمَن يُغالِبُه عَن شأنِهِ الرَّأَفُ
ما أَطلبُ الحُبَّ عَفواً ، أعطِنيهِ هَوىً فَما يُبَرِّدُ حَرَّ الظَّامِىءِ الرَّشَفُ

* * *

وَاهاً لِماضٍ ، أنيقِ اللَّهوِ ، كنتُ بهِ إلى وفائِكَ ، بالآمالِ ، أَختلِفُ
يَجرِي الحديثُ ، رُموزاً ، بينَ أَعيُنِنا يَلينُ مَسرَاهُ ، تاراتٍ ، ويَعْتَسِفُ
والصَّحبُ ، بالحَفلِ ، مَشغولونَ عن بِدَعٍ تَجلو فُنونَ جَناها الرَّوضةُ الأُنُفُ
واليومَ يَثنيكَ عن داري ، وقد قَرُبَتْ ، ما لَفَّقَ الصَّحبُ عن سِرِّي وما اقترَفُوا
سامُوك هَجري ، على كُرْهٍ ، وقد جَهِلوا ما يَعلم الطُّهْرُ عن حُبِّكَ والشَّرَفُ
وأَطلَقوا التُّهَمَ الشَّنعاءَ يَصرِفُني عَنها ، وعن دَحضِها الإيمانُ والأَنَفُ

* * *

ولو رَمَيتُ لَأَصمَيتُ القلوبَ ولم يَصُدَّني العَجزُ ، لكنْ عَزَّني الهَدَفُ[1]
هُمْ منكَ في الحَرَمِ المَحْمِيِّ جانِبُهُ ولا وَحُبِّكَ ، لولا أنتَ ، ما عُرِفوا
وأنتَ دُونَهمو قُرْبَى وآصِرةً لولاك ما اتَّفقوا فينا ولا اختلفوا
لقد أَلِمْتُ فظنُّوها شجاعَتَهم وأنتَ بَينَهُمُو تَرمِي وتَنْعطِفُ

---

(١) أصمى : أصاب الهدف .

بي مِنهُمو فيكَ ، لا كانَت أَواصِرُهم ، ... ومِن صُدودك بَرْحٌ فوقَ ما أَصِفُ
كأَنَّ في النفسِ بُركاناً يَثورُ بها ... يَطوي أمانِيَّها الحَرَّى فَتَنْخَسِفُ
فالكونُ حولِيَ مَطمُوسٌ تُراوِدُهُ ... رُؤَى المَفازِعِ تَسْتَخفِي وَتَنْكَشِفُ
أَجولُ فيه بِعينٍ حارَ ناظِرُها ... تَبغي الرَّجاءَ وتأباها لها السُّجُفُ[1]
إذا تَنَوَّرتُ في ظَلمائِها طَرَفاً ... غامَ الدُّجى فَتَوارى ذلِك الطَّرَفُ
أَتلكَ نازِلَةُ المَقدورِ تَفجَعُني ... أم غايةُ الأَمَلِ المَهدورِ تَرتَجِفُ ؟
لقد عَرَفتُ طريقَ الرُّشدِ أَسلُكُهُ ... لو كان لي عن هَواكَ الوَحْفِ مُنْصَرَفُ[2]
أَخذَتْني إخذَةَ الجبَّارِ فانقَطَعَت ... بِيَ السَّبيلُ ، فما أَلوِي ولا أَقِفُ[3]
اِسْأَلْ صَحابتَك الجانينَ كم لَعِبَت ... بِهِمْ دَواعي الهَوَى والحُسْنُ والهَيَفُ ؟
أَكنتُ جانِيَها وَحدي ، ولا بَقِيَتْ ، ... أَم أَنَّني ، دونَهم ، غَيَّانُ مُنحَرِفُ[4] ؟
لقد عرفتُ نبيلَ الحبِّ تَكْلأُهُ ... فَضائلُ الخُلُقِ السَّامِي ،فهل عرفوا ؟

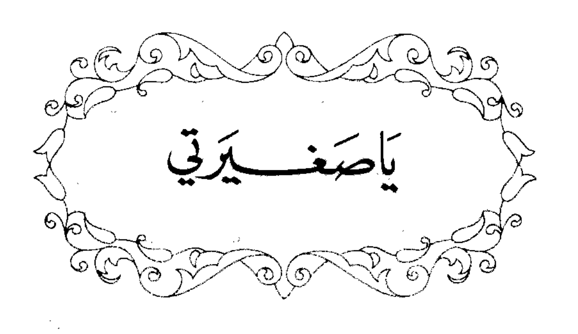
* * *

أدعوكَ دعوَةَ مَشبوبٍ على ظَمَأٍ ... فَلْيَفعَلِ الجُود إنْ لم يَفْعَلِ الشَّغَفُ[5]

★ ★ ★

---

(١) السّجُف : مفردها السّجاف وهي السّتر أو ما يركب على حواشي الثوب .
(٢) الوحف : النازل ، الراسخ ، المقيم ، الكثير .
(٣) لوى : انعطف وانتظر .
(٤) غيان : ضال ، منحرف ممعن في الضلال .
(٥) المشبوب : الرجل الذكي الشهم ، المتوقد حرارة وشباباً . الشَّغَف : الحبّ الشديد .



ياصَغيرَتي

حَدِّقي فِيَّ عابساً أو طروبـاً   لا تُراعِـي لِظاهـري أو تُسَرِّي

لكِ مني صَدرٌ رحيبٌ ، وإنْ ضا......قَ بما في الحياةِ ذَرْعـاً ، فَقَرِّي

والثِمـي وَجْنَتَـيَّ لَثمـاً عَنيفـاً   وَكِلِي لِليدَيـنِ تَجْمِيشَ صَدري

والصقي وجـهَكِ الصَّغيرَ بِكِتْفِـي   واجـعَلي من يَدَيكِ طَوقـاً لِخَصري

واهجُمـي تارةً بجسمكِ ، ألقِيـ......ـهِ بعنـفٍ يَهُـزُّني فوقَ حِجـرِي

وإذا راقَكِ الـوصولُ إلى رأ......سِي لكي تَعْبَثِي قَليـلاً بِشَعْـري

فاقفِـزي قَفـزةَ المُجـازِف فِي حِر......صٍ ، تكوني فِي لحظةٍ فوقَ ظَهـري

وافـعَلي بي ماشِئتِ ، وافترضِينـي   (لُعبـةً) بادَلَـتْكِ فَرًّا بِكَـرِّ

فقريبـاً ستصبحيـنَ فتـاةً   لا تَرى الشَّمسُ حُسنَها ، ذاتَ خِدْرِ

حَدِّثينـي ، أَلَا يَروعُكِ بُعـدِي   بَعـدَ طولِ ائتلافِنـا ؟ يالِذُعْـرِي

واسأليـني ماذا تكـونُ حيـاتي   إنْ خَلَت منكِ ؟ يانَضارةَ عُمْـري

ليتَ شِعري لِمَن تكونينَ بَعـدي ؟   ياحَيـاتي وَقِبلتـي ، لَيتَ شِعـري

أَقسِمـي لي بِحُبِّ (أُمِّكِ) أَنْ لا   تَتَنَاسَيْـن يومَ عُرسِك ذِكـرِي

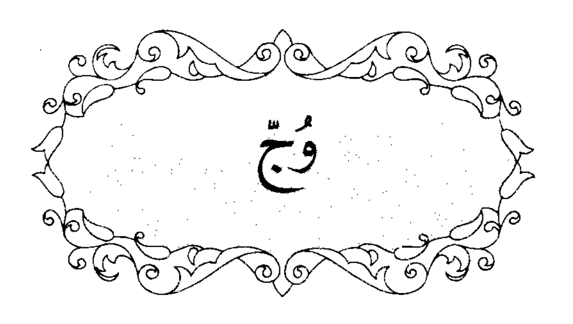
اُذكـري ذلكَ الشَّقـيَّ ، اذكريـهِ   فلقـد كان يَرتجيكِ لأمْـرِ

سوفَ أَحيا ، نَعَـم ، ولكنْ حياةً   تَتَهَـاوَى بها عوامـلُ قَهـري

وسأبقـى معذَّبـاً مفعَـمَ القلـ......ـبِ شُجونـاً وأَستعيـنُ بصبري

قانعـاً من أَليـمِ عَيْشِيَ بالذّكــــرَى أُداوي مريرَهـا بالأمَـرِّ
فإذا ما سمعتِ يومـاً بِمـوتي فَاتْبَعِينـي إلى سَحيـقِ مَقَـرّي
واذرِفي دمعـةً على جَسَدي الهامِدِ ، تَنْـدَى لها جوانبُ قَبري
وَتَنـاسَيْ نِهايَتـي ، أهمِـليها فَهْـيَ لا تستحـقُّ لَفْتـةَ فِكـرِ





وُجّ

إنَّ وُجّاً ، وسامَحَ اللهُ وُجَّاً ... لم يَدَعْ لي ، إلى السَّلامةِ نَهجَا[1]

كان لَيلي به مَسيلاً من النُّو ... رِ يُغَشِّي جوانبَ العيشِ وَهْجَا

فأنا اليومَ بعدَه في ظلامٍ ... أَنتَحِيهِ وَعْراً ، وأَطويهِ لُجّا

بين قَيدَينِ .. بينَ ضِيقٍ وعَجزٍ ... كلَّما قرَّت المواجعُ لَجّا

يا رمالَ الوادي الحبيبِ ، تناسَيْـ ... ـتِ طويلاً هذا العَليلَ المُسَجَّى !

إنَّه جارُكِ القديمُ ونَجْوا ... هُ لِعهدٍ من الوفاءِ مُرَجَّى

أطلَقتْ ذكرياتُهُ دمعَ عَيني ... بالذي سَرَّ في هَواكِ وأَشْجَى

أَتَراني إليكِ أستقبلُ الفجـ ... ـرَ مَلاذاً بِعَدْوَتَيْكَ ومَنْجَى[2]؟

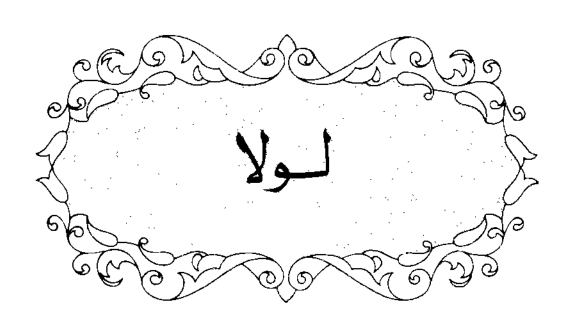
كذَبَ العيشُ بعد يومِكَ ياوُجُّ ... مَريراً ، والعُمْرُ بعدَكَ فِجّا

★ ★ ★

---

(١) وُجّ : وادٍ بالطائف .

(٢) العَدْوة : المكان المرتفع ، شاطئ الوادي وجانبه .



لـولا

لولا تكونُ على الخِطَـارِ مُعَنِّفِـي — لَرَكبتُ فيك ضلالةَ المُستَهـدَفِ[1]

وقَضيتُ للشَّوقِ القَـديم لُبانَـةً — راضَ الزَّمـانُ لها جِماحَ المُخلِـفِ[2]

ونَشرتُ ما طوَتِ الظنُّونُ بِسالِفٍ — من عهدِنا ، في حاضرٍ مُستَأْنَـفِ

فعَـلامَ يأخـذُ ذو الغَليـلِ فؤادَه — بأَحَرَّ من لاظِـي هَواهُ ، وأعنَـفِ

والحُسنُ مَطوِيُّ الشُّعورِ على هَوَى — عشَّاقِـهِ في قسوةٍ ، وتلطُّـفِ

والعَـيشُ نُهبَـةَ ناهبٍ مُتَحَيِّـفِ — كالعيشِ مَطـلبَ راغبٍ متعفِّـفِ[3]

والجِـدُّ وثبَـةَ غارمٍ متعسِّـفِ — كالحبِّ حيلَـةَ سالكٍ متلطِّـفِ

جُهدُ النفوسِ فَمَنْ حَمَى بقُطوبِهِ — حقّـاً ، تحقَّـرَ بسمـةَ المتزلِّـفِ[4]

* * *

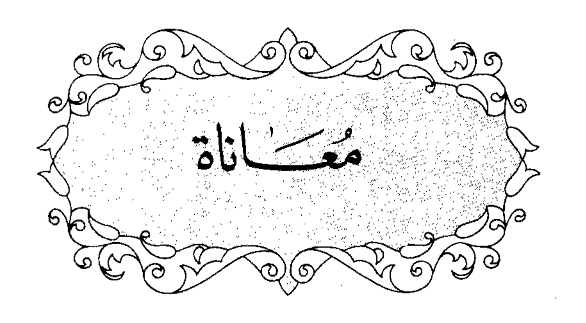
---

(١) الخِطَار : مفرده الخَطَر . ويجمع كذلك على أخطار – سبق شرحها – .

(٢) اللبانة : الحاجة . راض : ذَلَّل .

(٣) المتحيف : غير عادل ، جائر .

(٤) تَحقَّر : استحقر واستهان .



مُعَـاناة

زادَته في الحبِّ عُقبَى أمرِهِ رَهَقا ... عَانٍ بِجَنبِـيَ يَهفـو ثائـراً قَلِقـا[1]

يَظـلُّ إن ذَكَـر الماضي وَفِتْنَتَـه ... غَصَّانَ راحَتُـهُ أن يلفِـظَ الرَّمَقَـا[2]

تُحْيِي خيـالاتُ ماضيـهِ له صُوَراً ... ماتَت وخلَّـفَتِ الآلامَ والحُرَقـا

ورُبَّ ذِكـرَى أذاقَت نفسَ باعِثِهـا ... وَيْـلاً يُزَلـزِلُ عزمَ الجَلد والخُلُقـا

يا قلبُ غرَّك من ماضيكَ رَونَقُـه ... وأنَّ حظَّك فيـه كان مُؤتَلِقـا

وأنَّ مسرحَ لذَّاتِ الهوى شَرَعٌ ... حَوَى الحيـاةَ مدًى ضمَّ الهوى أُفُقا

وأنَّ جَدولَكَ السَّلسالَ مطَّـرِدٌ ... على حِفافَيْـهِ ينمو الزَّهـرُ متَّسِقـا[3]

يلقـاكَ بالـورِدِ طَلْقـاً من مَناهِلِـهِ ... وبالمفاتـنِ يَسبِـي سِحرُهـا الحَدَقـا

رَفَّتْ عليه مَعاني الـحُسنِ سافـرةً ... فاقَت بما ذابَ من ألـوانها الشَّفَقـا

وأنَّ مِحـرابَكَ القُـدسيَّ كنتَ به ... ألعابِـدَ الفَـردَ يَحْبـوكَ الـرِّضا غَدَقـا

---

(١) الرَّهَق : الظّلم والسَّفَه . عان : اسم فاعل مشتق من الفعل : عَنَا يعنو عناء : بمعنى تعب .

(٢) الرَّمَق : بقية الحياة .

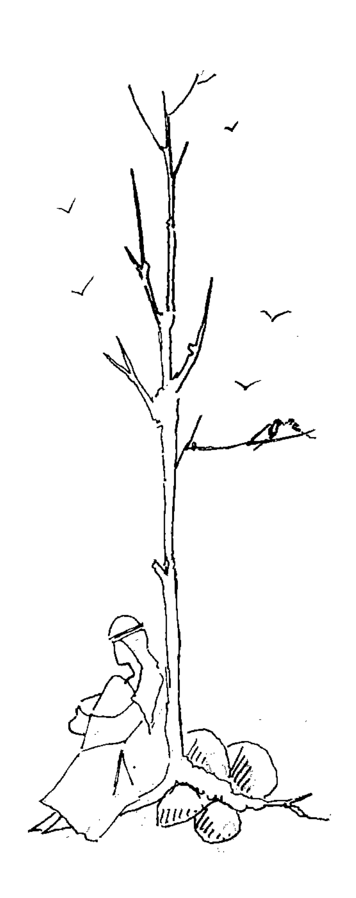
(٣) حِفَافَيْه : جانبيه . مفردها حِفاف .

تُقيمُ فيه فُروضَ الحُبِّ خاشعةً — أَلقَى عليها الهَوى من صِدقِه أَلَقا

فاليوَم نُوزِعْتَ في مَثواكَ حُرمَتَه — وعُدْتَ تَشهدُ من عُبَّادِهِ فِرَقا

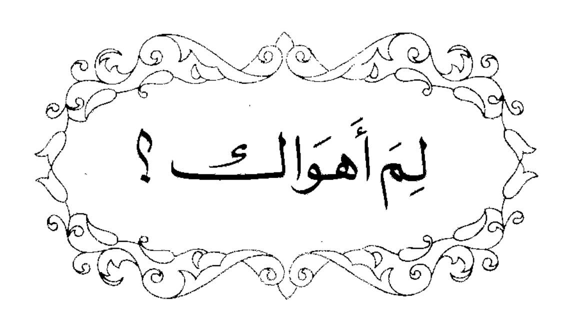
وزاحَمَتْك على أركانِه مُهَجٌ — عِبادَةُ الحبِّ فيها تشبُهُ المَلَقا[1]

والماءُ ؟ لا ماءَ يا قلبي فَمُتْ ظَمَأً — وَدَعْ مدنَّسَه يَهلِكْ به شَرِقا[2]



(١) المَلَق : الودّ واللّطف باللسان لا بالقلب .

(٢) الشَّرِق : الغاصّ .



لِمَ أهواكَ ؟

يا حبيبي ، يا مُلتقى السِّحرِ والفِتْـــنَةِ ، يا غَالِبــي على أمــرِ نَفْسي !
لِمَ كانتْ – ولا أسُومُكَ لَوْمــاً – قِسْمَتــي في هَواكَ قِسْمَــةَ وَكْسٍ؟[1]
ألِأنِّــي آثَــرتُ في حُبِّكَ القَـــاهِرِ عِزّي ، ذَهبتَ تَطــلبُ نَفْسِي ؟
أمْ لأنّــي ضَحيَّــةُ الألــمِ الصّامِتِ أطوِي على المَواجِــعِ حِسِّي ؟

* * *

لِمَ أهـواكَ ؟ أيُّهـا المُفعِــمُ النَّفْـــسِ ، شُجونـاً ، وحَيْرةً ، وشَقَـاءَ ؟
ألِحُسْنٍ ؟ فَالحُسنُ في البدرِ والزَّهْــرةِ أنــدَى وَقْعــاً وأضفَــى رُواءَ ؟
أمْ لِمعنــى شَفَّتْ مَفاتِــنُكَ العَــذْبَةُ عَنْــهُ ، فكــادَ أن يتَــراءَى ؟
فالمَعاني في الكونِ ، لَيسَتْ على الإنــسانِ وَقفاً ، إلّا هَوىً ، وادِّعــاءَ

* * *

والمَعـاني بِوَحْيِهـا ، ومـدى الوَحْــيِ عَميقٌ ، فيمـا يَضُمُّ الوُجــودُ
فَتَراهـا في قطعـة الأرضِ والصَّخْــرَةِ ، شِعْــراً لم يُبْلِــهِ التَّرديـــدُ
وَتَراهــا في نَأمَــةِ الــطِّير للطَّيــرِ نَشيداً ، لم يَجرِ فيـه القَصيــدُ[2]
وَتَراهــا في لَفتَــةِ الظَّبْــي للظَّبْــيَةِ ، سِحـراً يُبْـدي ، وَحينـاً يُعيـدُ

* * *

---

(١) الوَكْس : الغَبْن ، الخسارة .
(٢) النأمة : الصوت الضعيف ، النغمة .

وتَراهــا فيمــا تَرى من جَميــلٍ وقَبيــحٍ ، وهَيِّــنٍ ، وَعَظيــمِ
صُوَراً حَيَّــةً يناجــيكَ منها أَلْفُ وجــهٍ من كالِــحٍ وَوَسِيــمِ
كُلُّ وَجــهٍ دُنيــا بتــاريخه النَّــابضِ ، تَصْبَــى بحادثٍ وقَديــمِ
وفَضاءٍ لا يعرِفُ الحَدَّ ، والقَيْــدَ ولا وَغْرَةَ الضَّنَــى والسُّهــومِ[1]

* * *

أَمْ لِحُسنٍ ، والحُسنُ في البُرعمِ المَكْمُوم ، لُطفٌ يَسرِي ، وَرُوحٌ يَرِفُّ
وَهْــوَ في مَولــدِ الرَّبيــعِ حيــاةٌ تَتَصَبَّــى ، وفتنــةٌ تَستَخِــفُّ
وَهْــو في لَفتَــةِ الخريــفِ وَدَاعٌ ودمــوعٌ ثَرَّارةٌ ، ما تَجِــفُّ
وَهْو في عُزلــةِ الشّتــاءِ انقبــاضٌ وَصُموتٌ ، يُعدِي المشاعرَ - وَجْفُ[2]

* * *

وَهْو في وَقدَةِ الظَّــهيرةِ شَكــوى مُرهَــقٍ ضاقَ بالظَّــهيرةِ ذَرْعــا
وَهْــو في هَمسَةِ الجداولِ لَحــنٌ طابَ في مَسمَــعِ الطَّبيعــةِ وقعــا
وَهْو في مُلتقَــى الزُّهــورِ حديثٌ لم تُضيِّــعْ له النَّسائــمُ رَجْعــا
وَهْو في الأرضِ والسَّماء جَمــالٌ يَتفشَّى هَوًى ، وَيَــنسابُ لَمْعــا

* * *

أَلهذا أَهــواكَ ؟ يا مُثقِــلَ القلــبِ بِهَــمٍّ من الشَّقــاءِ طويــلِ ؟
أَمْ لذُلٍّ أَذَقتَنــي منــه ما أَظْــمَأ روحــي على رِواءِ مَخــيلي؟[3]

---

(١) الوغرة : شدة توقد الحرّ . الضَّنى : المرض ، السقام ، الهزال الشديد . السّهوم : من سَهَم يَسهَم وسَهُم يسهُم : أصابه حرّ السَّموم فتغير لونه .

(٢) الصُّموت : والصَّمت بمعنى واحد ، عدم النطق .

(٣) الرِّواء : الكثير المروي .

أَمْ لِهـذا الفتـونِ يَرْوِي به غَيْـــــ.........ـرِيَ غُلّاً ، ومـا يَبُـلُّ غَلـيلي؟[1]
أَمْ لجهـلٍ عَرفتُ سِيمـاءَه فيـــــ.........ـكَ ، وشأنٍ من الـذَّكاءِ ضئيـلِ ؟

* * *

أَتَراني أُهـواكَ حقّاً ؟ فمـا فيـــــ.........ـكَ لِمثْلي مَعنًـى يُمـازِجُ حِسِّي ؟
أم تَراني أهـواكَ زُوراً ؟ فَلِمْ يُصبـ.........ـحُ قلبـي على هواك ويُـمسِي ؟
أم تَراني أحِبُّ فيكَ – ومـا أشْـ.........ـعُرُ – نفسي ، وأنتَ عندي كنفسي ؟
لَأنـا منكَ في سبيـلٍ من الحَيْــــ.........ـرَةِ تُضنِي عقلي ، وَتُثقِـلُ حَدْسي[2]

* * *

لستَ تَدري ! نَعَم ، ولا أنـا أَدري لِمَ تَهفـو إلى لِقـائكَ رُوحـي ؟
ولماذا أكـــــــونُ فيكَ ، كما تَر.........ـسُفُ في السِّجنِ ، فكرةُ المكبوحِ ؟
ولماذا أكـونُ إنْ غبتَ في دنــــــ.........ـيا سَؤومٍ ، جَمِّ الكُروب ، طليحِ ؟
فإذا لُحْتَ أَشرَقَتْ ، وَتَلَقَّتْـــــــــ.........ـني بوجه طلـقِ المحيّـا صَبيـحِ

* * *

لستُ أهواكَ – لا هَويتُكَ – للحُسْـ.........ـنِ ، فهـل فيكَ غيرُ حُسنٍ عَليـلِ ؟
لا ولا للشَّبـابِ ، والعُمُـرِ الغَـــ.........ـضِّ ، فعُمْرُ الشَّباب غَيرُ طويـلِ
لا ولا للشّعـور أو لمحة الــحُسْـ.........ـنِ ، هُمـا فيك مثلُ رسمٍ مُحِيـلِ[3]
ومجالُ الحيـاة أحفَـلُ بالــحُسْـ.........ـن ، ولكنَّـه شَقـاءُ العقـولِ

* * *

---

(١) الغُلّ والغليل : أشد العطش .
(٢) الحدس : الظن والتخمين .
(٣) المحيل : من حال لونه إذا تغير . والمحيل : الذي أتت عليه أحوال وغيرته .

أنتَ في فِكــرتي عَنــاءٌ وقَيـــدٌ وبقلبــي أسىً يَلِــظّ شُعــوري [1]
يَبسِمُ النّــاسُ للحيـــاةِ وأُغضِي دونَ غايــاتِ لَهْوِهــم كالأسيـرِ
حالَ حُسنُ الحياةِ والنّورُ في عَيْــ ـنِـي ، فنــفسي تَهيم في دَيْجـورِ
وأراني أستَـرْوِحُ النسمــةَ الحَيْــ ـرَى ، وجَدواك لي كجَدوى الهَجيرِ

* * *

أَيَّ حالَيْكَ أشتكي ؟ أنتَ في القُــ ـرْبِ ، وفي البُعدِ مَطمَعٌ مَمْطولُ ؟
وكَمِ ارتَحْتَ لي بجملــةِ ما فيـــ ـكَ ، فلم يَرْوَ لي عليــه غَليـلُ !
أوراءَ السِّمــاتِ من حُسنِك الــذّا بِلِ ، وِرْدٌ بما أريـــد حَفيـــلُ !
لستُ أدري،أذاك من صُنــعِ وَهمي فيكَ أم أنَّــه جَمــال أصيـــلُ ؟

* * *

لَتَمَنَّــيْتُ أن أكـــونَ عَبيراً ضَلَّ مَسْراهُ ، في جوانبِ صدرِك
أَوْ دمَــاً شَفَّ في عُروقكَ عن سِــ ـرِّ مَعانيكَ ، في مفاتن سِحـرِك
أو خيــالاً يجولُ في قلـــبكَ السَّا ذَجِ ، قَرَّت فيــه حقيقــةُ أمـرِك
أو كلامــاً يَدور في فِيكَ سَكْـــ ـرانَ ، أطــافتْ به حلاوةُ ثغـرِك

* * *

لِأَرى ما الــذي يُتَيِّمُنِــي فيـــ ـكَ ، وألقاك خَلفَ هذا الحجابِ
فأنــا ظامــئٌ إلى كُنْــهِ ما فيـــ ـكَ - فما أرتضي فُضولَ الشَّرابِ
لستُ بالمستريــحِ فيكَ إلى الغـــا يَةِ ، لو نِلْتُ من مُنَــايَ طِلَابِــي
ذاك ظنّي ، لكنَّهــا ضَلّــةُ الحُـــ ـبّ ، تريني ضَحْلَ الهوى كالعُبابِ

* * *

---

(١) يَلِظُّ : يلزم ولا يفارق .

فتكشَّفْ عمَّا انطوَيْتَ عليهِ　　لِأَرى في هَواك نَهجَ الصَّوابِ
فأنا مِنك في بَلاءٍ أعانيـ..ـهِ ، ولوْنٍ من المعيشةِ كابي
وجهادٍ ضاقتْ به النَّفسُ ذَرْعاً　　وصعابٍ موصولةٍ بصعابِ
أنتَ دانٍ ، لكنَّ (ما فيك) ناءٍ　　وسبيلُ الحياةِ دونَكَ نابي

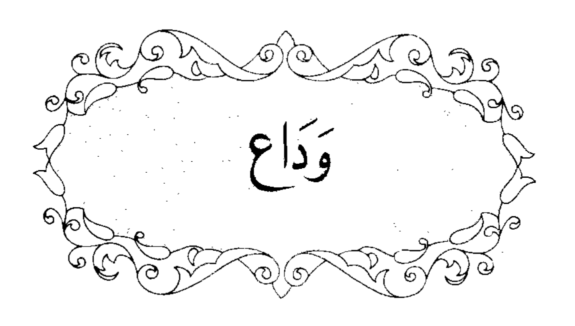
* * *

أَنصيبِي من الهَوى هذهِ الوَقْـ..ـدَةُ ، يَشْقَى بِها فُؤادِي اللَّهيفُ ؟
أفأنتَ الجَاني عَلَيَّ وإلاّ　　هُوَ فكري الظامي وحسّي العَطوفُ ؟
وهما فيك ثائرانِ عَفيفا..نِ كما ثار في القيود الرَّسيفُ
طَلَبَا فيك ما أضلاّه من حُلْـ..ـمٍ (وما فيك) ظاهرٌ مكشوفُ

* * *

وكذا يَطلبُ الخَيالُ الأماني　　وَهْو عن واقع الحياةِ عَزوفُ
والهوى - كالحياةِ - قد يبلغُ الجا..رِمُ منها ، ما لا يَنالُ العَفيفُ
رُبَّ نفسٍ نالتْ مُناها على العَيْـ..ـشِ ، وأخرى نَصيبُها التَّسويفُ
وَهْي دُنيا الشُّذوذِ يرتفعُ الجا..هِلُ فيها ، ويُستَذَلُّ الحَصيفُ

★ ★ ★



وَداع

وَداعٌ ، وهَل لي أَن أَقولَ : إلى لُقَى وبُعْدٌ ، ومَن لي أَن أراه تَمَزُّقا ؟
وفَرحَةُ نَفسِي ، فَارَقَتْها ، وَأَدبَرتْ وكان بها روضُ المَسَرَّةِ مُونِقا
ودنيا هَوًى طَلْقٍ يُصيبُ به الهَوَى طِلابَ مُنَاهُ ، كيفما شاءَ مُطلَقا
أشاحَت ، ولم تَرْعَ الذِّمامَ ، ولو رَعَت لأَبقَت على قَلبي الكَليمِ تَرَفُّقا

* * *

فيا حُسْنُ ما أقسى احتكامَكَ إنْ هفا بكَ الزَّهْوُ لم تَحفِلْ لِعانِيكَ مُوثَقا !
ويا لَيلُ سامِرْني على السُّهد والجَوَى فما زلتُ ألقاكَ السَّميرَ المُوفَّقا
وعُدْ بي إلى الماضِي القريبِ ، وإنْ غدا بَعيداً وإنْ أَذكَى الشُّعورَ مُرَهَّقا
فَقَدْتُ وإيَّاكَ العَزاءَ ، فَمَن لنا به غيرَ أَنْ يَشكو كِلانا وَيَأرَقا

* * *

حَنانَيْكَ حدِّثني ، ولا تُخْفِ ما وَشَى به صَمْتُكَ الآسي هَوىً مُتَدَفِّقا
وقُلْ : كنتُ أهواه هَواكَ ، أَلَمْ تَكُنْ تُنافِثُهُ نَجواكَ ، غَيْرانَ شَيِّقا ؟
تُنيرُ بها أفراحَه ، وشُجونَه وأعمقَ ما يَخْفَى إذا هَمَّ واتَّقَى
أَما كانَ بَدراً فاق بَدرَك بَهْجَةً أَما كانَ أسْنى منه ، وَجهاً ومَفرِقا[1]

---

(١) المفرِق : من الرأس ، حيثُ يُفرَق الشَّعَر .

أباحَتْــه دُنيــاه مفاتــنَ حُسنِهـــا ... وحابَتْـهُ بالأَعلاقِ فاختـارَ وانتقـــى[1]

رَوِينـا به يا ليـلُ ، والدَّهـرُ غافـــلٌ ... كَريمُ دَواعِي النَّفسِ أَعطى فأغدَقـا

تَعَـــزَّ ، ولا تَضْنَكْ بِبُعـــدِ أَرادَهُ ... فإنْ كانَ قد أَظْما فيـا طَالَمـا سَقَى[2]

* * *

ويا قلبُ إن يَعصِفْ بكَ الحُزْنُ فاتَّئِدْ ... فَكَم ضاعَ مَسعىً للقلوبِ وأَخفقَـا

وحـظُّك مِن دُنيـاكَ ما سَنَحَتْ به ... فدونَكَـهُ صَفْـــواً أَتى ، أو مُرْتَقَـــا[3]

فقـد تُخلِـفُ الآمالَ سُحبٌ رَوِيَّـــةٌ ... وتُنجِزُهـا أَخفـى السَّحـائبِ رَونَقَـــا

فيـا لَلْغَـدِ المَرْجُـوِّ هل أنتَ مُقبِـــلٌ ... فألقـــاكَ بالآمالِ أم ليس مُلتَقَـــــى ؟

وهل يَدَّنِي النَّـائي ويَصفـو به الهوى ... كما كان ؟ أم يَبقـى الرَّجـاءُ مُعَلَّقـــا ؟

* * *

حبيبي ، أَلَا عادَتْ بكَ الصَّبوَةُ التي ... تُخالِسُنـــي عنها الكـــلامَ المُنَمَّقـــا ؟

تقولُ – ولا أُنسِيتُ – أَهواكَ شاعراً ... إذا قالَ بَزَّ القائليـــــنَ وحَلَّقَـــــا

وأَهـواكَ نَفّاثـاً لِسحـــرِكَ في دَمـــي ... وفكري ، وأَهواكَ الكَذوبَ المُصَدَّقا

وتُـــقسِمُ ، والأَقسامُ مِن فِيكَ بَرَّةٌ ... ويأبَـى لِنـفسي كِبْرُهـا أَن أُصَدِّقـــا

فصِدقُكَ غيرُ الصِّدقِ في وَزنِ أهلِـهِ ... وهيهات ، إنَّ الفـنَّ أَصعَبُ مُرتَقَـى

وأَعـرِفُ أنَّ الصِّدقَ فِيك حقيقـــةٌ ... ولـو كان مَا تُزجِيـــهِ زُوراً مُلَفَّقَـــا

تَشاكَـلَ رَأْيانـــا ، كِلانـــا لِنــفسِهِ ... هَوًى ، ولكـلٍّ في الهوى ما تَذَوَّقَـا

* * *

---

(١) الأعلاق : مفردها : علْق وهو النفيس من كل شيء يتعلّق به القلب .

(٢) تَضنك : من ضَنَك : ضعف جسماً أو عقلاً .

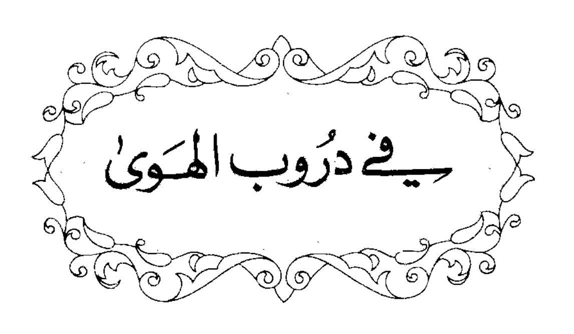
(٣) مُرْتقا : من رتَقَ إذا سَدَّ أو لَحَمَ وأصلح .

وغِبتَ ، فهلاَّ عُدتَ إنْ كنتَ صادقاً فإنّي كَعَهـدي فِطـرَةً وتَخَلُّقَـا ؟
أَبُعْـداً وقلبي من دُنُـوِّكَ ما ارتـوى ودَمعـي على أعقـابِ هَجـرِك مارَقَـا ؟
أَلِلشَّاطِـئِ المَهجـورِ بَعْـديَ فِتنَـةٌ وهل فيه سَلـوى عن مُقـامِكَ بالنَّقـا ؟
إذِ الحَقـلُ يَلقانـا فتعـروه نَشوَةٌ وجَدْوَلُـه المنسابُ يَهفـو مُصَفِّقـا
وإذْ نسماتُ الحَقل تَسْتَرِقُ الخُطَى إلـيكَ فنلقَاهـا ، أَرَقَّ وأَرشَقَـا
و (ليلُكَ) يَغشانا بألـوانِ سِحـرِهِ ويُصغـي إلى سِرِّ الحَبِيبَيْـنِ مُطرِقـا
أَحَـبَّكَ مِثلي ، فارتَضَيْتُ وِدادَه ومـازالَ أَوْفَـى منكَ عهـداً وأَصدَقـا
أعانَ على البلوى ، كما شاطر الهَوَى وودَّعتَ لم تعطِفْ ، وسَلَّى وأَشفَقَـا

* * *

لقد كنتَ مَعنى الحُسْنِ في الحَقلِ والدُّجَى وفي النَّسمَةِ الحَيْرى وفي المَاءِ رَيِّقَـا
وتَـالله ما أدعـوكَ للـحُبِّ والجَنَـى ولكنَّني أَهـواكَ للطُّهـرِ والتُّقَـى
ويا بَحرُ هل أدعوكَ للشَّمسِ مَغرِبـاً وقـد كنتَ للشَّمسِ الحَبيبـةِ مَشرِقـا ؟

★ ★ ★



في دروب الهوى

أَمَّا الهَوَى فلقــد وُلِــدتُ ببابِــهِ ... وأَخــذتُ ملءَ يَدَيَّ مِن أسبابِـــهِ
ووَعَــيْتُ ما عانــيتُ من أَسرارِهِ ... مِمَّـــا يَضَنُّ بِهِ وراءَ حِجابِـــهِ
وقَطَعتُ تِيــهَ سُراهُ طَوْراً أَنــتَشي ... في حَانِــهِ ، وأُنــيبُ في مِحرابِــهِ [1]
ظَمــآنَ أَرتــقبُ الحقيقــةَ مَوْرداً ... لَمَّـــا أَزَلْ متعلِّقـــاً بِطِلابِـــهِ
فإذا الهوى ؛ وإذا الحَقيقةُ في الهوى ... هَنَتَــانِ تَنْــدَسَّانِ في آرابِـــهِ [2]
أَتَرى الجَمـالَ سِوى حَبائِلِ دَعوةٍ ... عَصَفَت بخامِلِ صَيْدِهـــا والنَّابِـــهِ
هو مَنهجُ الأَحيــاءِ عَبْــرَ حياتِهـم ... سِيَّـــانِ راكِبُ صخــرِهِ وترابِـــهِ
ولقـد تُطالِعُك النُّفــوسُ بغَيــرِ ما ... طُبِعَت عليه من الأذى وَكِذَابِـــهِ
فاخفِضْ جَناحَك للهَجيرِ ولا تَهُـنْ ... فلقـد تُصيبُ الماءَ خلــفَ سَرابِــهِ [3]
تَجري بنا الأيامُ عاثِرةَ الخُطـــى ... أَسْرى الضَّيـاعِ نَهيمُ بين شِقَائِـــهِ
نَسعى .. وكَم نسعَى وراءَ ضَلالَةٍ ... مِمَّـــا يَبُثُّ الوَهـــمُ بين ضَبابِـــهِ
أَمــلٌ تفــيضُ له النُّفــوسُ بَشاشةً ... فَتفيضُ يأساً بعــدَ خوضِ عُبابِـــهِ
ليتَ الخَيالَ وَفَى بِمـــا هامَتْ بِهِ ... مُهَـــجٌ نَجــودُ بها على أبوابِـــهِ

---

(١) السُّرى : سَيْر عامة اللّيل . أنيب : من أناب : رجع ، وأناب إلى الله : تاب ورجع .
(٢) الهَنَة : مؤنث الهَنِ ، والجمع : هنات وهنوات ، وهي الشرور والفساد .
(٣) ولا تَهُنْ : ولا تَذِلّ ، من هان يَهُون إذ ذلّ .

يا ليلُ كَم نَطوي الجِراحَ على الأذى ... ونَذوبُ في بَرْجِ الأَسى ومُصابِهِ

يا ليلُ ضاقَ الصَّبْرُ من طُول السُّرى ... بالصّابرينَ تَلَفَّعُوا بسَحابِهِ

حَتّامَ نَقضِي في مَعَابِرِ تِيهِهِ ... وَإلَامَ نَمضي في تَجَرُّع صَابِهِ؟[1]

راحَ الشَّبابُ بنا إلى غاياتِه ... صَرعَى لِتُؤْذِنَ بانطواءِ كتابِهِ

شِخْنا وما شاخَ الزَّمان ، وما لنا ... من شَائِخٍ نرجوُه عند شَبابِهِ

وتناهَبَ السَّاعون كلَّ ذَميمةٍ ... للعَيشِ مُرْتكِساً على أعقابِهِ

ضاقَ المَجالُ بنا على سَعَةٍ بِهِ ... وتَعَجَّلَ الحُذَّاقُ نَهْبَ رِحَابِهِ

جدة : ١٤/٥/١٣٨٤ هـ



(١) الصَّاب : شدة المرارة .



صَمْتُ الحزين

لَعَتَبْتُ لو أَجدَى العِتابُ وإنَّما … صَمْتُ الحزينِ تَعَتُّبٌ وخِطابُ

وصَرَفتُ نفسي ، لو أَطقتُ ، عن الهوى … وَهَوَانِه لكنَّها الآرابُ

تأبى فَنَاءَكِ حيثُ أنتِ بمهجتي … رمزُ البقاءِ وسِحْرُهُ الخَلّابُ

أنا مَن أضاعَكِ مسترِيباً ساخِطاً … وَقَسَا عليكِ إذِ القلوبُ غِضابُ

واليومَ يَسْتَدْنِيكِ ملتهِبَ الحَشا … وحنينُه للكِ لو قَدَرتِ مَتابُ

ماذا ؟ أَيطويكِ السَّقامُ غريبةً … عنه وأنتِ له مُنًى وطِلابُ ؟

ويظلُّ يسمعُ عن أَساكِ لِفعلِهِ … بكِ ما يُسَاءُ بِذكرِهِ ويُعابُ ؟

أَعزِزْ بغَضْبَتِكِ الحبيبةِ إنَّها … لِعُزوفِ قلبي عن هَواكِ عِقابُ

كانتْ ضلالةَ ثائرٍ أحرجتِهِ … فَنَأى ، بأنَّ مُناهُ فيكِ كِذَابُ

حتّى تَألَّفه ضَنَاكِ وَقَادَهُ … ماضيكِ وَهْوَ القاهِرُ الغَلّابُ

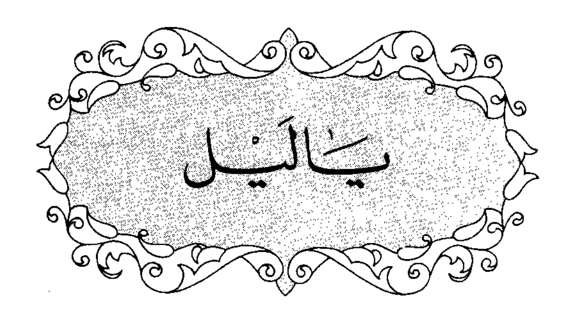
فإذا هفوتُ إليكِ بعد تَمَنُّعٍ … فَبِما أصابكِ فِيَّ وَهْوَ عُجابُ

قالوا : صَمَتٌّ ، وتلك منكِ بلاغةٌ … سَلَّتْ سَخِيمَةَ مهجتي ، وعِتابُ

أَفكنتِ آبيةَ الكلامِ تكبُّراً … أم كان يَمنعُكِ الكلامَ مُصابُ ؟

فلقد بلغتِ بصمتِ حُزْنِكِ غايةً … مِن دُونها الإيجازُ والإطنابُ

★ ★ ★



يـا لَيـل

يا ليلُ طُلتَ ، أَضَلَّ نجـ.......ـمُكَ أم تَرَيَّثَــهُ القَــدَرْ ؟
رُحماكَ سِرْ ، فالكَرْبُ أثـ.......ـقلَني وعَذَّبني السَّهَــرْ
قد كنتُ آنَسُ فيكَ بالـ.......ـقَمَرِ المُنيرِ وبالنّجــومْ
مُفْتَـــرَّةً ، خَفَّاقَـــةً.......والآنَ يَغْمُرُها الوُجــومْ
والبَدرُ ليس كعَهـدِهِ
واهــاً لماضي عَهـدِهِ

يا ليلُ حُلْتَ ، وغاض بِشْـ.......ـرُكَ واستحالَ إلى قُطوبْ
هيهاتَ ، لَسْتَ كما عرَفْـ.......ـتُكَ تَستثيرُ هَوَى القلوبْ
بِرُواءِ بدرِكَ أو نَسيـــ.......ـمِ عليــلِكَ المترَقْــرِقِ[1]
وجمالِ وَحْيِكَ أو رَسيـ.......ـلِ خيــالِكَ المتَدفِّــقِ
يَرْوَى بهِ زَهْرُ الشبّابْ
وقد ذَوى زَهْرُ الشَّبابْ

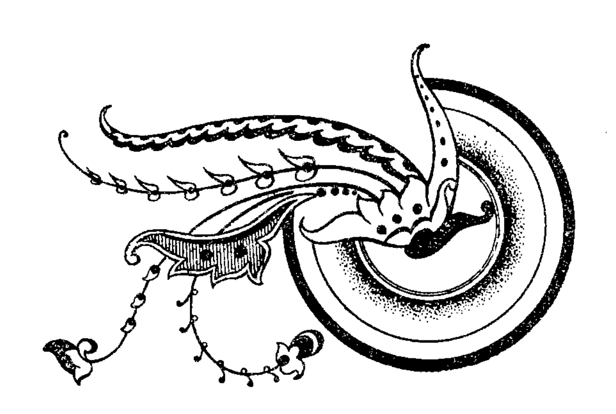
يا ليتَ شِعْري ، هل تَلَفَّـ.......ـتَ حين وَدَّعَ أو مضى ؟
مستحِقـراً شأنَ الشَّبـا.......ب المُسْلِميهِ إلى القَضَا

---

(١) لعلّه يريد « عَلِيلِ نَسيمِكَ » فوَهِم في الكتابة .

الصاخِبيـــــنَ إذا السَّلا.........مةُ جلَّــلتْ بِرُواقِهـــــا
والنَّاكِليـــنَ إذا الكريــــــ.........ـهةُ شَمَّـرَت عن ساقِها
يتكالبـونَ على الحيـــاةْ
وموتُهـم عَيْـنُ الحيـــاةْ

أيـنَ الشَّبـابُ وأيـــن ما.........وَعَــدَتْ به أَقوالُـــــهُ ؟
هل كان وَقْتِــيَّ البَقَـــا.........ءِ صياحُــــه وصِيالُـــــهُ ؟
أو تلك ثائرةُ الشَّبابْ ؟
أُفٍّ لِثائِـرةِ الشَّبـــابْ





لا تقولي أهواكَ

يا بقايـا الشُّعـاعِ مِن أَلَـقِ الشَّمسِ تُحَيِّـي البِطـاحَ عنـد الغُـروبِ
أنتِ إيماءَةُ المحِبِّ بشَكـواهُ تَجَـلَّت عن بَثِّـه لحبـيبِ
لغـةَ الصَّمت ! هل يُدانـيكِ في الإعجـاز قَوْلٌ مِن مُفصِحٍ وَهَيـوبِ ؟
ما غَنـاءُ الكَـلامِ عن لَهفَـةِ الأنـفسِ في مَوقِـف الـوَداع الرَّهـيبِ ؟
رُبَّ صَمتٍ أَدَّى ، وصَوَّر ، عن رُوحٍ لِرُوحٍ ، أَنـأى خَفَايـا القلـوبِ

* * *

فاعـرِفي يا حَبيبَـةَ الأمسِ أَنَّ الحبَّ نَجْـوى ، ونَشوةٌ ، وشُعـورُ
وَحَنيـنٌ إلى السَّكينـةِ يَسْتَلِهـمُ ألحانَهـا الحِجَـى والضَّميـرُ
لا هُيامـاً مقيَّـداً بدواعيـهِ ، وقـولاً به اللِّسـانُ يَدورُ
أو غليـلاً يَرى الرَّغـائبَ وِرْداً يَستـوي عِنـدهُ التُّقَـى والفُجُـورُ

* * *

اِنطَـوَى مجلسُ الدُّجـى بِسَنَـا الآمالِ نَشْوى وَلاحَ صُبْـحٌ عَبُـوسُ
واختَفَـى سامِـرُ الـرُّؤَى ونَدَامَـاهُ ومـادَت بما تحسُّ الـرُّؤوسُ
فابسِمي بَسمَـةَ الوَداعِ ، فهل كانَ ؟ لِيبقَـى ؟ ذاكَ الهَـوى والـرَّسيسُ؟[1]

---

(١) الرَّسيس : الثابت ، والبقية الباقية .

لا تقولي : أهــواكَ ، قد فرَغَ الــدَّنُّ ، وطــاحَت بِجانِبَيْــهِ الكُــؤُوسُ
والهَــوى يا حبيبــةَ الأمسِ وَهْــمٌ ، استَــرَقَّتْ بهِ النّفــوسَ النُّفــوسُ

* * *

لا تَقُولي : أهواكَ . قَد أيقظَ الوَعــيُ فؤادي وآنْجــابَ عنــه الخُمــارُ
بَل هَبينِــي عُمْــرِيَ المُــرْدِي على صَدرِكِ تبكــي شَبَابَــهُ الأوطـــارُ
وعُلالاتُـــه ، وأحلامُـــهُ فيكِ ، طَواهـــا ، وكـــمْ طَوى التيَّـــارُ
وأعيـــدِي أمْسِي ، وقـــد كنتُ في أمْسِيَ دنيـــا ، يَلُفُّهـــا إعصارُ
لم يكـــن لي فيها خِيـــارٌ فأسلـــمتُ حيـــاتي ، ومـــا لِعَـــانٍ خِيـــارُ [١]

* * *

لا تقـولي : أهــواكَ ، لم يُبْـقِ لي فيكِ خَيــالي ، وقــد تَحَطَّــمَ ، وَهما
ذاكَ حُبُّ الزُّهــور للجــدولِ الحافِــلِ رِيًّــا ، كَيْــلا تَجِــفَّ وتَظْمَـــا
مِنَّـــةٌ لا أُطِيقُهـــا ، ونفـــاقٌ عِفْتُـــهُ ، والهَـــوى أعَـــفُّ وأسمَـــى
هو رمـــزُ الفِـــداءِ ، مفتَقِـــداً فيكِ عَزاءً ، ومـــا أسومُكِ ظُلمـــا
وَهْـــو معنَـــى الوفـــاءِ ، ترعـــاهُ أهـــواؤُكِ إسماً ، وتَجْتَويـــهِ مُسَمَّـــى

* * *

لا تقـــولي : أهـــواكَ ، إنَّ حيـــاتي واقِـــعٌ قاتِـــمُ الظِّـــلالِ مَخـــوفُ
كانَ لي في الهَـــوَى رَبيـــعٌ وَوَلّـــى ، وتـــلاشَت أصداؤُه والطُّيـــوفُ
فأنـــا اليـــومَ بين أطْـــلالِ يأسي طلَـــلٌ للرِّيـــاحِ فيـــهِ عَزيـــفُ

---

(١) العاني : الأسير ، الذليل .

طلَــلٌ موحِشٌ أَنــاخَ بِهِ الحُــزنُ وأرسَى ، هذا الضبَّـــابُ الكثيـــفُ
إستقـــرَّت بِهِ رغـــائبُ روحـــي جُثثـــاً مَثَّـــلَتْ بهنَّ الصُّروف

* * *

الهَــوَى ، يا حبيبتــي ، قَد بَلَوْنــاهُ ، فراحَت غاياتُنــا فيــهِ صَرعَــى
هو نارٌ وَقودُهــا قُدرَةُ الحَــيِّ ، على أَن يظــلَّ للنــارِ مَرعَــى
والمَوَدّاتُ تَشتــرِي الجِــدَّ بالهَــزلِ ، وتُعطِــي وَتْــراً لِتأخــذَ شَفعــا[1]
والمروءاتُ تقــتَضي بمساعــي الجُــود صِيتــاً - على الرِّيــاءِ - ونَفعــا
والعبــاداتُ ترتَــدِي مظهــرَ الخيــرِ على أفظــعِ المناكــرِ دِرْعــا

* * *

لا تقــولي : أَهــواكَ ، إنّ بعينَــيْكِ حنينــاً إلى دُفــوف الغــابِ
ولأنفــاسِكِ اللّهيفــةِ شَوقــاً يتلظَّـــى ، إلى كؤوسِ الشَّرابِ
أنتِ في مَطــلَبِ الطَّبيعَــةِ أُحبولَــةُ سِحــرٍ مَنصوبــةٌ للشَّبــابِ
والحُمَيَّــا أداةُ سلطــانِكِ القاهــرِ يَسطــو بظُفْــرِهِ والنَّــابِ
فَدَعـــي لي بقيَّـــةً من كيـــانٍ واهِـــنٍ آدَهُ صِراعُ العُبــابِ

* * *

أَفَلَسْنَــا ، والحبُّ مطــلَبُ نفسَيْنَــا ، غريبَيْــنِ في سبيـــلِ الوجــودِ ؟
جمعَتْنَــا أسبابُــه مثلمـــا تجمـــعُ ضِدَّيْـــنِ ، صائِـــداً بمَصِيـــدِ
فمضَيْنــا على هَوًى ، يُبْطِــنُ الغايــةَ منــه ، بيــنَ الظَّمــا والــوُرودِ
وانتَشَيْنــا - بَلِ انــتَشَيْتِ - فقــد ضاع نَصيبــي بين الأَسى والجحــودِ

---

(١) الوَتر : الفرد من العدد ، وعكسه : الشَّفع .

لا تقــولي : أهــواك ، فالحبُّ قَيــدٌ ، ودواعــي الحيــاةِ ضدُّ القيــودِ

* * *

اِذهَبــي مَذهبَ الطَّبيعـــةِ ، لا تَعــرِفُ إلاّ غاياتِهــا من سُراهــا
وافــعلي فِعلَهــا ، فأنتِ صَدَى الدَّعــوةِ منها ، في عَهْرِهــا وتُقاهــا
إنَّمــا أنتِ زهــرةٌ ذاتُ عِطــر ، نَمَّ عن مَطــلَبِ الوُجــودِ شَذاهــا
وسواءٌ عنــدَ الزُّهــورِ ، إذا رَفَّ سَناهــا ، مَن صَانَهــا أو جَناهــا
لا تقــولي : أهــواكَ ، إنَّ هوى الأنثَــى خِداعٌ مُعَبِّـــرٌ عن مُناهــا

* * *

هَدَرَ اليَــمُّ ، يا حبيبــةَ أُمْسِي ، فَدَعينــي أُدفَـــعْ عليـــهِ شِراعـــي
ضاعَ عُمْــري على المُنَــى بيــنَ ماضٍ مُستطــارٍ وحــاضرٍ مُتَداعـــي
سوف أَمضي لغايتــي مُثخَــنَ الصَّدرِ ، وأَطــوِي قَلبــي على أوجاعـــي
غايةٌ دونَهــا الدُّنَــى ولُغُــوبُ النَّــفسِ والوَعــرُ واحــتضارُ المساعـــي [1]
غايــةُ اليــائسِ الــذي كَرِهَ العــيشَ وأسبابَـــه بِدُنيـــا الخِـــداعِ

* * *

لا تقولي : أهواكَ ، لستُ بسكــرانَ فأَهفُــو ، أَبَعْــدَ ما جَفَّ كَرْمــي ؟
وابسِمي بَسمةَ الوَداع ، وخَلّيني لِجُرمــي ، فقــد تعاظَــمْتُ جُرمــي
وَدَعينــي على الطبيعــةِ أُلقِــي عن فؤادي الطَّليـــحِ أَعبـــاءَ همِّــــي [2]
شاكيــاً ما لقـــيتُ من عَنَت الدّنيـــا إليها ، إنّ الطبيعـــةَ أُمّـــي

---

(١) اللغوب : التعب .
(٢) الطليح : المهزول والمجهود .

غاسِلاً بالدّمـوعِ ، بالنَّـدَم الملتـاعِ ، في تَوبَتـي جَرائِـرَ إثْمـي

* * *

لا تقـولي : أَخشَى علـيكَ العـوادي ، أَيَّ شيءٍ أَبـقتْ عواديكِ مِنّـي ؟
وَكِلِينِـي لِوَحْـدَتي في زوايـا الصَّمتِ أَسرِي على غيـاهِب حُزني
وتنـاسَيْ عَهـدِيَ البئـيسَ ، فإنْ شاقَكِ أَمـري فَسَائِلي اللَّيـلَ عَنّـي
فأنـا فيـهِ قِطعـةٌ من دياجِيـهِ ، عَدَاهـا عن اليقيـنِ التَّظَنّـي
فآهـرُبي من نهايَـةٍ حَرَّم الماضِي عليها حتّـى عزاءَ التَّمنّـي

* * *

إنّمـا أنتِ دُميَـةٌ من صَنيـعِ الوَهـمِ فيها أَو صُورةٌ في إطـارِ
لا بِمـا تَبغِـي القُلـوبُ ، تَكَفَّـلْتِ ، ولكـنْ بمُتعـةِ الأَنظـارِ
مَنْ لِنـفسِي بالوهـمِ فيكِ ، فألقـاكِ وتلقَيْنَنِـي أَليفَـيْ قَرارِ ؟
فلقـد طالَ بالحقائـقِ للنَّـاسِ افتِقـادِي ، وفي الحيـاةِ عِثـاري
وَيْ لهَـا من حقائـقٍ زَلـزلَت صَرْحَ خيـالي ، وقَتَّـلَتْ أوطـاري

* * *

لا تقـولي : أهـواكَ ، لستُ على صحـراءِ حِسِّي اللّاظِي سِوى ابـنِ سَبيـلِ
عاثـرِ الحظِّ ، والخُطـى ، يَخبِـط الوَعـرَ بِوَعـرٍ ، مِن يأسِه والغَليـلِ
مَالَـهُ غايـةٌ ، ومـا غايـةُ الحَيْـرانِ تَجـري بين السُّرى والقُفـولِ ؟
والهَـوى ، يا حبيبـةَ الأمسِ ، لا يَحْيـا على جَفـوةِ المُنـى والذُّبـولِ
فانشُدي الـحُبَّ في المشاعِـرِ ناراً لا مِثـالاً مُصَوَّراً في العقـولِ

* * *

تَعِسَ العقـــلُ إنَّـــه خانـــقُ الفَرحـــة في النَّـــفس يَتَّقـــي عُقباهـــا

فَهْـــو للـــحِسِّ والمشاعِـــرِ قَيـــدٌ ، شَلَّ أحلامَهـــا ، وعـــاقَ رُؤاهـــا

طالَمَـــا هامَ بالمَـــوارد ظمـــآنَ ، فلمَّـــا وَاتَـــى الـــوُرُودُ أَبَاهـــا

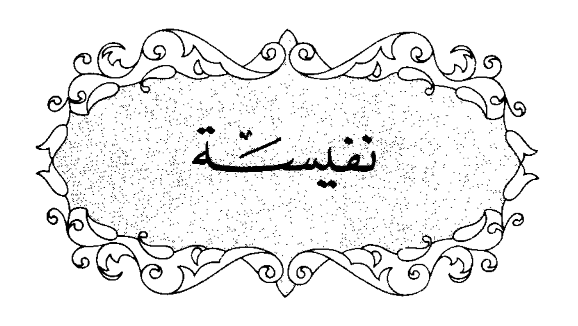
صَدَّه عن حِياضِهـــا هَدَرُ الغَايـــةِ فيمـــا استَشَفَّ مِن مَعناهـــا [1]

تَعِس العقـــلُ هائمـــاً بالنّهايـــاتِ يَراهـــا حِسَّ النّفـــوسِ سَفَاهـــا [2]



(١) الهَدَر : ترديد الصوت والكلام .

(٢) السَّفاه : الجهل والطيش .



نفيسة

أُلْهِمْتُ – والحبُّ وحيٌ – يومَ لُقياكِ رسالةَ الحُسْنِ ، فاضَتْ من مُحَيَّاكِ

مِنِ أينَ يا أُفُقي السَّامي طَلَعْتِ بها حقيقةً ما اجْتَلاها النُّورُ لَوْلاكِ ؟

كانت بنفسي – وقد طال المَدى حُلُماً فَصَوَّرَتْهُ لِعيني اليومَ عَيْنَاكِ

لَم أَشهدِ الحُسنَ يَبدو قبلَ مَوْلِدِها إلَّا صِناعةَ أَصباغٍ وأَشرَاكِ

حَتَّى بَرزتِ بهِ في ظلِّ معجِزَةٍ يُضاعِفُ الصِّدقُ معناها بِمَعْناكِ

ونفحةٍ من عَبيرِ الغيبِ تُرسِلُها للحالمينَ بِسِرِّ الغيبِ رَيَّاكِ

ونَغمةٍ من أغاني الخُلْدِ وَقَّعَها لِمُهجتي طَرْفُكِ السَّاجي وَعِطْفَاكِ

سَمَا الخيالُ بها نَشْوانَ منطلِقاً مِن أَسْرِ دنياهُ مَشغوفاً بدنياكِ

دنيا الهَوى والمُنى ، تَروي مفاتِنَها روافدُ الطُّهرِ شِعراً من سجاياكِ

* * *

يا جارةَ اللّيلِ ما فاضت شواطئُهُ سُكْراً وعَربدةً لولا حُمَيَّاكِ !

ولا استهَلَّ شِراعٌ فوقَ صَفْحَتِهِ مُغالباً وَجْدَهُ إلّا لِيلقاكِ

ولا سَرَتْ عَبْرَ مجراهُ نَسائِمُهُ إلّا لِتَلْثِمَ في صَمتِ الدُّنَى فَاكِ

ولا تنفَّس فَجرٌ في خمائِلِهِ إلّا لِيملأَ عينَيْهِ بِمَرآكِ

والبدرُ ما زَهِدَتْ عيناه في سِنَةٍ وجابَ آفاقَهُ إلّا لِيَرعاكِ

وما شَدَتْ بذُرى أَيكٍ بلابِلُهُ إلّا لِتَنْعَمَ بالتَّغريدِ أُذْناكِ

* * *

يا مِنحةَ اللّيـلِ ما أَحلى روائِعَـهُ هل أنتِ من سِحرِهِ أم قد تَبَنّاكِ ؟
وهـل تَرَعـرعْتِ طفـلاً في معابـدِهِ أم كاهِـنٌ في رُبى سِينَـاءَ رَبّـاكِ ؟
أم كُنتِ لؤلـؤةً في يَمِّـهِ سُحِـرَتْ فَصاغَكِ اليَـمُّ مخلوقـاً وأَنشاكِ ؟
أم أنتِ حوريَّـةٌ ضاقتْ بموطِنِهـا فَهاجَرَتْـهُ صنيعَ المُضْنَك الشّاكي ؟
فَضَمَّكِ اللّيـلُ في رِفـقٍ ، فَهِمْتِ بهِ حُبّـا ، وَوَثَّـقتِ نَجـواهُ بِنَجْـواكِ ؟
أم أنتِ أُسطـورةٌ قامت بفكرتِـه تَحَـوَّلَتْ غادةً لَمّـا تَمَنّـاكِ ؟
أم أنتِ من كَرْمِ باخُـوسٍ معتَّقَـة قد انتَفَضْتِ حياةً حينَ صَفّـاكِ؟[1]
بل أنتِ مِن كلِّ هذا جوهَرٌ عَجَبٌ قَضَى فَقَـدَّرَكِ البـاري وسَوَّاكِ

* * *

يا فرحـةَ النِّيلِ يا أعيـادَ شاطئِـهِ يا زَهـرَ واديـهِ يا فِرْدَوْسَهُ الزّاكي !
يا ذُخـرَ ماضيـهِ مِن فَنٍّ وعاطفـةٍ قَيَّدْتِـهِ بِهِمـا لَمّـا تَصَبّـاكِ !
فأنتِ رهـنُ حِماهُ فتنـةً وهـوًى لكنَّـه بِهَـواهُ رهـنُ يُمنـاكِ
جَمَعتُما السِّحرَ أسبابـاً فَأَيُّكُمـا في هَوْلِ قُدْرَتِهِ المَحْكِيُّ والحَاكي ؟
كانت ضحايـاهُ في الماضِي عرائِسَه فَهالَنـي أَنْ أراهُ من ضحايـاكِ

* * *

يا سِرَّهُ المنطوي في صَمتِ عزلتِـهِ هل ضاقَ فيكِ بما عانَـى فَأَفشاكِ ؟
عاطَيْتِه بِصِبـاكِ الـغضِّ مُترَعَـةً له كؤوسَ الهَـوى صَفْـواً وعاطاكِ
فشاقَهُ الـكشفُ عن أغلى نفـائِسِهِ في عالَـمِ السِّحرِ مَزْهُـوّاً فزَكّـاكِ
أَسْكَرْتِـهِ فاستجـابَتْ أَريَحِيَّتُـهُ فكـنتِ مِنَّتَـهُ للفَـنِّ أَهـداكِ

---

(١) باخوس : رمز الخمر في الأدب الإغريقي والروماني .

وطـالما وَهَبَ السَّكـرانُ مُبتـذِراً   أَسمى ذخائِـرِهُ في غَيـرِ إدْراكِ

* * *

يا بنتَ آمونَ هاتِي السِّحرَ مُعْتَصَراً   مِن كَرْمِ حُسنِكِ يُذهِلْ مَن تَحَدَّاكِ !
سِحْراً بَعثتِ به قلبي الذي سَكَنَتْ   أَنباضُه فاستـوى حيّـاً وحيَّـاكِ
فالسِّحـرُ قبـلَكِ قد غاضَتْ موارِدُهُ   حتَّى تكشَّفَ عن نَبعَيْهِ جَفنـاكِ

* * *

يا أنتِ ، يا نبعَ أَحلامي ، ومُلهِمتي   سِرَّ الجمالِ تَجَلَّى ، في مزايـاكِ !
يا هاتفاً من ضميرِ الغيبِ أَشْرَقَ في   قلبـي بِدَعوتِـهِ ، شمساً ، فلبَّـاكِ !
ما النِّيلُ ؟ ما غِيدُهُ ؟ ما الشَّطُّ مُزْدَهِياً   بِهِـنَّ ، إلّا إطـارٌ حَوْلَ مَغنـاكِ
لو يُسأَلِ الدَّهـرُ عن فَتَّانَـةٍ بَلَـغَتْ   حَدَّ الكمالِ ، لَمَا استَثنَى ، وسَمَّاكِ

* * *

يا فَجرُ ، يا بدرُ ، يا زهرَ المُنى ابتسمَتْ   يا خمرُ ، يا جمرُ في إحساسِيَ الذَّاكي !
ما كنتُ قبلَكِ إلّا صادحاً صَمَتَتْ   به الهُمومُ ، فلمَّـا لُحتِ غَنَّـاكِ
أريتِهِ الشِّعـرَ لحظاً رائعـاً ، وفَمـاً   سقاهما ، من مَعِينِ السِّحرِ ، خَدَّاكِ
وملعبـاً من ملاهـي الحُـورِ راعشةً   أَضواؤُهُ يتبـارى فيـه نَهـدَاكِ
ففاضَ بالشِّعرِ ، إنْ يبدِعْ بِهِ صُوَراً   فإنَّمـا هُوَ بالتَّعبيـرِ حاكاكِ

* * *

يا شمسَ بولاقَ ما أَحناكِ مُطْفِئَـةً   غليلَ عاطفتي الحَرَّى ، وأَنـدَاكِ !
أَنَرْتِ ليلَ حيـاتي واطَّلـعتِ على   قلبٍ تَفَجَّـرَ نوراً مذْ تلقَّـاكِ

فإنْ وهبتُكِ روحي كنتِ واهبَتي ... سعادَتي ، فهما من فيضِ جَدواكِ
وحَسْبُ صنعِكِ إجلالاً لروعتِهِ ... ألّا يُثيبَكِ مَنْ بالرُّوح فَدَّاكِ

* * *

يا شمسَ بولاقَ يا يَنبوعَ فِتنَتِها ... يا بسمةً أشرقَت في مقلةِ الباكي !
عجبتُ فيكِ وأسبابُ الهوى قَدَرٌ ... لا يَحتمي أعزلٌ منه ولا شاكي
الحبُّ قلبانِ في مَسراهما التَقَيا ... فكيف ألزَمَني قَيْدي وخَلّاكِ
وفيمَ أنفَذَ في قلبي إرادتَهُ ... وقادني لمصيري إذْ تحاماكِ ؟
لم يعطِني منكِ إلّا الحُسنَ هِمْتُ به ... حتّى استردَّكِ غَيْراناً وحابَاكِ
وأينَ قلبُكِ ؟ لم أسمعْ لخفقتِهِ ... صَدًى ؟ ألم يَعْنِهِ أنّي مُعَنَّاكِ ؟
وأينَ عَطفُكِ من عانٍ غَدَرتِ بِهِ ... تاللهِ ما اختار أن يَشقى فيهواكِ ؟
وإنّما كان منساقاً لغايتِهِ ... رمى به القَدَرُ السَّارِي فوافاكِ
فَضَلَّ بي تيهِكِ المرهوبِ مُعْتَسِفاً ... لم يُنْجِهِ منكِ إحجامٌ وأنجاكِ
ساقيتِهِ النظرةَ الأولى وُعُودَ مُنىً ... ضاءَتْ ببسمتِكِ النَّشوى وساقاكِ
فكنتِ كأسَ الطَّلى تغتالُ شاربَها ... وما أرى أنَّ عُقباها كعُقباكِ
فأنتِ أعنفُ منها وَطْأةً بِحِجى ... وأنتِ أقسى خُماراً في أساراك[1]
وأنتِ أروى وأدوى للذي لَعِبَت ... به مراشِفُكِ الظَّمْأىٰ فَوَالاكِ

* * *

لِمَنْ هواكِ ؟ لِمَن نَجواكِ ظامئةً ... لِمَن حَنينُكِ يَمشي في حناياكِ ؟
أثَمَّ قلبٌ سِوى قلبي المعذَّبِ في ... هَوَاكِ أغرَيْتِهِ حبّاً وأغراكِ ؟

---

(١) الخُمار : ما يصيب شارب الخمر من ألم وصداع .

فإنَّ في وجهِكِ الضَّاحي ظلالَ هَوىً مخضوبــةً بالأسى المطــويِّ يَغشاكِ
هل أنتِ بالمُثُــلِ العُليــا مُولَّهَـــةٌ رأيتِ واقعَهـــا زَيْفـــاً فآساكِ ؟
فإنَّهـــا قصَّةُ الأحيـــاءِ من قِدَمٍ تَمَثَّــلَتْ في شياطيــنٍ وأمـــلاكِ
وإنَّــه واقــعُ الدُّنيــا وسيرتُهـــا تَخَيَّـــرا بين فُجَّـــارٍ ونُسَّاكِ
والشّــرُّ قانونُهـــا في كلِّ معتَـــرَكٍ وربَّمـــا اخترتِـــهِ ناراً فأضراكِ
فإنَّ فيكِ – على ما فيكِ من دَعَةٍ – ضراوةَ الفَــتكِ لم يَسْتُــرْهُ بُرْدَاكِ
أم أنتِ عابثـــةٌ تلهــو بطالِبهـــا وما أنا غيــرُ مفتــونٍ بمَرعــاكِ ؟
أم أنتِ عاشقـــةٌ ضاقت بغايَتِهـــا حيرانـــةً بين أزهـــارٍ وأشواكِ ؟
أم أنتِ مهجورةٌ أضناكِ ذو صَلَفٍ أسعدْتِهِ فارتَضَى أُخرى وأشقَـاكِ ؟
بُوحِي ولا تكتمي السرَّ الدَّفينَ فقد وَشَّى بهِ لَحْظُكِ الآسي لِمضنـاكِ
فقــد تَعَثَّــرَ مفجوعــاً بمطلَبِـــهِ فيمـــن يحبُّ وبَلــواه كبلـــواكِ
بَيْني وبينَكِ عهدٌ ما حَفَـــلْتُ به من يائسِ الحبِّ أشجاني وأَشجاكِ
وقــد يؤلِّــفُ بين اثنيـــنِ حزنُهمـــا وربَّمـــــا باحَ محزونٌ فواساكِ

* * *

يا بنتَ حوَّاءَ هل بالـــدَّنِّ باقيـــةٌ تُغْنِـــي فيشرَبَهـــا مَن ليس يَنساكِ ؟!
فقــد حَمَلتُ غليلَ الوَجدِ مرتقِباً نُعمـاكِ ودّاً فلم أظفــرْ بنُعمـــاكِ
أظمَأتِنـــي وصرفتِ الكـــأسَ ظالمةً عنّي بثغرٍ على الحالَيْــنِ ضحَّـــاكِ
أكلّمـا ساءَ ظنّـــي فيكِ واندلـــعَتْ نارُ الشُّكوكِ بقلبـــي في نوايـــاكِ ؟
بدا لعينـــــيكِ في ظلِّ الأسى قَبَسٌ من الحنـــانِ فأرجـــوه وأخشاكِ ؟
وأَيَّ حالَيْكِ أرجو والطريقُ دجىً غشَّاهما بظـــلامِ اليـــأسِ حالاكِ ؟

شَرِقتُ فيكِ بدمعي وانطويتُ على ... نَزْفِ الجراحِ بقلبي وَهْو مأواكِ
أَنَّى اتَّجهتُ بعيني لم أجدْ فَرَجاً ... لي في هواكِ ولا سلوى فَرُحماكِ
أَلا أراك ؟ ألا أصغِي إليك ؟ ألا ... أصوغُ فيكِ عُلالاتي لِألقاكِ
لم يُلْهِني عنكِ ما في مِصرَ من أَرَبٍ ... فَمَن نأى بكِ عن حبّي وأَلْهاكِ
مَن لي بليلِكِ في المصطاف سامرةً ... والبدرُ والبحرُ فيه من نداماكِ ؟
وأنتِ أَفتَنُ ما فيه ، وأبعثُه ... للوَجدِ في كل ذي حِسٍّ تَمَلَّاكِ

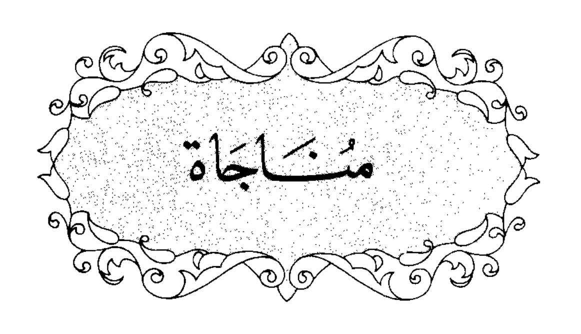
* * *

يا بنتَ حوّاء ! إن أَبعدْتِ غادرةً ... وَفَّى الخيالُ على بُعْدٍ فأَدناكِ !
وما الخيالُ بمغنٍ عنكِ نائيةً ... لكنَّها نفثةُ المحرورِ ناداكِ
طامنتُ من كبريائي فيكِ فاحتكمي ... فالحبُّ أرخصَ من قَدْري وأغلاكِ
أنتِ الحياةُ بلونَيْها مُحببَّةً ... فما أرقَّكِ في نفسي وأقساكِ
فليتَ لي منكِ بالدُّنيا وما وَسِعَت ... يوماً يجود به للوصلِ مَسْراكِ
يوماً هو العُمْر والآمالُ ليس به ... إلا الكؤوسُ ، وأشعاري وإلّاكِ

* * *

إنِّي بما شئتِ بي يا فتنتي أملٌ ... في ظلِّ مأساتِهِ يَحيا لِذكراكِ
ما كنتِ يا قَدَري العاتي سِوى امرأةٍ ... مِمَّنْ عَبَرْنَ بقلبي لَوْ تَوَقَّاكِ !

★ ★ ★



مُنَاجَاة

لا تَصولُ الجِيـــادُ حيثُ تَصُولُ فكثيرٌ ، من مُقتفِـيكَ ، القليــلُ

ما على مَن سَبقتَ أن يخسَرَ السَّبْـ ـقَ ، ومِن خَلفِهِ يَكُـدُّ الرَّعيــلُ

أيُّهــا السَّابــقُ المحجَّـــلُ والفــا دِي المُفَدَّى ، والواصِلُ المَوْصُولُ

حَسَدَتْنِـــي على هواكَ اللَّيــالي فَتَغَيَّــرتَ ، أم ثَنَــاكَ العَــذولُ ؟

إنَّ يوماً يَفوتُ راجيكَ مِن وَصْـ ـلِكَ ، يَومٌ وَحْفُ الحَواشِي ثَقيلُ[1]

لَو تَكَلَّفتَ غَيْـرَ طبــعِكَ بالصَّدِّ ثَنَاكَ القَــلبُ الرَّقيــقُ الــوَصُولُ

يَحتَمِي المُــذنِبُ المقِــرُّ بِجَــدوا كَ ، ويَقْضي بِنَيْـلِكَ ، المَأمــولُ

وَلَبَعْضُ الجَدْوى ، مِن الواهِبِ القــا دِرِ ، صَفْحٌ ، وبعضُهــا تَنْويــلُ

أفسَدَتْنـــي على جَميـــلِ أياديـــ ـكَ أَيادِيكَ ، والكريــمُ حَمُــولُ[2]

مثلَما تَفسُدُ الزُّهــورُ على الــرِّيِّ إذا طال رِيُّهـــا فَتَحـــولُ[3]

لا تَنَتْكَ الأحداثُ ، والـغَضَبُ العَـا رِضُ ، عنّـي ، والشَّكُّ ، والتَّأويلُ

هَنَــةٌ جَسَّمَ الخَيـــالُ مَعانيــ ـهِا ضَلالاً ، وضاعَـفَ التَّهويــلُ

قَد تَعَجَّلتَهــا بِهَجــرٍ ، ومــا ضا قَ بِها ، بَعْدُ ، عُذرُها ، والدَّليلُ

---

(١) الوَحْف : القاتم ، الأسود .

(٢) الحَمُول : الحليم ، الصبور .

(٣) تَحُول : تتغيَّر .

أينَ حَقُّ العُتبَى ، وَسَابِغَةُ العَفْـــــو ، ودَيْـنُ الـودادِ والتَّأميــــلُ [1]

وَلَيـــالٍ أَلْـــوَى بِصبـــرِيَ فِيها   سِحـــرُ عَينَـيْكَ ظَالماً والشَّمــولُ

حينَ أَشكـو ، فلا تَرِقُّ ، وأرجو.........كَ فَتَـأْبى ، وحُكـمُكَ المقبـولُ

ما ثَنَانِي الوَجـهُ العَبوسُ ، ولا الجو.........رُ تَنَاهَـىٰ ، ولا الصُّدوف الطَّويـلُ

عادةٌ للوَفـــاءِ وَثَّقَهـــا الـــحُبُّ.........وَعَـــارٌ مِن الوَفِـــيِّ النُّكُـــولُ

هَبْـــهُ ثَأْراً طَلبَتَـــهُ بِتَجَنِّـــيَّ.........أَتْعَيـــا بما فعـــلتُ الحُلـــولُ ؟

أم تراهُ المَـــلالُ يَصطنِـــعُ الأَسْـ.........ـبــابَ ضِيقــاً بِحبِّنـــا يا مَلــولُ

ما أبالي وقـــد تَخَـونّتَ عَهـــدِي   أَتَطُــولُ الحيـــاةُ ، أم لا تَطــولُ ؟

أنتَ عنـــدي جَمالُهـــا ، ومَعَانيـــ.........ــهـــا فإنْ رُحتَ فالحيـــاةُ فُضولُ

أنتَ دنيـايَ ، حُسنُهـا ، وَسَناهـــا   وَرُؤَاهـــا ، وَزَهرُهـــا المَطلُــولُ

كيـــف عادتْ باللهِ مَيْـــدانَ حَربٍ   خَلَـفَ الشَّدْوَ زَأْرُهـــا والصَّهيـــلُ

كلَّمـــا رُمتُهـــا على وَقـــدَةِ الشَّوْ.........قِ حَمَاهـــا قُطـوُبها والصَّليــــلُ

لا بِمـــا هَالَنـــي عَليها تَراجَعْـــ.........ـتُ ولكـــنْ بما أَرادَ المَطـــولُ [2]

إنْ دَعَتْنِـي بِسابِـقِ العَهــدِ والحُـــ.........ـبّ ثَنَاني أَني الغَـريبُ الدَّخيـــلُ

عَلَّهـــا آثَـــرَتْ طريقـــاً مِن الـــوُدّ.........فَمَــــالَت أَواطَّباهـــا بَديـــلُ [3]

إن يَكـنْ شاقَهـــا البَدِيـــلُ فَمَالِـــي   مِن بديــــلٍ ولا لِوُدِّي عَدِيـــلُ

فأنـــا حِصنُهـــا الحَصيـــنُ ومُرْتَـــا.........دُ هَواهـــا ، وسَيفُهـــا المَسْلُــولُ

* * *

---

(١) السابغ : الواسع ، الفياض .

(٢) المَطُول : من مَطَلَ الحق والدَّينْ إذا أَجَّل موعد وفائه مرة بعد أخرى .

(٣) اطَّباه : تحبب إلى قلبه حتى ما يعدل به أحداً .

قَد تَعَتَّبْتُ ، يَعلَمُ اللهُ ، والوَا ...... جِبُ ، والحُبُّ ، والوَفاءُ ، الجَميلُ
وَتَلَوَّمتُ ، والتَّلَوُّمُ ضَنٌّ ...... بِهَوًى في الفُؤادِ مِنهُ غَليلُ
فإذا أَسعَفَ الهَوَى فالتَّمَنِّي وإذا أَخلَفَ الرِّضَا فالقُفُولُ
ما يَضِيقُ العَزاءُ بالمُهجَةِ الحَرَّ ...... ىٰ ولم يَنُبْ دُونَ ماضٍ سَبيلُ
إنَّ صَبري بما يَؤُودُ ضَليعٌ وفُؤادِي بما أُريغُ كَفيلُ[1]
ووَرائي مِن الهوى والمَوَدَّا ...... تِ شُكولٌ مَضَت ، ودُوني شُكولُ[2]
إنَّما يُعشَقُ الجَمالُ لِمعنَا ...... هُ وحُسْنُ السِّماتِ ضَيفٌ عَجولُ
ولقد يُخلِفُ الكريمُ على الخِصْبَـ ...... ـبِ وَيُوفي على النُّضوبِ البَخيلُ
وعلى مَسْرَحِ الحَياةِ جَمُوحٌ يَرقُبُ الحبُّ حُسنها ويُنيلُ
تَطِّبينَا بما تَصوغُ مَعَانِيـ ...... ـهِ جَمالا يَسبِي النُّهَى وَتَهُولُ[3]
وَقليلُ الهَوى الكريمِ كَثيرٌ وكثيرُ الهَوَى الشَّحيحِ قَليلُ
رُبَّما استَصغَرَ القَوِيُّ ، على مَسْـ ...... ـعَاهُ ، ما يَبلُغُ الهِزَبْرُ الصَّؤولُ[4]
وتمنَّى الهَجينُ ، في زحمة الأقـ ...... ـدامِ ، شيئاً مِمّا تُصيبُ الفُحولُ
ما تخَوَّفتُ قبلَها الأَيْنَ ، والوحـ ...... ـشَةَ ، والسُّهدَ ، إنْ دعاني الرَّحيلُ[5]
فالسُّرى دَأْبُ هِمَّتِي أتلَقَّى النَّأْ ...... يَ كَرّاً ، كما تَكُرُّ السُّيولُ

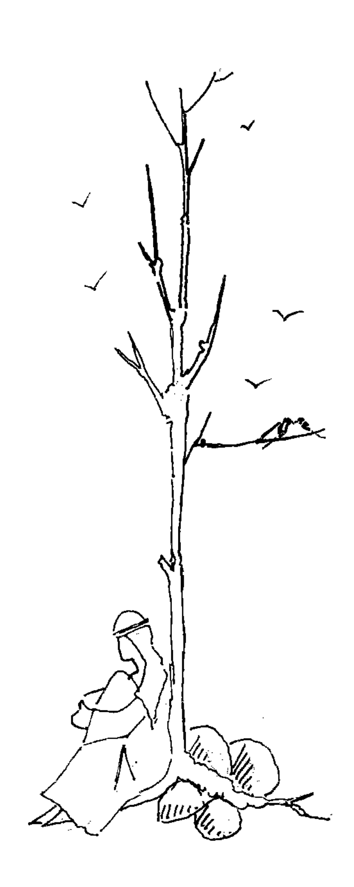
(١) أراغ : أراد ، طلب .
(٢) الشكول : جمع شكل ، وهو النوع ، أو المشكل ، أو المِثل .
(٣) النُّهى : العقول ، مفردها النُّهيَة .
(٤) الهزبر : الأسد الكاسر .
(٥) الأين : الإعياء ، ومن معانيها : الحية ، والجمل .

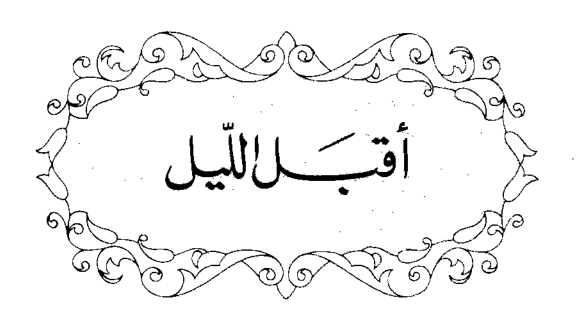
وَرَفِيقِي رَأيي ، ونَفْسِي أَنِيسي   وَسِلاحي قَلبي ، وَعَيْنِي الدَّليلُ

وحبيبي لا مَنْ هَجَرتُ على البخـ   ـلِ ولكنَّهُ الوَفِيُّ البَذُولُ

كلمَّا هَزَّني إليهِ حَنِيني   رَدَّني عَنهُ ، قُربُهُ المَمْطولُ

لا طَوَيْنَا على الهَوانِ نفوساً   لِحَبيبٍ ، وَلَوْ برانَا النُّحولُ





أقبل الليل

أَقبَـلَ اللَّيـلُ ومـا لِي ...... مِنـه بَحـراً مظلِمـا
تَنْطَـوِي فيـه مآسِيَّ ...... لُغوبـاً وَظَمَـا
وَسَرَى البَـدرُ وقـد مَلَّ ...... سُراهُ المُبْهَمَـا
قانِطـاً يَبـعثُ في نفـ ...... ـسي أَساهُ أَلَمَـا
أَتُراهـا قِصَّةُ الهَـمِّ ...... صَريعـاً ها هُمـا ؟

* * *

أم تُراهـا قِصَّةُ القَيْـ ...... ـدِ لِحُرَّيْـنِ أُصِيبَـا
قصَّةُ الحَـيِّ على الأر ...... ض يُلَقَّاهـا نَصِيبـا
قصَّةُ الأَحلامِ ، لا تَصْـ ...... ـدُقُ ، والعَـيشِ رَتيبـا
والشَّبـابِ المُهـدَرِ الغَـا ...... يَةِ مَحرُومـاً كَئِيبـا
لاذَ بالصَّمتِ كما لا ...... ذَ بِهِ ، إلاّ وَجِيبـا

* * *

أَقبَـلَ اللَّيـلُ وفي النَّفـ ...... ـسِ من اللَّيـلِ صِراعْ
وأَمانـيُّ فؤادٍ ...... مُثخَـنٍ ضاعَت .. وضَاعْ
يالَـهُ من ثَبَـجٍ يَركَبُـه اليا ...... ئِسُ مَطْـوِيَّ الشِّراعْ (١)

---

(١) الثَّبَج : وسط الشيء تجمَّع وبرز (هذا البيت خمس تفعيلات) .

ثَبَــجُ العــيشِ على المكـــ.........ـروهِ في دُنيـــا الخِـــداعْ

الأُناسيُّ على ما التَــــمَسُوا فيها سَواءٌ والسِّبـــــــاعْ [1]

* * *

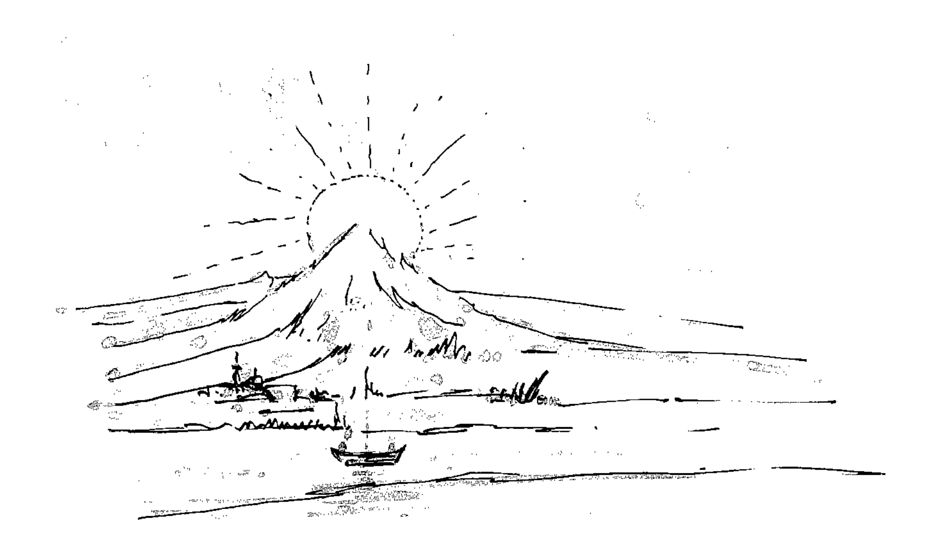
قال لي اللَّيـلُ .. وقـال الـ.........بدرُ .. والصَّمتُ خِطـابْ

ما مضَى من عُمْرنـا وَهْـــ.........ـمٌ ومـــا يَأْتِـــي سَرابْ

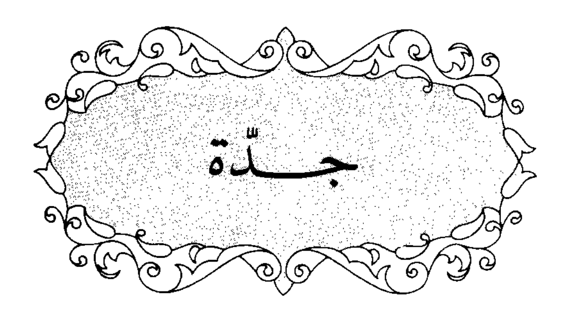
ما لنـــا مِنْ نَصَبِ الجُهــ.........ـدِ سوى مُرِّ العَـــذابْ

قد عَدَانـــا العِلــمُ بالغـــا.........يَةِ سَعيـــاً ومـــآبْ

كم تَشَاكَيْنـــا ومـــا شَكـــ.........ـوى مُصابٍ لِمُصابْ ؟



(١) وهذا البيت – كذلك – خمس تفعيلات .



جدّة

النُّهى بينَ شاطِئَيْكِ غَرِيقُ والهَوى فيكِ حالِمٌ ، ما يُفيقُ
وَرُؤى الحُبِّ في رِحابِك شتَّى يَستَفِزُّ الأَسيرَ منها الطَّليقُ [1]
وَمَغانيكِ ، في النّفوسِ الصَّدِيَّا تِ إلى رَيِّها المَنيعِ ، رَحيقُ [2]
إيهِ ، يا فِتنةَ الحَياةِ لِصَبٍّ عَهدُهُ ، في هَواكِ ، عَهدٌ وَثيقُ
سَحَرَتْه مَشابِهٌ ، منكِ للخُلْدِ وَمَعنًى ، من حُسنِهِ ، مَسروقُ [3]
كَمْ يَكُرُّ الزَّمانُ ، مُتَّئِدَ الخَطْوِ ، وغُصْنُ الصِّبا عليكِ وَريقُ !
ويَذوبُ الجَمالُ ، في لَهَبِ الحُبِّ ، إذا آبَ ، وَهْو فيكِ غَريقُ
عُدتِ مَلفوفةً به ، في دُجَى اللَّيْلِ ، وقد هَفْهَفَ النَّسيمُ الرَّقيقُ
مُقْبِلاً كالمحِبِّ ، يدفعُه الشَّوْقُ ، فيَثنيهِ عن مُناهُ العُقوقُ
حَمَّلَتْهُ الأمواجُ أُغنِيَةَ الشَّطِّ ، فأَفضَى بها الأداءُ الرَّشيقُ
نَغَماً ، تُسْكِرُ القلوبَ حُمَيَّاهُ ، فمنهُ صَبوحُها والغَبُوقُ [4]
فيه ، من بَحرِكِ ، التَّرفُّقُ والعُنْفُ ، ومن أُفْقِكِ المَدى والبَريقُ
ومن اللَّيلِ ، صَمتُه المفعِمُ النَّفسِ لُغىً ، زانَها الخَيالُ العميقُ

---

(١) الرُّؤى : جمع رُؤْيا ، ما يُرى في النوم . يستفزّ : يثير .
(٢) الصَّدِيّات : جمع صَدِ ، وهو شديد العطش . والصَّدى : العطش الشديد .
(٣) مَشَابه : جمع شبَه (على غير قياس) وهو بمعنى الأشباه .
(٤) الحُمَيّا : الشِّدّة والحِدّة . الصَّبُوح : شراب الصَّباح . الغبوق : شراب الماء .

ومــن البــدرِ ، زَهــوُهُ وسَنــاهُ   راويـاً عنهمـا الـفَضاءُ السَّحيـقُ
قِطعَةٌ ، فَذَّةٌ من الشِّعرِ ، قد ألَّـــفَ أشتاتَهــا نِظــامٌ دَقيــقُ

* * *

أنتِ دُنيا ، رَفَّافَــةٌ بِمُنَـى الـرُّو......ح ، وَكَوْنٌ بالمُعجزاتِ نَطــوقُ
رَضِيَ القَيْــدَ ، في حِمــاكِ ، فؤادٌ   عَاشَ كالطَّيــرِ ، دَأْبُــهُ التَّحليــقُ
ما تَصَبَّتْــه قبـــلَ حُبِّكِ يا جَدَّ......ةُ ، دُنيا بِسِحرِهــا ، أو عَشيــقُ
حَبَّــذا الأَسْرُ في هواكِ حَبيبـــاً   بِهَوَى الفكـرِ والمُنَـى ما يَضيــقُ
مَنْهجِي فيــهِ مَنهَــجُ الطّائــرِ الآ......لِف ، يَنْزُو بِهِ الجَناح الـمَشوقُ [1]
فإذا هَمَّ أَشغَلَتْـــــهُ فُروضٌ ،   من هَواهُ ، وأثقلَتْـــه حُقــوقُ

* * *

جدَّتي ، أنتِ عالَمُ الشِّعرِ والفِتـــ......ـنَةِ يَروِي مَشاعــري ، وَيَــروقُ
تَتَمشَّى فيكِ الخَواطــرُ سَكْــرَى   ما يُحِسُّ اللَّصِيقَ ، منها ، اللَّصيقُ
كلُّهـــا هائـــمٌ بعالَمِـــهِ المخ......ـمورِ ، يَهفُــو بِهِ شَذاهُ العَبيــقُ
تَتَجافَـى ، ما يأْلَــفُ الخاطِــرُ الخا......طِرَ فيــهِ ، ولا تَديــنُ الفُــروقُ
فإذا أَوْمَضَ الخيـــالُ بِذِكْـــرَا......كِ تَدَاعَت ، بعضٌ لبعضٍ يَتــوقُ [2]
وَحَّــدَ الحبُّ بينَهــا سُبُــلَ الحبِّ......فمــا عافَ سابقـاً مَسبــوقُ

* * *

جدَّتي ، لا الَّتــي يُحِبُّ الخَلِيُّــو......نَ ، شقــاءٌ عَذبٌ ، وأَسرٌ أَنيــقُ
وصِراعٌ بين الحِجَـى والأمانِـــي   يُطْلِـقُ الحسَّ ، تارةً ، ويَعــوقُ

(١) ينزو : يثب ، يثور ، يتحرك . المشوق : المشتاق .
(٢) تداعى : دعا بعض بعضاً إلى اجتماع .

وسُهـــادٌ ، يَهيـــمُ في تِيهِهِ العَقـــــ......ـــلُ ، ويَعمَـى عن هَديِـهِ التَّوفيـــقُ

وصَدًى ، ما يَبُلُّــه الوَاكِــفُ الها......مِي ، وَقلبٌ ، لم تَستَثِرْهُ البُــروقُ [1]

أنتِ مُرتـــادُ وَحـــدَتي ، إنْ تَبَتَّلْـــ......ـــتُ ، وإنْ شئتُ ، عالَمٌ مَطـروقُ

لِيَ ماضٍ ، لم أنْسَهُ ، فيكِ قَدْ غَـ......ـصَّ ، بشَجْوٍ ، غُروبُـــهُ والشّروقُ

تتناجَـــى أصداؤُه ، في رَوابِيـــ......ـــكِ ، إذا عادَهـا الخيـالُ الطَّـروقُ

مُعْـــوِلاتٍ ، أَلْـــوى بمطلَبِهـــا الأيْـ......ـنُ ، فأنفاسُهـــا عليـــه شَهيـــقُ

مُثْقَلاتٍ حَيْرَى ، تُطِيـفُ بها الوَحْـ......ـشَةُ ، والضَّعفُ عاجـزٌ ، ما يُطيقُ

كيـفَ أُنسيتِهِ ، وضيَّـعْتِ ذِكـرا......هُ ؟ وهـل يُسلِمُ الرَّفيـقَ الرَّفيـقُ ؟

أَهُوَ الغَـدرُ مِيسَمُ الـحُسنِ في شَرْ......عِكِ ، والعَهــدُ في هَواكِ عُقــوقُ ؟

حَبَّـذا أنتِ ، لو وَفَـيْتِ وأجْمَلْـــ......ـــتِ ، ولم يُنْتَهَكْ لَدَيكِ الصَّديـــقُ

فوفـاءُ الحبيبِ أسمى مَعاني الـحُسـ......ـنِ ، والطُّهــرُ بالجَمـــالِ خَليـــقُ

لا تكـوني خوّانَـــةً يُمطَـلُ الدَّيْـــ......ـنُ لديها ، ولا يَفـُــوزُ السَّبُــوقُ [2]

أو تَمُنّي النُّعمَـى عَلَـــيَّ ، فمـــا آ......لَمَ عيشاً يَضْوَى به المَـــــرْزوقُ [3]

أكــــذا أنتِ للنَّقـــــائضِ وِردٌ يَستـوي عنـدَهُ التُّقـــى والـفسوقُ ؟

بيــــنَ مَن تمنحِيهِـــــمُ وِرْدَكِ السّا......ئغَ قومٌ ، وِدادُهـــم مَمْـــذوقُ [4]

مِن مياسيـــرَ جاهليـــنَ أضاعـــو......كِ ، وكـــلٌّ بما يَشيـــنُ عَلــوقُ [5]

ومهازيـلَ ، كالضَّفـــادع في الظُّلْـــ......ـمَةِ ، أقصى ما يستَطِعْنَ النَّقيـــقُ

---

(١) الواكف : المتقاطر ماؤه .

(٢) السَّبوق : مبالغة في السَّابق .

(٣) يَضْوَى : يَضعُف ويَهزُل .

(٤) ممذوق : مشوب ، مخلوط بغيره ، غير صاف .

(٥) مياسير : جمع موسر وهو الغني ذو اليسار .

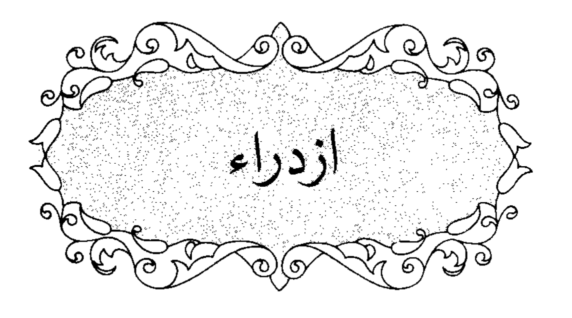
قادَهم أَخرقُ الخُطى للدَّنايا وهْو فيهِمْ ، بما جناهُ ، مَسوقُ
وشبابٌ ، غِراسُهُ ما زَكَت فيكِ - ولا غَرْوَ - فالغِراسُ العُروقُ
لَعْلَعَتْ صرخةُ النُّهوضِ حَوالَيْكِ ، وأصواتُهم لَدَيكِ نَعيقُ
ومشى النَّاسُ للجهادِ مُغِذّينَ ، فهل نَصَّ ناعقيكِ طَريقُ؟[1]
مَنْ لَهُم بالطُّموح ، والجِدُّ ما أَضْنَكَ مسعاهُ ، والحياةُ مَضيقُ؟[2]
هُم أُسارى مَناعِمِ العيشِ ، والحَقُّ عليهم ، مما أُذيلَ ، حَنيقُ[3]

* * *

كَمْ مُعَنًّى مِثلي ، يُطارِحُكِ الحُبَّ ، فينبُو بهِ السَّبيلُ الزَّليقُ![4]
وَدَعِيٍّ ، يَصْطَكُّ في فَمِه القَوْلُ عِثاراً ، مكانُهُ مَرموقُ
أَمِنَ العدلِ أن يُشاكِلَني فيكِ جَبانٌ ، عمَّا أُريغُ فَرُوقُ؟[5]
وَقُصاراهُ ، في هواكِ هَواناً ، أملٌ ضارعٌ ، ووجهٌ صَفيقُ
لا تَلومي ، على عتابِكِ ، حُرّاً قَلبُه ، منكِ ، بالجراح شَريقُ[6]
أنا للجِدِّ - والهَوى يُؤْثِرُ العِزَّ وَغَيري لغيرِهِ مَخلوقُ
والغرامُ المباحُ شرُّ الجِناياتِ ، فهلْ يَقنَعُ الجَمالُ النَّزوقُ ؟

★ ★ ★

(١) المغِذّ : المسرع . نَصَّ : أظهر ، أبان .
(٢) أضنك : أتعب ، وضيّق .
(٣) أذال : أهان وانتهك . حنيق : مغتاظ ، غاضب .
(٤) المعنّى : المعذّب .
(٥) الفَروق : الشديد الفزع .
(٦) الشريق : الغاصّ بالماء أو بريقه .



ازدراء

شيَّـــعتُ حُبَّكِ بازدرائي   ونَبَــذتُ ظُلمتَــهُ وَرائي

وغَسَلْتُ في دَمعِ النَّــدا.........مَةِ من نَجاسَتِـــهِ رِدائي

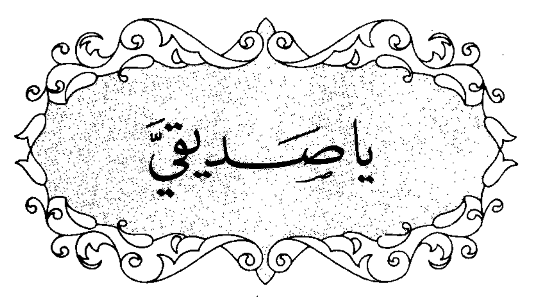
وكَفَـرتُ بعدَكِ بالهَـوى   جَسَداً ، يَحِنُّ إلى الغِذاءِ

وَغَريـــزَةً ، جُنَّتْ بأَسلا.........بِ الضَّحايا .. والدِّمـاءِ

تَسْطو بأَسلحةٍ من الـ.........ـغَدْرِ المُمَــوَّهِ بالوفــاءِ

وَتَفيضُ حبّــاً لِلْفَريـــ.........ـسَةِ ، تحتَه نَارُ العِــداءِ

وشِباكُهـا الأَحلامُ والـــ.........أَوهَامُ ، خادِعَـةَ الطِّلاءِ



يا صَديقيَّ

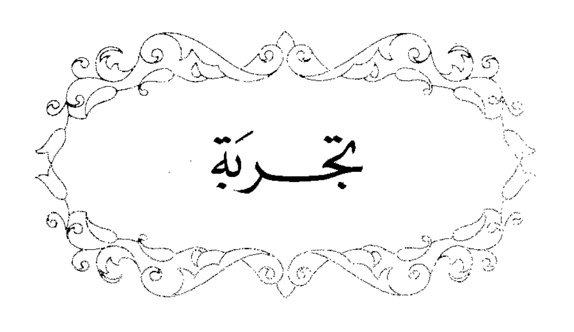
قارِنـــا حاضِري الحَزيـــنَ بأَمْسِي   واسأَلاني ، لِمْ يَستحيــلُ التَّــأَسِّي

أَلَــمُ الذِّكريــاتِ للنَّــفسِ أنْ يَفْــ.........ـقِدَ سَلْوى الغرامِ ، حِسٌّ كحِسِّي

وشُعوري ، بِفتنـةِ الحبِّ والــحُسْـ.........ـنِ ، شعــوراً رَبَــا على كلِّ حِسِّ

رَفِّهـــا ، إنْ قَدَرْتُمـــا ، عن فُؤادِي   أَوْ دَعاني ، أَخفِضْ على اليأسِ رَأسي

★ ★ ★



تجــرَبَة

أنـا لَسْتُ عاتِبـةً علـيكَ ، فإنَّنِـي بِيَدَيَّ ، فيكَ ، صَنعتُ سُوءَ مَصيرِي

وهَـربتُ من دنيـايَ أَحلُمُ بالهَوى ونَعيمِـــهِ في عالَـــمٍ أُسطـــورِي

وأنـا التـي باعَـتْكَ كلَّ كِيَانِهـا بزخـــارِفٍ وسَفـــاسِفٍ وقُشورِ

وَرَأَتكَ بالوهـمِ المجَنَّـجِ فارساً متألِّقـاً في أُفْـقِكَ المسحـــورِ

واليـوَم ماذا أنتَ ؟؟ وَهْـمٌ خادِعٌ مرَّت به الأوهـامُ عَبْـرَ شُعـورِي

أنـا لستُ نادمـةً ، فتلكَ خَطيئتي أَحْبَـبتُ إنسانــاً بغيـرِ ضَميـرِ

لا تعطِني ثمنَ الخطيئـةِ ، فالـذي أَعطَيْتَني ، من قَبْـلُ ، جِدُّ كبيـرِ

أتَقِـيسُ تَجربتـي بأيِّ عَطِيَّـةٍ ؟ سِمَـةُ الغَبـاءِ تَفاهَـةُ التَّفكيـرِ

ستظلُّ تَجربتي ، بنفسي ، لَعْنَـةً للـحبِّ شاهِـدةً على تكـفيري

أرأيتَنـــي بهواكَ غيـــرَ فَراشَةٍ ، سَقَطَت ، لها في الجِنس ألفُ نَظِيرِ

وَتَقُولُ : ما ذَنبي ؟؟ صَدَقتَ ، فإنَّما ذَنْبُ الفَـراشِ هِيامُـهُ بالنُّـورِ

فاذهَبْ إلى غايـاتِ حَظِّكَ عابِثـاً بفَـرائِسِ الأحـلامِ في الـدَّيجورِ

وانصِبْ شِبَاكَ الحبِّ دمعاً كاذِبـاً وَتَأَوُّهـاً من قلـبِكَ الشِّريـرِ

واتـركْ لِيَ المأساةَ ، وحـدي ، إنَّهـا قانـونُ كلِّ حقيرةٍ وحقيـرِ

لا ضَيْرَ .. سوف تكونُ بَعدكَ قصَّتي مَلهـاةَ كلِّ غريـرةٍ .. وغَريـرِ

* * *



ماذا يَرِيـــبُكَ مِن تَأَبِّيها   حُبُّ السَّلامةِ مِنكَ يَثْنِيها ؟

أَتَـرَى الإِباءَ خديعةً منها   لِمَ لا يكونُ غريزةً فيها ؟

إنَّ الطَّبيعةَ حارِسٌ يَقِظٌ   مِن لَفحَةِ الإغراءِ يَحْميها



بلَـــغتُ بالشَّيبِ غَايَـــةَ العُمُـــرِ   ولستُ فيمـــا أرى بِمُزدَجِـــرِ [1]

مازلتُ أَرجو مِن الهَوى ، حَرَضاً ،   ما كنتُ أَرجـو مِنـه ، عَلى صِغَـري [2]

يا فِطـــرةَ السَّوْءِ كم يُغالِبُنـــي   مِنكِ قَوِيُّ الجِمـــاحِ ذُو أَشَرِ [3]

كَفَى نذيراً بالشَّيبِ لَوْ عَقَلَ الـــعَاصِي ، وَفِي الشَّيبِ أَبلَغُ النُّذُرِ

لم تَبْـقَ مِنِّـي للـحبِّ باقِيـــةٌ   تُغـرِي حَبيبـاً بِسانِـحِ الوَطَـرِ [4]

فالوجهُ ضاوٍ ، والــرَّأسُ منجَـرِدٌ   والجسمُ ذَاوٍ ، كيـابِسِ الشَّجَـرِ [5]

★ ★ ★

---

(١) زجر الشيءَ : منعه وكفّه وانتهره ، والمزدَجِر : المعتبر .

(٢) الحَرَض : فساد المذهب والعقل ، الذوبان في الحب .

(٣) الأَشَر : البَطَر .

(٤) السّانح : العارض غير الدائم . الوَطَر : البغية ، الحاجة .

(٥) الضّاوي : الضعيف الهزيل .



أَجدَّت علاقاتُ الهوَى ، لِذَوِي الهوَى ... مَطالبَ ، ضلَّت في دُجاها المَطامعُ

إذا كان ما ترجوه غَيْباً مُحَجَّباً ... فأيسَرُ ما تُهدي الغُيوبُ الفجائعُ

أَمُستَودِعاً سرَّ الهوَى غيرَ أَهلِهِ ... لَغَيْرُ غريبٍ أَن تَضيعَ الوَدائعُ



لا أُبالي إذا دَعَاني الحَنِينُ ... أَتَهُونُ السَّبيلُ ، أَمْ لا تَهونُ

وإِذا رابَ مُدَّعِي الحبِّ ظَنٌّ ... بحبيبٍ ، لم تَثْنِ خَطوي الظُّنونُ

فالهوى ، إنْ يَكنْ وفاءَ وفِيٍّ ، ... فَهْو في مهجتي حِفاظٌ وَدِينُ

* * *

لا عَدَتْني عَمَّن أُحبُّ العوادِي ... وَلَوَ آنّي بِما استباحَ طَعينُ

كلُّ عِبْءٍ ، عَدَا الهَوَى ، لَخَفيفٌ ... أَتلينُ الصِّعابُ أم لا تَلينُ

* * *

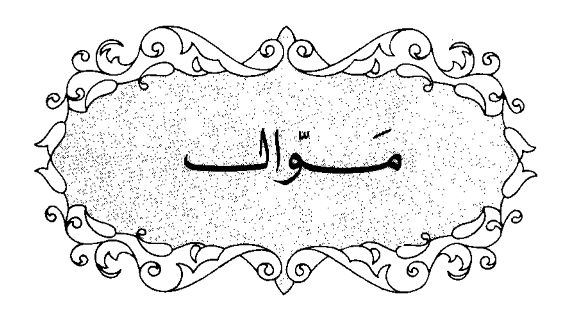
يا كِناساً ، يُشيحُ بالظبية العَفْـ ... ـراءِ ، ما أنتَ لو يَشاءُ العَرينُ؟[1]

ما احتَمَت فيكَ ، بل حَمَتْكَ ، وللحُسْـ ... ـنِ صَيَاصٍ مَرْهوبةٌ وحُصونُ[2]

---

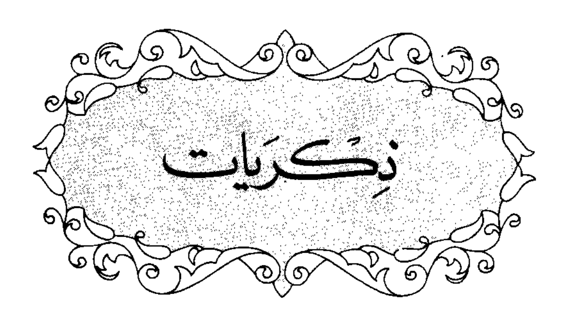
(١) يُشيح : من أشاح بوجهه إذا عرض مبدياً كرهاً أو ازدراء . العفراء : الظبية يعلو بياضها حمرة .

(٢) الصياصي : مفردها الصيصة وتأتي بمعنى الحصن .



فايتاني من غيرْ وداعْ يا ربْ حاسِبْها   دي عَمْلة لَمْ كنتْ قبل البُعد حاسِبْها

روحي وبهجةْ حياتي إزايْ حاسِيبْها   لابدْ ما تعودْ لحصني يوم وحاسِبْها



لم يَزَلْ لَيـلُكَ يَستوحِـي رُؤاهـا   ويُناجِي رَملُك الظَّامِـي حَيَاهـا

ذِكْريـاتٌ ، أَشرَقَ الـوادي بِهـا   مُذْ رَوَتـه ، بِسَناهـا وَنَداهـا

نَوَّرَت في زَهـرِهِ فِتنتُهـا   وَجَـلَت بالهمسِ مَكنـونَ لُغَاهـا

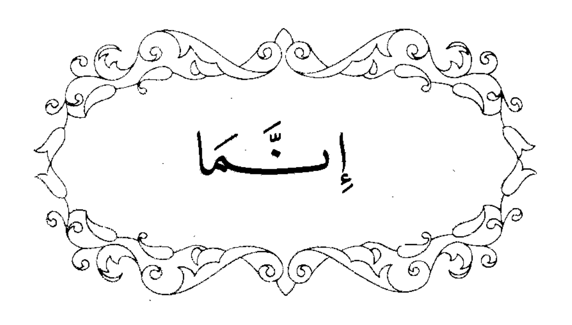
يا لِنَعمـانَ على عهـدِ الصِّبـا   رحلةٌ ، واصَلَها الحِسُّ ، فَتَاهـا[1]

الهوى فَجـرُ سَناهـا المُرتَجَـى   وجِراحُ القلبِ والسُّهـدُ جَنَاهـا

★ ★ ★

---

(١) نَعمان : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، ويقال له : نَعْمان الأراك .



إنَّمَا

أنــا ما نَسِيتُ حَنيــنَكَ المتَضرِّمــا ... وشُحوبَ وجهِكَ ، ثائراً مُستَسلِما

والحُزنَ في عينَيْكَ ، جَمراً خامِداً ... واللَّفظَ في شَفَتَيْكَ ، هَمساً مُبهَما

وتَحَجَّــرَت دُنيــاكَ حولَكَ بَغْتَــةً ... وَبَــدا كِيــانُكَ صامِتــاً مُتَهَدِّمــا

وتَمَزَّقَ المَاضِي ، أَمامَكَ ، كُلُّهُ ... وَبَدا مَصِيرُكَ فيه ليــلاً مظلِمــا

وَهَمَمْتُ أَنْ أجثُو على قَدَمَيْكَ لَوْ ... كنتُ استَطعتُ إليكَ أن أتقدَّمــا

فلقــد غَدَتْ بَينِــي وبَيْــنَكَ هُوَّةٌ ... لم يَنصِبِ الغُفــرانُ فيها سُلَّمــا

أنا ما نَسِيتُ ، وكيفَ أنْسَى زَلَّتِي ... وحَقارَتي ، لَمَّا نطــقتُ تَهكُّمــا ؟

أنــا لم أبــادِلْكَ الغــرامَ ، وإنَّمــا ... حاولتُ فيكَ .. ومنكَ أنْ أتعلَّما

قد كنتَ تَجرِبَتي .. وأشهَدُ أنَّها ... كانت لِما آثــرتُ فيكَ المُلْهِمَــا

وَضَعَــتْكَ بيــنَ يَدَيَّ أوَّلُ لُعبَــةٍ ... وذكرتُ عَهدي في مُلاعَبَةِ الدُّمَى

وَمَضَيْتُ في هَذَرِي بِغَيْــرِ رَوِيَّــةٍ ... ورأيتُ جُرحَ أساكَ يُمطِرُني دَمــا

فَسَكَتُّ شاعرَةً بِهَــوْلِ خَطِيئَتِــي ... خَزْيَا ، وكانَ علــيكَ أنْ تتكلَّمــا

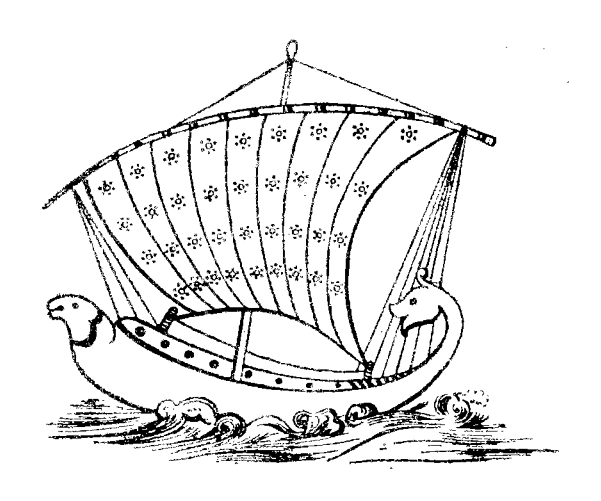
وَحَلَفْتُ .. هل أصغيتَ ، أو صدَّقْتَ ، أو ... أَتــرَعْتَ لي كأسَ انتقامِكَ عَلْقَمــا ؟

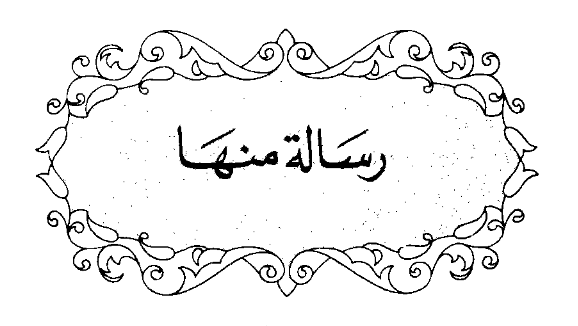
وَبَكيتُ ، بعدُ ، فهل رَثَيتَ لأدمعي ... ونَدِمتُ ، لكنْ ما النَّدامة بَعْدَمَا ؟

وَصَدَقْتُ في قولي ، كذبتُ (بإنَّما) ... وشقيتَ أنتَ – وكم شَقِيتُ – بإنَّما

وَحُرِمْتُ منكَ سِوَى تَصَوُّرِ ما مَضَى ... لي من هَوَاكَ طَلاقــةٌ وتأزُّمــا

أنـا ما نَسِيتُ ، وكيـف أنْسَى أَنَّنِي   قَتَّلتُ فجـرَ حيـاتِكَ المُتَبَسِّمَـا ؟
أَقتَـاتُ بالحِرمَـانِ بَعـدَكَ والأَسَى   وأظَـلُّ أَستسقِـي الحنيـنَ مِن الظَّمـا
حتّى تَعودَ ؟ وهـل تعـودُ ؟ ولَيْتَنِـي   أَجِـدُ السَّبيـلَ إلى رِضاكَ . وَرُبَّمَـا





رسالة منها

مازال عِطرُ يَدَيْكِ بينَ سُطورِها ... يُزري بأَنفاسِ الوُرودِ عَبيرا

ووراءَ كلِّ فريدةٍ .. مِن لفظِها ... نَغْمٌ تَدَفَّقَ رِقَّةً .. وشُعورا

مِن سِحرِ عَينَيكِ استعَرتِ بياضَها ... فسَكَبتِ فيهِ على الصَّحائفِ نُورا

فلقد شَهدتُ بكلِّ لفظٍ كوكباً ... يبدو ويَخْفَى ، ساحراً مَسحورا

لِلَّهِ ما أَبدَعتِ من صُوَرٍ بها ... ضاقَ البيانُ بمِثلِها تَصويرا

ما زلتُ منذ تَلَوْتُها وأَعَدْتُها ، ... في عالَمٍ ثرٍّ الرُّؤَى ، مَخمورا

تَشْكِينَ من بعدي ؟ أَتلكَ حَقيقةٌ ؟ ... يَمضِي هَوايَ بها إلَيكِ مُشيرا

ماذا أقولُ أنا وما خلَّفتِ لي ... في اليأسِ ؟ خُضتُ ظلامَهُ مقهورا

حتَّى ارعَوَى بكِ عَهدُنا ، فَذَكرتِهِ ... وأزاحَ فَجرُ وفائِكِ الدَّيْجُورا

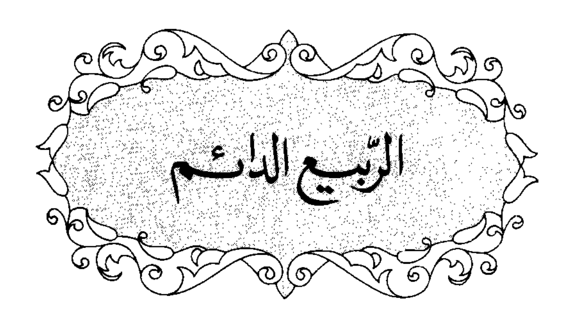
تُهدِي رسالتُكِ الحبيبةُ ضَوْءَهُ ... حبًّا يَفيضُ مقاطِعاً وسطورا

قد كنتِ فيها ، مِلْءَ نَفْسِي ، صورةً ... لم يَلقَ قَطُّ لها الخيالُ نَظيرا

فَمَتى أَراكِ حقيقةً مَجْلُوَّةً ... يَبدو بِها وجهُ الحياةِ نَضيرا ؟

عُودِي إليَّ لِتَقْرَئِيها ، فَهْيَ مِن ... شَفَتَيْكِ أَروعُ قِصَّةٍ تَأْثيرا

★ ★ ★



الرّبيع الدائم

لا تَقُولي : مضَى الرَّبيعُ ، ووَلَّى ، إنَّــه ، فيكِ ، دائِــمٌ يَتجَلَّـى

لم يَزَل عِطـرُهُ يُضمِّـخُ خَدَّيْـــك ، ويُلقِـي على الطَّبيعَـةِ ظِلّا

ورُؤاهُ تَبـدو بعَينَـيكِ سِحــراً يَستَفِــزُّ الهَـوَى خَيـالاً مُطِـلّا

ووُروداً تَهتَــزّ في ثَوبِكِ الهَفْـهَافِ ، أَنـدى مِن الـورودِ وأَحلى

وعـبيراً ، يَهيمُ في شَعـرِكِ الحَالِكِ ، لاقَـى فيـهِ هُداه ، فَضَلّا

وجمالاً ، شابَ الزَّمـانَ هُيامـاً بِهَــواهُ ، ولم يَزَل فيكِ طِفـلا

لن يَغيبَ الرَّبيعُ في وجهِكِ الضَّاحِي ، شُكولاً ، وفي المفاتِنِ جَذْلَى

أيـن منكِ الرَّبيعُ ، جِيـداً وصَدْراً وشِعــاراً تَرِفُّ نَبْضاً ودَلّا ؟

أنتِ أُنشودَةُ الرَّبيــعِ ونَجْــواهُ ، ودُنيا هَواهُ ، مَعنًى وشَكــلا

صاغَكِ اللهُ منــه يَنبــوعَ حُسنٍ قَلَّ أن تَجتلــيْ له العَيــنُ مِثْــلا

عجَزَالقَــولُ أنْ يُصوِّرَ معنـاكِ بمعنـاهُ ، مُكثِـراً ومُقِــلّا

وتَرامَــى الخيــالُ فيكِ إلى أعْـلَى مجالاتِـهِ ، فأَلفـاكِ أَعْلَـى

خُلُقــاً صافيــاً ، وخَلْقــاً قَويماً وَجَمالاً ، يَفـيضُ طُهـراً ونُبـلا

ضَرَبتْ حولَكِ القلـوبُ نِطاقــاً أنتِ فيــه رُوحٌ سَمـا فتَعَلَّــى

وأَطــافت بكِ العُيــونُ ، تُناجيـكِ ، رَجاءً في نَظرةٍ منكِ عَجْلَى

جلَّ بارِيكِ صورةً يَلتقِــي فِيـها ربيعُ الجَمالِ ، فَرعــاً وأَصلا



القلب الخائف

قَلبي يحدِّثُني ، ويا لِمَرارةِ الذِّكرى ، بأَنَّكِ لن تَعودِي
فأُحسُّ بالأحلامِ والأطيافِ تَهجُرني ، ويَتبَعُها وُجودي
وأرى الحياةَ - بغيرِ أَن ألقاكِ - دونَ سِواكِ - ضيِّقةَ الحدودِ
والعيشَ قبلَ هواكِ سجناً لم يُخلِّصْني ، سِوَى عينَيكِ فيهِ من قُيودِي

* * *

أَطلقتِ في ليلي الضِّياءَ بوجهِكِ الضَّاحي الفَريدِ
وأَزحتِ من دَربي الظَّلامَ بِصَوتِكِ الحُلْوِ الوَئيدِ
نَثَرَتْ خُطاكِ عليهِ ، ما شاءَتْ رُؤايَ ، مِنَ الوُرودِ
فتنفَّسَتْ فيهِ الحياةُ ، طليقةً ، بعدَ الرُّكودِ
وتَدَفَّقَ الإلهامُ من عينيكِ ، يا سَمراءُ ، سِحْراً في نَشيدي
وجَرَتْ بِهِ نَسَماتُ صَوتِكِ ألفَ لونٍ في قصيدي
أَشعَلْتِ نارَ الحبِّ ، يا سمراءُ ، ناراً في وَريدي
وبعَثْتِ في قلبي الحنانَ ، فهَبَّ من تحتِ الجليدِ
قد كُنتِ ، يا سَمراءُ ، في عيني .. سَنَى فجرٍ جديدِ
لا تَذهبي ، وتَرفَّقي - وسَلِمْتِ - بالأملِ الوَليدِ
أَعطيتِني ما لستُ أَطمعُ فيهِ ، بَعْدُ ، إلى مَزيدِ

أعطيتِنـــي ثِقتـــي بِنُبـــلِكِ بيـــنَ وعـــدِكِ .. والوَعيـــدِ
لن تقتلينـي .. بعـدَ أن أُحيَيتِ آمالـي - فَديـــتُكِ - بالصُّدودِ
سأعـــيشُ بعـــدَكِ ، في ظلالِ الصَّمتِ ، أَرسُفُ كالشَّريـــدِ
وأَظـــلُّ أضرِبُ في فَراغِ اللَّيـــلِ .. كالحَـــيِّ الطَّريـــدِ

* * *

واللَّيـلُ ، يا سمَـراءُ ، بَعـدَكِ ، فُوْهَـةُ البُـركانِ ، تَقـذِفُ باللَّهيبِ
والصَّمتُ ، يا سَمـراءُ ، بعـدَكِ قِمَّـةُ المأساةِ في قلبـي الكئـيبِ

* * *

المَقعَـــدُ الخالي يُسائِلنـــي .. وأُسائِلُـــهُ : متـــى يأتي حَبيبـــي ؟
وكتـــابُكِ المُلقَـــى يَفـــيضُ أَساهُ بالمَلَـــلِ الرَّتـــيبِ
كم نامَ بين يدَيكِ مَخمـــوراً على الحُلُـــمِ الطَّـــروبِ
تَسْرِي بِهِ نَغَمـــاتُ صوتِكِ في ذُرى أُفُـــقٍ رَحـــيبِ
ويَهيـــمُ في نَغَمـــاتِ ثَغـــرِكِ .... بين طِلـــىً وَطِـــيبِ
سأَعـــيشُ ، بيَـــن كتـــابِكِ المُلقَـــى ، حزينـــاً كالغَـــريبِ
وأَرى سعـــادةَ قلبِـــيَ المحرومِ .. تُمعِـــنُ في الهُـــروبِ

* * *

اللَّيـــلُ ، يا سَمـــراءُ ، بعـــدَكِ ، مَأْزِقُ الضَّنْكِ الرَّهـــيبِ
والجُـــرحُ ، بعـدَكِ ، لن يَنـامَ بمأتَـــمِ القـــلبِ الحَـــريبِ
فَارعَـــيْ كتـــابك ، واقـــرَأي هولَ النهايـــةِ في شُحـــوبي[1]

---

(١) فارعَيْ : فعل أمر للمؤنث بمعنى : احفظي .

ما كنتُ أَحسَبُ شمسَ آمـــالي ستَجْنَــــحُ للمغـــــيبِ

لكنَّـــهُ قدَرُ العقـــولِ ، تَعَثَّـــرت ، بيَـــنَ الـــدُّروبِ

ما كنتُ غيـــرَ فراشَةٍ ، رَعْنـــاءَ ، تَسقُـــطُ في اللَّهـــيبِ

وكـــذاك تَحتـــرقُ القلـــوبُ على لَظـــى الأمـــلِ الكَـــذوبِ

إنِّـــي ، لَأَسأَلُ خائفـــاً مترقّبـــاً ، ألّا تُجيبِـــي

هل كان يومُ .. عرفتُ فيكِ هَوايَ ذَنْبـــاً من ذُنـــوبي ؟

يا لَلْقـــريبِ من البعيـــدِ ولِلْبعيـــدِ منَ القـــريب !





كلُّ قلبٍ مقيَّـدٌ بهَـواهُ ... لا يُبـالي ، شَفـاهُ أو أَشْقَـاهُ

وإذا هامَ عاشقٌ بِحَبـيبٍ ... لم تَسَغْ نفسُه حبيبـاً - سِواهُ

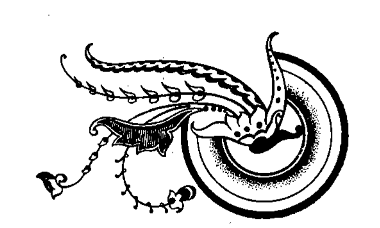
أَجَفَـا أم وَفَـى ، وأَسعَـدَ أم أَبْـ ... ـعَـدَ ؟ كُلٌّ يَزيـدُ في مَعنـاهُ

إنَّـهُ الـحُبُّ ، راحـةٌ وعَـذابٌ ... في تلاقي نَعيمِـهِ بِلَظـاهُ

جَمَـعَ الحُـزنَ والمسرَّةَ ، ضِدَّيْـ ... ـنِ ، فَزَانـا بِسِحـرِهِ دُنيـاهُ

ما رَفيفُ الأضواءِ ، في الفجرِ ، لولا ... وَحشَةُ اللَّيـلِ .. صَمْتُـهُ ودُجـاهُ ؟

والمزايا ، لولا العُيوبُ ، صِفـاتٌ





سمراء

الحُبُّ في عَينَيكِ ، يا سمراءُ ، عاصفةٌ تَرُوعْ
بحرٌ رهيبُ المَوجِ ، يَعصِفُ بالقواربِ والقُلوعْ
نارٌ تُؤَجِّجُها الجِراحُ ، وليس تُطفِئُها الدُّموعْ
حربٌ تكسَّرَتِ السُّيوفُ بها .. وحُطِّمَتِ الدُّروعْ
لا وَزنَ فيها للقلوبِ تذوبُ ، وَجْداً ، كالشّموعْ

* * *

والحُبُّ في عَينيكِ ، يا سمراءُ ، عِربيدٌ يُغَنِّي
حَانٌ على جَنَباتِها الحُمْرِ الخَضِيبَةِ أَلْفُ دَنِّ
غابٌ تعَوَّدتِ الكواسِرُ فيهِ أن تُغَنّي وتُغَنّي
إنّي أَرى جُثَثَ الضَّحايا فيهِ تَملأُ كُلَّ رُكنِ
اَلْيَمُّ ، يا سمراءُ ، غلاّبٌ ، وعَزمِي ليس يُغْنِي

* * *

سمراءُ ، إن عزَّ الإيابُ فإنَّه قَدَرُ انتِهائي
كنَّا على وَعدِ التَّلاقي فيهِ .. في يوم اللّقاءِ
قَدَرٌ بدَا في عَينِكِ الوَسنَى فآذَنَ بانطِوائي

ورمَيتُ ، كالطَّيرِ الجَريحِ ، بِنظرتي عَبْرَ الفضاءِ

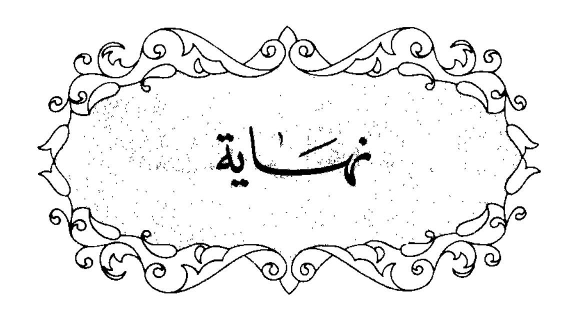
لو كنتِ عانيتِ الشَّقاءَ لَمَا صَبَرتِ على شَقائِي

* * *

ولَمَا لَهَوْتِ ، وأنتِ صامِتَةٌ ، بِشَجوِي .. بانتِحابي

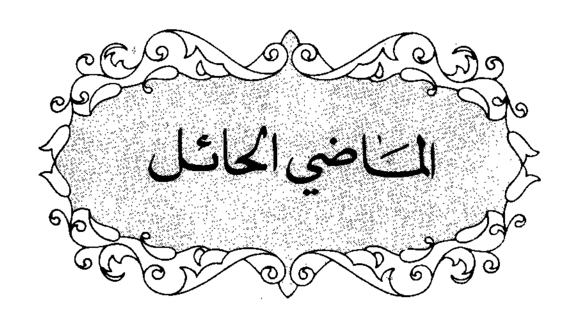
بعِتابِ عَيني ، في غِيابِكِ ، غيرَ واعيةٍ عِتابي





نهاية

لا تَقُلْ : كانَتْ ظُنوناً .. فَلَقد كانت جُنونا
وغراماً يائِساً آثَرَ أن يَبقَى شَجينا
في ظلامِ الشَّكِّ والحَيْرَة وَهْماً ، أو يَقِينا
وشُعوراً جَفَّ بالغَيْرَةِ سُهداً وشُجونا
وحِجىً طاحَ بهِ الضَّنكُ ، على الوَعرِ ، طَعِينا
في صراعٍ ظَلَّ بالرَّاحةِ ، والسَّلوى ، ضَنِينا
وأنا رمزُ الأسى فيهِ ، كما قُلتُ ، مَهِينا
وأنا .... يُخرِسُنِي صَوتُكَ جيّاشاً .. حَزِينا
حَجَزَ الكِبْرُ دُمُوعِي ... بعدما فاضَت سِنينا
لم أقل أنتَ ، ولم أُخفِض ، ولم أُرفَع جَبِينا
منذُ كانت كِبرياءُ الجُرحِ أمراً ، لن يَهونا
لِمَ لا تنسَىٰ ؟ دَعِ الماضِيْ بِمَثْواهُ ، دَفينا
لِمْ نُقَضِّي فَضْلَةَ العُمْرِ صِراعاً ، وأنينا
لِمَ لا نستقبلُ الفجرَ ، خُشوعاً ، وسُكونا
قُلْ مَعِي - وَلْيَشْهَدِ اللَّيلُ - افترقنا ، ونَسِينا
لِنَعِشْ حُزَّيْنِ ، كالأطيافِ ، دُنيا الحالمينا



الماضي الحائل

سِرتُ في ذاتِ مساءٍ شَاحِبٍ قاتِمِ الأَرجاءِ ، مَطمُوسِ الظِّــلالِ
مُطرِقــاً أُصغِــي لماضِي ذِكرَيــاتٍ بعَثَتْهـــا ومَضَاتٌ من خيالِـــي

* * *

لحظةٌ في سُرعــةِ الضَّوءِ أَطــافَت بِي على كُرْهٍ ، وفي طُول الأَبَدْ
خِلْتُ أنَّ الكــونَ أَمسى بَعدَهــا راجِفاً كالبَحــرِ ، يَرمِــي بالزَّبَــدْ

* * *

وإذا الماضي ومـــا أُودَعتُــــهُ من مَلاهــي ومَــرازِي عُمُـــرِي
ضاربٌ في صَحَرَاءِ الكــونِ مَاض أَتُــراهُ ؟ كان يَقفـــو أَثَـــري ؟

* * *

وتلاقَينَــا على غَيــــرِ اشتيَـــاقْ وكَــذا عِشْنــا على غَيْــرِ وِفــاقْ
وتعارَفنــا ، وقــد كنَّــا تَنَاكَــرْ.........نا قَدِيماً ، وتواعَدْنـــا الفِـــراقْ

* * *

ومشَى نَحوِيَ مَكــدودَ الخُطــى ظاهِــرَ اللَّوعَــةِ مَرهــوبَ الأَسى
عاتِيــاً تُرسِلُ عَينَــاهُ الكَــلامْ يَتلظَّــى ، وَهُمــا لم تَنْــبِسَا

* * *

وانثنَى يَسأَلُنـــي كيــف نَسِيتُ ؟ قلتُ : ماذا يَذكُرُ العـاني الشَّريـدُ ؟
أنـا مِن حاضِرِ أمــري في جِهــادٍ كلُّ ما يَذهَبُ فيـــه لا يَعـــودُ

* * *

قال : لو كنتَ حَزينــــاً لم تُضِعْ ذِكرياتِ الحُزن ، والماضِي الشَّهيدِ
إنَّمـــــا أُغرقتَـــــهُ في حاضِرٍ طافحٍ باللَّهْـو ، والـحُبِّ الجَديـدِ

* * *

أكـــــذا أنتَ وأيمانَ الوفـــــاءِ أيــنَ ما يشهَــدُه اللَّيــلُ عَلَـيك ؟
يومَ كانت بَهجـــةُ الدُّنيـــا تَرَاءَى لَكَ في هذا الــذي بَيـــنَ يَدَيك

* * *

فانطَـــوَى ، بل أنتَ قد أُسْلَمْتَـــهُ للفَنَـــا ، وانصرفَت نفسُك عَنــــهُ
كنتَ تَرجـــوهُ حَرِيصاً شَيِّقـــاً فغَــدا اليــومَ عَنــاً تهربُ مِنـــهُ

* * *

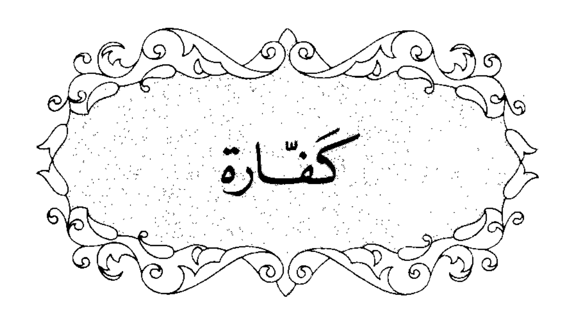
كنت تَخشى نَسمـةَ الفجرِ عليـــهِ ونَــدَى اللَّيــلِ ، وَلُــجَّ الأَعيــنِ
وتــرى اللَّحظـــةَ دهـــراً إنْ نَأَى وَهُـــو اليـــومَ طريـــدُ الزَّمَـــنِ

* * *

ذاكَ ما آثَــرْتَ فيـــه راضِيـــاً لَيتَــــه آثَـــــــرَهُ فيكَ قديما
يومَ كانت نظـــرةٌ منـــهُ خَلَتْ من رقيقِ العَطـف تَذْروكَ هَشيمـــا

* * *

كان مأواكَ الـــذي رفَّ عليـــهِ ضَوْءُ دنيـــاك ، وللدُّنيـــا العَفـــاءْ
تَنضَحُ الأحـــلامَ فيـــه أَلَقـــاً والهَـــوَى يَرْفَضُّ سِحـــراً وَرُواءْ



كَفّارة

حبيبَتي قُلنا .. وأَكثَرنـــا وكَـم صَفَونـا .. وتَكَدَّرنـا

وكَـم تَلاقَينَـا على غايــةٍ مِن الرِّضَى .. ثمَّ تَغَيَّرنــا

وقلتِ : ضِقنَا بِقيودِ الهَوى ذَرعاً .. فها نَحنُ تَحَررنـا

فأَبحَـرَ البُعـدُ بنـــا والأَسى في رِحلَة الصَّمتِ ، وَأَبحَرْنا

فطـارَحَ النِّسيـــانُ آلامَنـــا فهـل نَسِينا ؟ بل تَذَكَّرنـا

وقـد بلَغنَـا غايَـةً في الهَـوَى حاصِلُهـا أَنَّـا تَحَيَّرنَــا

كيفَ اختَلفنا ، فاتَّفَقْنَا على وَأْدِ الهَوى ؟ كيـف تَعَثْرنا ؟

لن أُنكِرَ الواقعَ .. لن تُنكِري أَمَـا نَدِمنـا .. وتحسَّرنـا ؟

أَمَا اعتَزَمْنا أَلْفَ أَن نلتقِي ؟ فإن تَلامَحنـا تَسَمَّرْنــا

أَحلِـفُ : ما أَتـرَعَ أَقداحَنَـا شَجـواً ، سِوى أَنَّا تَكبَّرنـا

جَرَت دَوَاعِينـا بناحِيــةٍ فمـا لنـا نحنُ تحجَّرْنـا ؟

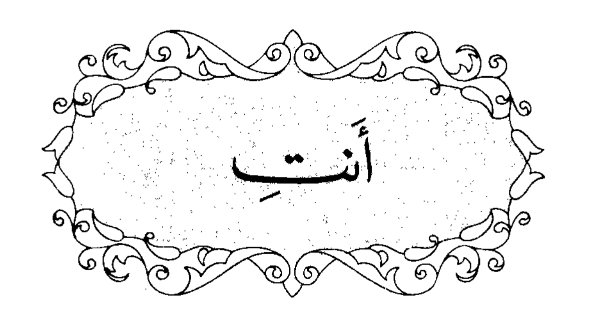
تُهِــيبُ بالماضِي خَيالاتُنـا حتَّـى إذا لَبَّـى تَأَخَّرْنـا

إلى مَتى نَطوِي جِراحَ الأَسَى مِمَّـا تَخَيَّلْنا .. وصوَّرْنا ؟

تُبنـا وتُبنَـا ، وارعَوَيْنـا إلى صَفـوٍ ، وبالدَّمعِ تطَهَّرْنـا

ونَـدَمُ المُـذنِبِ كَفَّـارةٌ ونحنُ أَذنَبنَـا ، وكَفَّرْنـا

★ ★ ★



أنتِ التي أيقظتِ قلبي
مِن عَميقِ سُباتِهِ ..
وأنرتِ أُفقَ حَياتِهِ ..
وسَطَعتِ كالفجرِ المُوَرَّدِ
في دُجى ظُلُمَاتِهِ
ودَفعتِ تيَّارَ الشُّعورِ
فدَبَّ في خفقَاتِهِ
ونثَرتِ آلافَ الزُّهورِ
على حُقولِ مَوَاتِهِ
وأزَحتِ أستارَ الضَّبابِ
غفَا على صَبَوَاتِهِ
وكسَرتِ كلَّ قُيودِهِ
وهدَيتِهِ بعد الضَّياعْ
فإذا بأحلامِ الشَّبابِ
تُضِيءُ في قسَماتِهِ
وتَلُوحُ في خُطُواتِهِ

وتَفِــيضُ مِن عَزَماتِـــهِ

وَتَغــيضُ في بَسَماتِـــهِ

أنتَ الذي .. بل أنتِ

لا .. بل أنتَ ..

ما جَدْوَى الكَـلامْ ؟

ماتَت عواطفُنــــا

فليس يُعِيدُها لِحَياتها

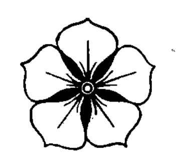
كلُّ الكَـــــلامْ

وتَرَمَّدَت نارُ الهَوى

بفِراقِنا .. وخَبا الغَرامْ

فعَلامَ نَنفُخُ في رمادْ ؟

وإلَامَ نحلُـم بالمَعَـادْ ؟





مأساة

لستُ أشكُو مِنكِ
بل أَشكُو إليكِ
فحياتِي كلُّهـا بين يدَيكِ
ضاع ماضِيَّ عذاباً واضطِرابا
وارتياباً واكتِئاباً وعِتابا
فارْحميني مِن شُجوني وظُنوني
وحَنيني وأَنيني وجُنوني
لا تقولي : كيف لا تَنسىٰ ؟
وقولي : كيف أَنْسى ؟
فَجْرِيَ الضَّائعَ أحلاماً وأُنسا ؟
كيف لا أَنشُدُه في قلبكِ الصَّافي وَفاءَ ؟
كيف لا أُنكِرُهُ مِن لفظِكِ العَذْبِ رِياءَ ؟
كيف لا يَضرِبُ فِكري في ضبابِ ؟
كيف لا تَغرَقُ أَحلامي وآمالِيَ في هذا العُبابِ ؟
لم يَزلْ صَوتُك في سَمعي وفي قَلبي يُغنّي
آشْكُ آلامَك لِي ، لا تَشْكُ مِنّي
فأنا اليومَ – وعينيكِ – كما كنتُ بأَمْسي

أَتلَهَّى بمصيري فيكِ عن هَولِ مَصيري

رغمَ يأسي

فَدَعيني لِشجوني وظُنوني

فَهْيَ من صُنع خيالاتي

ومن وَحي جُنوني

فدَعِيها .. وَدَعِيني

للتجَنّي .. والتَّمنّي

فلَقد يُرضيكِ – لو أرضاكِ – أنّي

لستُ أشكو منكِ أو أشكو إليكِ

من حياةٍ كلُّها بين يَدَيكِ

فإذا شاقَكِ أمـــري

فأسألي ليـلَكِ عنّـي

فَهْـو أَدْرَى بعـــذابي

منكِ يا سِرَّ عذابي

فأنا السَّارِي إلى غايَتِه

خَلْفَ السَّرابِ

أَقطَعُ الدَّربَ ، ولا أعرِفُ

أو أسألُ ، أَيَّان مآبي

ومعِي صَوتُكِ .. والذِّكرى

ومأساةُ شبابي واغترابي

١٣/١٠/١٩٦٤ م



اذرفي الدّمع

اِذرِفِي الدَّمعَ على ماضيكِ ، فالدَّمعُ عقابْ

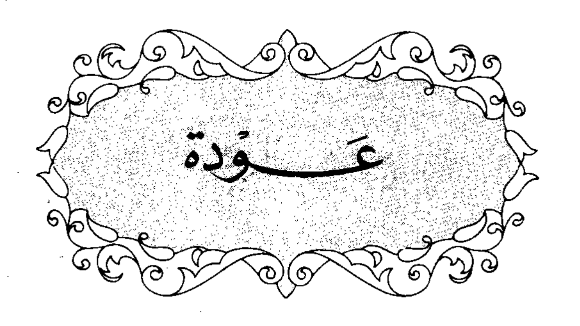
والأَسَى في ندَمِ النَّفسِ مِن الإثمِ مَثَابْ

رُبَّما كَفَّرَ عن ذَنْبِكِ ، حُزنٌ ، وَعَذابْ

غَيرَ أَنَّ الذَّنبَ يبقَى ، صاخباً تحتَ السُّكونْ

وصِراعاً أَبدِيّاً ، في نُفوسِ النَّادِمينْ





عَــوْدة

عُدتِ بعدَ النَّأْيِ الطَّويلِ .. نَعمْ عُدْتِ ، وعاد الماضِي الكريهُ .. الرَّتيبُ

عُدتِ كالطَّارقِ الغريبِ .. تَلَقَّاهُ ، على غَيرِ ما يريدُ ، غَريبُ

عْدتِ مَهدورةَ الكِيانِ .. وقَد رانَ على وجهِكِ الأَسى والشُّحوبُ[1]

وبِخدَّيكِ للمعارِكِ آثارٌ وفي قلبِكِ الكَسيرِ .. نُدوبُ[2]

وبِعَينَيكِ قِصَّةُ الأَلَمِ الطَّافحِ بالعارِ ، في لَظاها يَلوبُ

وَيْكِ ! ماذا دَهاكِ مِن واقعِ الدُّنْيا ، أَمَا فيهِ للحِسانِ .. نَصيبُ ؟

عَجَباً ! كيف لم يُرحِّبْ بكِ الحُبُّ ، ولم تَشْقَ في هَواكِ القلوبُ

أفكانتْ آمالُ أمسِكِ أحلاماً ، طوَى ضَوْءَها المُرَجَّى .. غُروبُ؟

شَدَّ ما أوهَنَ السُّرى منكِ ، والإِخْفاقُ ، فيما التمستِهِ .. واللُّغوبُ[3]

أينَ من أَطمَعَتْكِ في الخُلْدِ عَيناهُ ، مَلِيّاً ، ووَجْدُهُ المَشبوبُ[4]

أَتُراه ارتَوَى ، فَضَلَّ ، أمِ ارتاعَ بما فيكِ ، والخيالُ كَذوبُ ؟

فتطَرَّحْتِ للرَّغائبِ .. من كَفٍّ لِكَفٍّ ، حتَّى بَراكِ الذُّؤوبُ[5]

---

(١) ران الأسىٰ : غَلَب وغطّى .

(٢) النّدوب : جمع : الندب ، أثر الجرح .

(٣) اللغوب : التعب والإعياء .

(٤) مَلِيّاً : زماناً طويلاً . الوَجْد : الحبّ . المشبوب : المتوهج ، الموقَد ، الثائر .

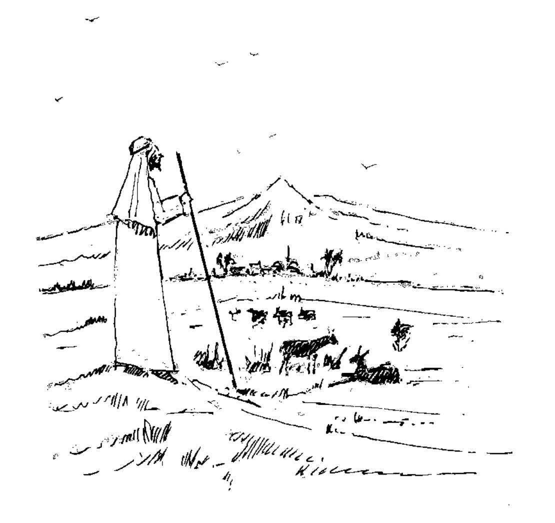
(٥) تطرَّحَ : مشى مشي ذي الكلال والضعف ، انطرح . بَرَاكِ : أنحلك .

سلعةً ، لم تَجدْ سِوى العابرِ اللّاهي بأَشْباهِها ، وأينَ الحبيبُ ؟
طِوَّفَتْ ، لا تَقِرُّ .. والنَّاس ماضونَ إلى ما يَطيبُ ، أَو لا يَطيبُ
وَهْيَ بين الرَّجاءِ واليأسِ ساعٍ مُضنَكٌ ، أثقلَتْ خُطاه الدُّروبُ[1]
فدَعاها الماضِي ، فحَنَّت إليهِ حينَ خابت ، وأثقلَتها الذُّنوبُ
ذكَرَتْ يومَها الذي هرَبت مِنْهُ ، ومِن خَلفِها كِيانٌ يَذوبُ
الصِّغارُ الباكونَ ، والمنزِلُ الهاوي ، بما كانَ ، والغَدُ المرهوبُ
مَأْتمٌ للحياةِ ، لم يَجنِهِ المَوْتُ ، ولكنْ جَنَتهِ أمٌ لَعوبُ
ثم ماذا ؟ أأنتِ صادقةُ الدَّمعِ ، وماضِيكِ بالدُّموعِ يَصوبُ[2]؟
ثم ماذا ؟ أَعُدتِ طاهرةَ الذَّيْلِ ، وتلكَ الجراحُ عنكِ تُجيبُ ؟
إنَّما عُدتِ مُضغةً نالَ منها ما توخَّاهُ مُخلِفٌ ومُثيبُ[3]
إنَّما عُدتِ حَفنَةً من رمادٍ ماتَ فيها بعدَ الحياةِ اللَّهيبُ
إنَّما عُدتِ سيرةً ، أنتِ منها مَأزِقُ الضَّنكِ والخَيالُ المُريبُ[4]
عُدتِ بالشَّكِّ ، عالقاً بكِ ، لا يَأْمَنُ عُقباهُ ، غافلٌ ، وأَريبُ
عُدتِ لي قصَّةً من الدَّمِ ، يَرويها لِعَينِي ، جُرحُكِ المَخضوبُ
ما أَرى ؟ هل أَرى خيالاً من الماضي إلى حاضري الجريحِ يَؤوبُ ؟
ما الذي كان في ظَلامِ مَسَارِيكِ ، وقد غَابَ عن خُطاك الرَّقيبُ[5]؟
ما الذي كان في ليالِيك ، إذْ فاضَت حنيناً .. والوِرْدُ منكِ قَريبُ ؟

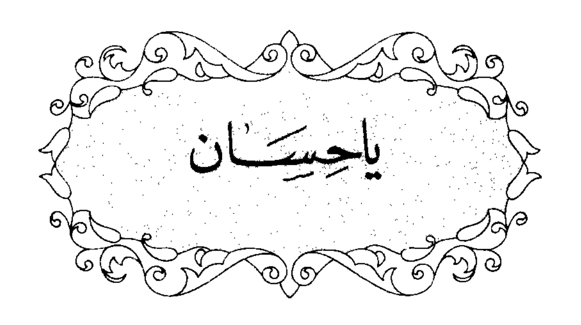
---

(١) مضنك : متعَب ، مجهَد .
(٢) يَصُوب : صاب المطر : انصب وجادَ .
(٣) المضغة : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره . المُخلِف : ناكص بوعده العطاء ، وعكسه المثيب .
(٤) المأزق : المضيق الحرج .
(٥) المساري : ج سُرى وهو السير في الليل .

والحُمَيَّا .. وأنتِ .. والعُود ، والألْـ.........ـحانُ ، نَشوى .. والصَّادحُ المحبوبُ ؟
والضِّياءُ الحاني على المَخدَعِ الـلّا.........هِثِ ، رَفَّت بهِ الرُّؤى والطُّيوبُ[1]؟
ليس سِرّاً ما تكتُمين ، فقد با.........حَ بهِ أمسُكِ البغيضُ الكئيبُ
أَمسُكِ الخائنُ المشبَّعُ باللَّعْـ.........ـنَةِ ، عيناكِ رمزُه المثقوبُ
فَابْكِ ما شئتِ ، لن يُطَهِّرَكِ الدَّمـ.........ـعُ ، ولو أنَّه دَمٌ ، ولَهيبُ
كذبَتْ هذه الدُّموعُ ، فما أَنْـ.........ـتِ سِوى أنتِ .. والشَّبابُ رطيبُ
أنتِ من نهجِكِ المُلوَّثِ في قَيْـ.........ـدٍ ، ونَهْجُ الغاوينَ قَيْدٌ غَلوبُ
لا تقولي : ظلَمتَني . كلُّ ما فيـ.........ـكِ ، إذا خانَني حِجَايَ ، مُريبُ[2]



(١) دَفّت الرؤى : دنت ، تجمعت ، تهيأت .
(٢) الحجى : العقل .



يا حِسان

العُمْـــرُ ساعاتُـــه ثَوان … وقصَّةُ الحيِّ منـــذُ كان

قصَّةُ سَارٍ بلا تَوان … بين سَبيلَيـنِ من دُخـــان

فامرَحْنَ وارقُصْنَ يا حِسان … وَاكْرَعْنَ من خَمرَةِ الدِّنان

وفِضْنَ بالحبِّ والحَنـــان … وَارْفُلْنَ كالحُورِ في الجِنان

فإنَّها خُلسَةُ الأَمانِ من الزَّمان[1]

واصبُبْنَ مِن فَاغِـم العَبِير … سُكْرَ حُمَيّـاهُ في الصدور

واطفِرْنَ في خِفَّـةِ الطُّيور … واغرَقْنَ في نَشْوَةِ الزُّهـور[2]

واخطِرْنَ في رِقَّـــةِ الأَثير … وابعَثْنَ في الوَاقـعِ المَريـر

رسالةَ الـحُسنِ والشُّعـور … هدَتْ ضَميراً إلى ضَمير

فلطَّفَت وَقدةَ الهَجْرِ للمُستَجير

مالتْ غُصونٌ على غُصون … وأَثمَرَ الحبُّ في الرُّكـون

وَارْتَوَتِ الأرضُ بالمُزون … فأَنبتَتْ رائـــعَ الفُتُـــون

سِحراً تسامَت به الظُّنُّون … لا حَدَّ ، لا قَيْدَ ، لا ظُنُون

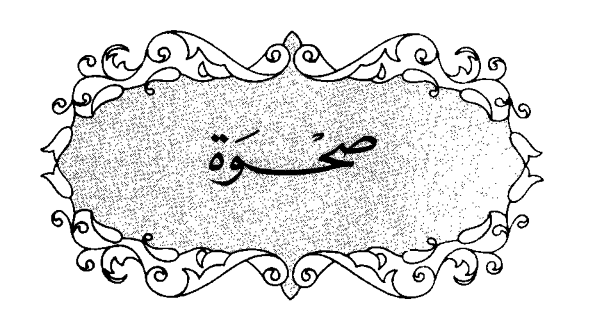
لا هَمَّ ، لا إثْـــــمَ … لا شُجـــــــــون

وكـلُّ ما كانَ أَو يَكـون … إلى سُكـــــــــون

---

(١) الخُلسة : الفرصة .

(٢) طفر : قفز .



أَمّــا أَنــا فقَــدِ انتهَــيتُ
وشربتُ من حُلـوِ الكـؤوسِ
ومُرِّها .. حتى ارتـوَيْتُ ..
وبلَـغتُ من غايــاتِ حُبِّكِ
ما كرِهتُ .. بما اشتَهيْتُ ..
وأَفـقتُ من حُلُمِـي الجميـلِ
على الحقيقــةِ .
وَهْـي كابــوسٌ ثقيـــلْ ..
وتَسلَّـــــلَتْ من حاضري
أَوهـامُ ماضِيكِ الحَفيـلْ ..
وفـرَغتُ من وَصَبِ الخيـالِ
فلا اشتياقَ .. ولا غَليلْ ..
وطـرَحتُ أعبــاءَ الشُّعــورِ
بكــــلِّ ما قدْ كان منكِ ،
ومـــا يكـــونْ

وخَلَصْتُ من تلك السَّفاسِفِ والقشورِ

وَمنْ فُجـاءاتِ الجُنـــونْ

ونَعِمتُ بعدَكِ بالسكـونِ ،

فلا صِراعَ ولا دُموعَ ولا ظُنون .

لا تَطـرُقي بابي فقـد أوصَدْتُـــهُ

وأمِنتُ ثائـرةَ الريـاح ،

ووهَبتُ عمْري للطبيعـــةِ

بين لَيْلــي والصَّبـــاح ..

وهـــربتُ من أَسْرِ الحيـــاةِ

ورُحتُ منطلِقَ الجَناح ..

ما أنتِ ؟ ما أنا ؟

شَهوتـانِ تلاقتـا

في موقـــفٍ دَعَتـاه حبّـا

فأصابتـــــا

مما أتــــاح هَواهُمـــا

دفعــاً وجَذْبــا

حتّـى إذا انطفـــأَ الأُوارُ

تداعَتــا مَلَـــلاً وسَلْبـــا

هيَ قصَّةُ الإنسانِ

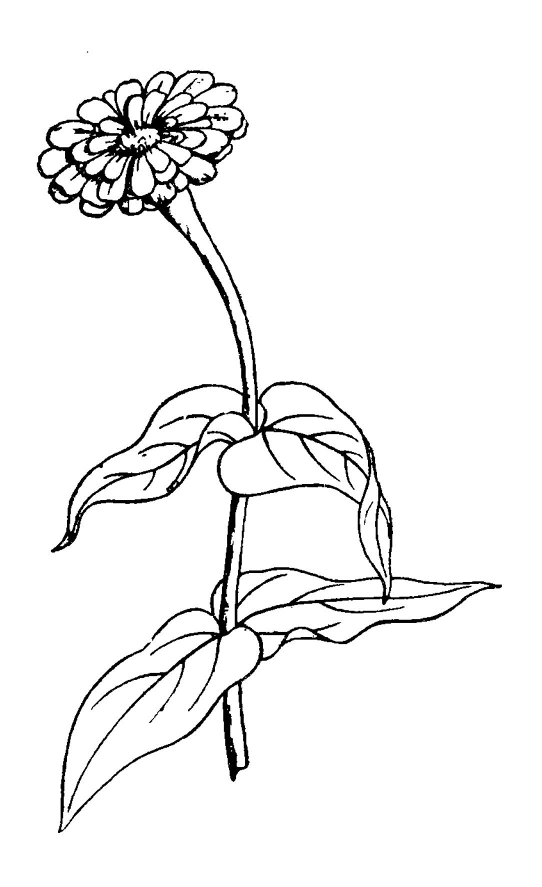
أَسدَلَ أو نَضَا عنها السِّتَارْ

كانت .. وكانَ الليَّـــــلُ

واللَّـــــهبُ المُثـــــارْ ..

تَهـــــويمةَ المَخمـــــورِ ،

طاحَ بما أقامَتـهُ الخُمـارْ ...





سُعادُ .. يا أُنشودةَ الرَّبيع

يا أحلامَهُ النَّشْوَى بِصَبوةِ الجَمال

ويا ضِياءَ الفجر ..

يا دعاءَهُ الحَنونَ ، يَفيضُ بالفُتون

مِن دِنانِه المُضَمَّخاتِ بالطُّيوبِ ، رَشَّتِ الدُّروب

في تَهويمَةِ الزُّهورِ ، يَحلُم حَولَها الطّيور

* * *

سعادُ يا إشراقةَ الأَمَل .. وبَسمةَ الشَّباب

يا أسطورةَ الهَوى في كَهفِها المَسحور

تُطلِقُ العَبيرَ ، حولَها ، مَجامرُ البُخُور

تَقُصُّ عن (عِشْتَارَ) قِصَصَ الجَمالِ والشُّعور[1]

مجنَّحاتٍ ، تَنهبُ الفضاءَ ، في أشعَّةِ القَمر

* * *

---

(١) عِشْتار : زعم الآشوريون والبابليون – وهم من المشركين – أنها آلهة الحب والخصب ، وعبدوها ، وكانت محلّ إجلال ملوكهم . وتقابلها « عَشْتَروت » عند الفينيقيين ، و « أفروديت » عند الإغريق ، و « فينوس » عند الرومان .

سعـادُ ، يا شَبَّابـةَ السُّكـون

هل كنتِ تَحلُميـــــنَ في إغفـــــاءَةٍ مُتْعَبَـــــة

قَصَّرتُهـا بمطلبـــي الذَّاهــلِ .. لا يَغفِــرُهُ الحَــنين

أتى بِيَ الشَّوقُ لكـــي أراك

كي أَرشُفَ الألفـاظَ ، حلـوةً ، من فمِكِ الجَميـــل

وكي أرى السُّباتَ في عينيكِ

زورقـاً يسبَـحُ بين ضفَّــتَين

مُخْمَلِيَّتينِ ، تَنضَحان بالشَّذا ..

تُباركانِ ، في حَنانٍ ، رِحلـةً ، تزفُّهـا سَكينـةُ الحَنـان

* * *

سعادُ ، عيناكِ بُحيرتانِ .. فاضتا

بكــلِّ ما في فِتنـــةِ الرَّبيـــعِ ، من مَفاتِـــنِ الحيـــاة

وكـلِّ ما في رَوْعـة الشَّبـابِ .. من ذخائـرِ الشَّبـاب

وكلِّ ما لا يَعرفُ الشَّبابُ من دوافعِ الحياة .. في خوالِجِ الشَّباب

* * *

سعـادُ .. هل تقـرأُ عينـاكِ الـذي تخُطُّــهُ عينــــاي ؟

وهـــل سَمـــعتِ .. شَهَقـــاتِ مُهجتـــي الحَـــرَّى ؟

تطوفُ كالفَراشِ ، حولَ وجهِكِ الوَضَّاءِ ، دافِئَ السِّمات ؟

وهَل تَرينَ دَمعةً في كلِّ كِلْمَةٍ لا هِئَةٍ ، يُرسلُها فَمي ؟

وهَل شعَرتِ في انقباضِ صَوتيَ الحزينِ عندما أودعُك ؟
وهَـل تتبَّعتِ خُطـايَ ، سَمَّـر الأسَى انطلاقَهـا ؟

* * *

هذا أنا أضربُ في الفَراغ موغِلاً في رِحلـة الضيَّاع
رِحلتي ، وقصَّتي التي أخاف أن يكون بَدْؤُها خِتامَها
قصَّةُ عُمْرٍ جاوزَ الشَّبابَ .. بل أضاعَهُ
في تيـهِ مَسْراهُ .. إلى مصيـرِهِ ..
حتَّى رأى في راحتَيك الحلوتَينِ .. سرَّ ذلك المَصير
فارتمَى بينهما ..
وراحَ في سُباتِهِ العَميقِ ، كالغَريق
لا يسألُ الطَّريقَ .. عن نهايةِ الطَّريق

* * *

سعـادُ ، ما أحلى اسمَك الطَّروبَ .. صانعَ المَعاد
سعادُ ، يا تَهويمَةَ القَرارِ .. بعد رِحلـةِ السُّهاد
تَألَّقي ، وأرسلي ، من ناظرَيك الواعدَينِ ، نفحةَ الصَّباح
وَقطِّري من راحتيكِ بَلسَم الجراح

* * *

سعـادُ ، إن أذنبتُ ، فاغفِري
وإن أسأتُ ، فاستُـري ..

فإنَّ عينـــيكِ وراءَ قِصَّتـــــي

ميــلادُ قِصَّتــي

تلك التـي .. أَخـافُ أن يكـونَ بَدؤهـا .. خِتامَهـا

* * *

سعادُ .. هل أَقـوَى على استئنـافِ رِحلـة الضَّيـاع ؟

ورِحلـة الإيغـال .. والتَّطويـفِ في متاهَـةِ الفَــراغ ؟

ورحلةِ الشَّوقِ إلى المصيرِ ، قادَهُ وقـادَني القَـدَر .. ؟

وأنتِ ذلك المصير ؟

نَعَـــمْ .. فأنتِ ذلكَ المصير ...

في قِصَّةِ الفراغِ .. والصِّراعِ .. والضَّياع

والأسَى المَريرِ .. وَوَقدةِ الهَجيرِ ، في دُوَّامة السُّرى

* * *

يا قِصَّتـــي .. يا فَصلَهــــا المثير

هذا أنــــــا وفي يَدِي الشِّراع

أَنشدُ الرَّفيــق .

فهـل تَحـوضِين معـي .. بِجانبـي ؟

وفي يديكِ دَفَّــــــة الشِّراعِ ؟

غياهباً – تُضيئُها عيناكِ .. يَنبوعَينِ ؟

هدَّارَيــنِ بالسَّنـــا . وبالأمـــل

بِكـلِّ ما هامت بهِ رُوحـيَ في طريقهــا الطَّويــل ؟

سعادُ .. هذا موعـد اللِّقـاءِ قد دنـا

وارتـــــعشت خوالجي ..
وقبـلَ أن أراكِ في أرجوحـةِ القَمَـــر
تسمَّرَ الخيالُ .. قَلقاً .. من رَهبَةِ الوَداع

* * *

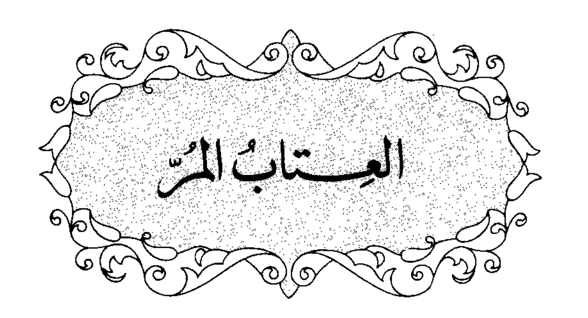
سعادُ .. لو كانَ لقاءٌ ، ليس بَعدَه وَداع
ولــــــيس بعـــــدَه فِراق
لو كان ؟
أَقلتُهـــــــا ؟
كلّا . فلـن أهمِسَهـــا في أُذُنــــيكِ
ساعةَ اللِّقاء .. لأنني أخاف لحظةَ الوَداعَ .. أن تكون لحظةَ الفِراق

* * *

سعـــــــــادُ .. مازالت يَدي مَشدودةً على الشِّراع
ونظرَتي تائهةً عَبْرَ الفضاءِ .. ترقبُ الفراغَ، والصِّراعَ، والضَّياع
ووجهُكِ الصَّغيرُ .. نجمةً .. تَبِيـنُ تارةً وتَخْتَفـي ..

* * *

ما أَبْعَدَ الرِّحلـةَ .. يا حبيبتـــي ..
ومـــا أَمَرَّهـــــا
رحلـــةَ مَنْ لا يَجـــــدُ الرَّفيــــق
عندما يَظُنُّ أنَّه .. قد وجَـد الرَّفيـق



العِتابُ المُرّ

اِختلفنـــا واتَّفقنـــا

والتقينـــا وافترقنـــا

وغضِبنـــا وعَتَبنـــا

وتَفاهَمنَـــا وتُبنَـــا

ثُمَّ ماذا ؟

ثُمَّ عُدنـــا

واختَلفنـــا

وفَتَحنا ألــفَ بابٍ للكــلام

وأنـــا أسأَلُ

في الماضي ، وفي الحاضر

ما جَدْوى الكلام

أنتِ أخطأتِ

أنا أخطــأتُ

والنَّظرةُ في أخطائِنا

لا تتغيَّـــر

لِمَ لا نسأَلُ قلبَيْنا

أحاسيسَهما .. عَسَى أن يَتذكَّر

أيُّ شَيْءٍ فيهمـا ..

فيها .. يَتغيَّـــر ؟

اِسألي نفسَكِ

أيـنَ الصِّدقُ في هذا الهُـراء ؟

اِسألي نفسَكِ

هل أنتِ كما كنتِ

التزامـاً للوفــاء ؟

اِسألي مجلسَنَـــا الصَّامتَ

في كلِّ مساء

إنَّـــه يَسأل مثلي

أيـــنَ أنتِ ؟

أيـنَ كنتِ ؟

والتي كانت تُجيبُ

ليس أنتِ

إنها أخـــرى سِوَى

أنتِ التي أُحبَبْتُهـا .. صَدَّقتُهـا

إنَّهـا أخـــرى

تَرودُ الــحُبَّ

في ألف طريق

إنَّهـا عابِثَـةٌ لا تَعـرِفُ الـحُبَّ

ولكــــنْ تَدَّعِيـــــهِ

وأخيراً .. إنها أنتِ

وفي ثوبٍ جديــــد

لم يَعُـدْ يَستُـــــرُ ما

تُخفِيــــــنَ فيــــه

إنَّـــــه أُصدَقُ منكِ

في الذي يَروِيهِ عنكِ

فدَعِيـهِ يَتكلَّـمْ

ودعيني أتعلَّـمْ

كيف يَغدُو حُسنُ ظنِّي

سوءَ ظنٍّ

بكـلامِ العابثـاتِ .. الفاتنـاتِ

بالهَوى .. بالسُّهـدِ .. بالدَّمـعِ

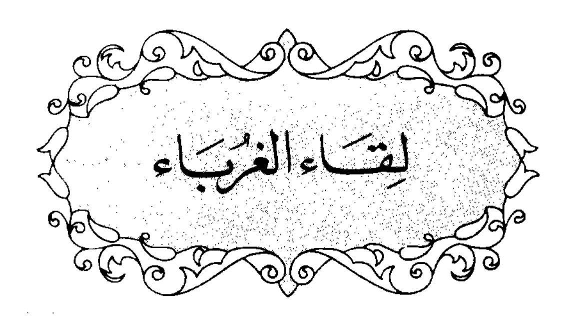
بكــــلِّ التُّرَّهَــــاتِ

التـي طاحت بِعـقِلي

مثلَما طاحَت بقلبي

التي تَهْتِف للحبِّ .. رياءً وخِداعا

★ ★ ★



اِلتَقَينا .. وافتَرقنا

باختصارٍ

إنَّها القِصَّةُ : بَدْءاً ونِهايةْ

ولْنَدَعْ تلكَ التَّهاوِيلَ المُثيرةْ

والتَّفاصيلَ

التي كَبَّرَها الوَهمُ

ووشَّتْها خيالاتُ الشَّراب

فارتَمَت أحلامُنا فيها

على ألفِ جَزيرةْ

وأَفَقنا ..

فإذا نحنُ على وَحلِ الغَريزةْ

بطلا أسطورةْ

تافهةِ المغزى

حقيرةْ

ليس فيها

ما يزكّي لَفْتَةً منكِ ومنّي

فكلانا هاربٌ من عُمْرِهِ الضَّائع فيها
لا تُعيـــديها على سَمعـــي
فلـن تبلـغَ قلبـي
بعـد ما ماتَ صَداهـا فيـــه
وانجابَ أَساهـا
واكتُـــميها
فلقـد كانت على أبسطِ تفسيـرٍ
خَطِيئـــةْ
تقفُ المُومِسُ – في مِيزانِها ، منكِ
بريئـــةْ
لا تقـولي : كان
ماذا كان ؟
هل كان لنـــا فيها ؟
سوى دَورِ الرِّيـــاء
والخديعـــةْ ؟
إنَّـــه لم يَكُ دَورَ البطلَيـــنِ
إنَّــه دَورُ الطَّبيعـــةْ
لَقَّنَتْنـــاهُ .. فَأَدَّيْنـــاهُ
ملهـــاةً قصيرةْ
اِنتهت تحتَ سِتـــارِ الصَّمت

مأساةٌ مَريـــــرةْ

وانتهينا مُذ خَبَت

في مَوقـد الرَّغبـةِ .. في أتُّونِهـــا

آخـــرُ جَمـــرة

فتثاءبنــــا حَيـــــاءَ

وتبادلنـــــا الرِّيــــاءَ

وظنَّنـــــاهُ وَفـــاءَ

فإذا مَظهرُنـا الكـاذبُ

يُضنِينــــا عنــــاءَ

وإذا القِصَّةُ في مقطَعِها

صورةُ الواقع في مطلَعِها

دَعوةٌ ، لاقتْ صداهـا

وتَساوى طَرَفَاهــــا

فَتـلاشى بَدْؤهــا ، في مُنتهاهـــا

لا تُراعِــــــي

إنَّهـا دُوَّامـة الحِيـــرَة

في لُغـــــزِ الصِّراعِ

بين ما يَستهِــــــدفُ الإنسانَ

مضطراً كمختار – وقانونِ الدَّواعي

إنَّهـــا الـقِصَّةُ – يا سَيِّـــدتي

إنَّهــــا قصَّة كلِّ النَّـــــاس

في ماضٍ وآت

يتجلَّى لُغزُها التَّافــهُ

عن معنــى الحيـــاة

ليس فيها أيُّ مَغــزى

غيرَ ما كان - كما كان

وهــذا سِرُّهــا

موجَـــةٌ حرَّكهـــا المَـــدُّ

إلى وِجهَتِهـــا

ثُمَّ طواهــــا .. جَزْرُهـــــا

لا تقـــــولي .. لِمَ ثارتْ ؟

كيـف غارَت ؟

فرِمال الشَّطِّ لا تُعطي جوابــا

غيــرَ هذا الصَّمت .. يُولِــيكِ

به السِّحـرُ .. عذابــا

فاحـذَري أن تقفــي

فالــدَّربُ قُدَّامَكِ مازال طويــلا

تترامــى .. قِصصُ الــحُبِّ به

خُلْـداً .. جميـلا

واذهَبِــي حيث يشاءُ العُمــــرُ

جِدّاً .. وفضولا

وانفُخـــي في جسمِك الظامـــئ

يرتَـدَّ .. شبابـــا

واستعيـدي السّحـرَ .. إنْ أَعـوَزَ

عطـراً .. وثيابـا

واهـــربي من قَلَـــقِ الصُّبــــحِ

بحِضنِ المَغـرِبِ

واضرِبي في ظُلمـــةِ الـــرِّجسِ

بذيـل العقــربِ

واشربي من دَمِ قتـــــــــلاكِ

طويـلاً واطـــربي

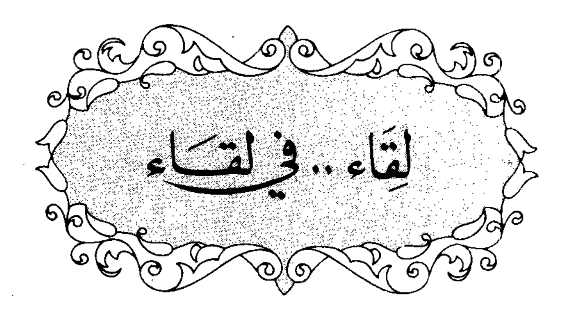
واكتبـــــي في كلِّ يومٍ .. قصَّةً

وَلِدي في كلِّ عامٍ قصَّةً .. ودَعِيها لأبيها

فَهْي منـه ، صدقَتْ ، أو كذبَت

وهـــي إليــــه .

★ ★ ★



لِقَاء .. في لقَـاء

أنتِ ؟

ورانَ الشَّكُّ على نَفسي

ومَضيتُ أراجِـــعُ أيامـــي

وأُهِــيبُ بحَــدْسي

فرأيتُكِ فيها ذِكـــرى

تَمـــــلأُ أمسي

وتُــوَشِّي أحلامـــي

وتـــواكِبُ أوهامـــي

وتـــواسِي آلامـــي

وتُفَجِّــعُ إلهامـــي

وترقُّـــــقُ حسّي

وتنيـــرُ الآفاقَ أمامـــــي

وهَمَستُ ..

وكنتُ أَرى في وَمضةِ عينيكِ

صَدَى الإحساسِ بِهَـــمسي

أنتِ ؟

ولكنْ كيفَ ؟ وأينَ ؟

وتـداعَت صُوَرُ الماضي

واختلــجَت

فرأيــتُكِ فيها رَأْيَ العيـــنِ

وسمعتُ كلامَكِ فيها وكَلَامـي

ورفيفـــــاً

يَصدُرُ عن كأسَيــنِ

عن كأسِكِ تَقْـــرَعُ كأسِي

وحفيــفَ خُطـــاكِ

خُطــاكِ ، كما أَسمعهـــا الآن

تُبَدِّد صَمتَ الظُّلْمَــة

في أفـقِ حيــاتي المبهَـــم

وتُرفـرفُ في أجــواءِ خيالِــي

نغمــاً يتـــبسَّم

تتـــردَّدُ فيـــه ،

حِجــــازاً ..

وصَبــــاً ..[1]

---

(١) الحجاز والصَّبا : لونان من الأنغام الشرقية .

أصواتٌ عُلْويَّـــــــة

تنضَحُ بالطِّـــــــيبِ

كسفــحِ حِراءٍ وقُبَــا(1)

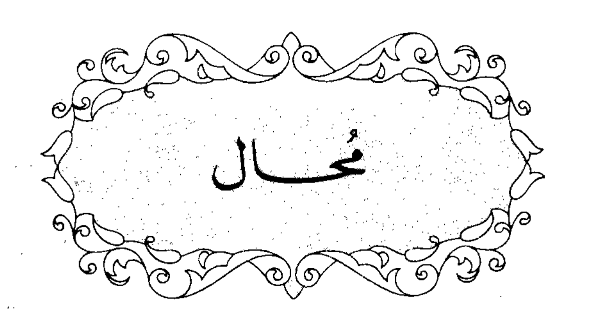
أصواتٌ مازالَ صدَاهـا يَسرِي

ويَرُشُّ رمـالَ الـوادِي بالعِطـرِ



---

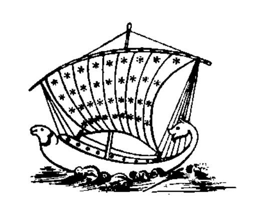
(١) حِراء : جبل في مكة المكرمة حيث كان رسول الله ﷺ يتحنث قبل البعثة النبوية في غارٍ منه .
قُبا : موضع في المدينة المنورة ، حيث بني فيه أول مسجد في تاريخ الإسلام .



مُحـــال

تَعِبتُ ، يا حَبيبتـي ، تَعِــبتُ
ولم أَعُدْ أُطيقُ أَن أرى جديـدا
ونـاءَ بيْ التَّحديـقُ في الـفضَاء
وضِقْتُ بالنُّجــــوم
بكـلِّ شيءٍ .. بحيـاتي ذاتِهـــا
بكلِّ ما يُسمَع أو يُقال
حتَّـى بقـولِكِ الجميـل
تحاوليــــنَ أن يُزيــحَ
ظُلمةَ الأسى .. وغمرةَ النِّسيان
حبيبتـي
عاش المُحـالُ مرَّةً .. ومـات
ولـن يَعـــود ميِّتٌ إلى الحيـــاة
حاولتُ قبــــــل أن تحاولي
وعــــدتُ صامتـــــاً
ولـــيسَ من جديـــد
لن تصنعي المُحـــال

لن تصنعي النَّارَ من الرَّمــاد
قد تَمْسحينَ أدمعــي
وتُطلِقينَ بسمتي من سِجنِها
من قيدِهــا العتيــد
وقد تُجيبيــنَ على كلِّ سؤال
وتملأيــن الأفــقَ السَّعيــد
بكلِّ ما في الكونِ من أعياد
لكنَّنا .. أنا . وأنتِ
لن نُعيــدَ ما مضى
لن نصنــعَ المُحــال
لأنَّه اختفى .. وماتَ .. واندثر
لأنَّــه خيــال





فَـرَاش ..وجَليد

هاجِـــرَتي ! لو كنتِ تَسمـــعين

ما أقـــــول .. أو تَعِين

لَمَـــا تراكم الجَليـــدُ بينَنَـــا

ولم تَمُتْ أيامُنـــا على الجليـــد

* * *

هاجِـــرَتي ! أُرجوحـــةُ الأَقدارِ

لم تَزلْ تدور ..

تحتَ ظلالِ الصَّمتِ والسُّكـــون

والبُعـــدُ بينَنـــا يمتَـــدُّ في فراغ

تُقَبِّـــلُ الهواءَ حولَـــه ..

وتَطـــلُب المزيـــد

وتُطفـــئُ المصبـــاح

كي يُنـــوِّر الدُّجـــى جَنَاحَهـــا

وكـــي يُضمِّـــدَ الدُّجـــى جِراحَهـــا

* * *

الكــأسُ ، يا فَراشَتــي !

لَمَّــا تَزَلْ ملأى بِرَيِّــقِ الشَّراب

والرَّغَبــاتُ لم تَزَلْ عُبَــاب

فكيــفَ طِرْتِ .. واندَفَــعْتِ

خارجَ الزَّمــان ؟

نَسيتِ .. أمْ أُنسيتِ وقدَةَ اللَّهَب ؟

ووَشْوشاتِ الكــأس

حَفَّ كأسَهــا الحَــبَبُ ؟

مَلِــلْتِ ؟ أم نَدِمْتِ ؟

أم لَوى بِكِ الــغَضب ؟

لا تَجِديــنَ ما يُقــال ؟

أَفهَمُ ما يُمكــن أن يُقال !

لِكــلِّ رِحلــةٍ سَبَب

وكــلُّ راحــلٍ له أَرَب

لا ، لن أقــولَ خُنْتِ

أو ضَلَلْتِ .. إنَّها الرِّغاب

وإنَّهــا دوافــعُ الشَّبــاب

فَرفِرِي حيثُ يقودُك الفَضاء

لغايــةٍ .. لِغيــرِ غايــةْ

كلاهما سواء ..

لا تَسألي عن المصير
ما دام في الدُّجى سَرير
يُنيرُه مصباح
كلُّ الفَراشِ هكذا
كلُّ الفَراشِ كائنٌ لِيحَترِق
بل كلُّ شيءٍ في الوُجودِ يَحترق
حتَّى الفَراشاتُ التي لا تَعرِف اللَّهيب
حتّى التي لا تعرف الحُبَّ ولا الحَبيب
فَراشتي ! لِحكمةٍ قد حَفَلَ
الوُجود بالفَراش ..
وكلُّ حُجرةٍ بها سرير
يَقبَعُ في جواره مِصباح
وليس في القِصَّةِ ما يَهُول
وكلّ ماضٍ يَهون .. يَختفي
في ظلمة الدُّجَى ..
فَراشتي ! لو ساقكِ الهواءُ ليلةً
إلى فراغ حُجرتي
لن تجدي السَّرير خالياً
فثَمَّ دائماً .. أكثرُ من فَراشَةْ
تَطوف حولَه لِتَحترق ..

وكلُّ شيءٍ في الوُجود يَحترق ..
أنا .. وأنتِ .. والكِيان كلُّه ..
حتَّى اللَّهيبُ والجليد ..
ويختفي القَديم ، ويَظهر الجَديد
ويَلِدُ الفَراشُ ، دائماً فَراش ..
فَراشتي ! أنا حزين
لأنَّ غاية الحياة .. غَيْرُ غايتي .. وَغَيْرُ غايَتك
لأنَّ كل شيءٍ يَنتهي .. ويَختفي
ولا يَدوم
لأنَّه لو دام ، لانتهَى بقاؤُهُ
وصارت الأَحياءُ كلُّها جَماد
نَعَم .. بِرَغم ما فهمتُ
لم أزلْ حَزين ..
لأنَّ كلَّ شيءٍ في الوُجود يَحترق
مخلّفاً وراءه رماد
تنْثُره الرِّياح
فَراشَتي !. لن يَبْلغَ الكلامُ
غايةَ الكلام
فلْيكنِ الصَّمت إذاً
لِهذه المأساةِ .. شارةَ الخِتام



حبيبتي حنان

حَبيبتـــي ! حَنـــانْ !

هل بَلَـــغ الصَّمت بنـــا

مَرحلَـــة النِّسيـــانْ ؟

أم مات بيننـــا الزَّمـــانْ ؟

لا وعـــدَ .. لا وعيـــدْ

لا زَوْرَةٌ يدنـو بها البعيـــدْ

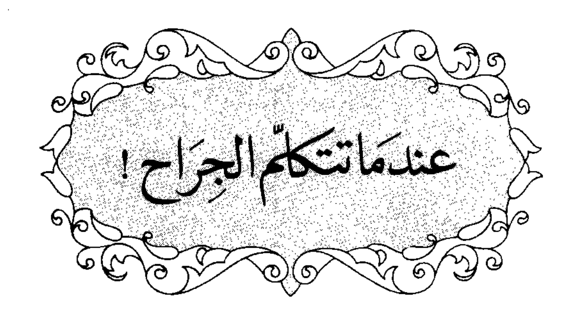
لا نظرةٌ من عينِكِ الغَضبى

تُحطِّـــمُ الجليـــدْ

أنـا هنـا مُؤَرَّقُ الجُفـــونْ

يعصِفُ بي الحَنينُ والظُّنـونْ





عندما تتكلّم الجِرَاح!

هل قلتِ : أنتَ ؟

ومَن أنـا ؟

أنـا صرخـةٌ غيَّـرَتْ حيـاتَكِ

صرخـــةٌ لم تَسمـــعيها

أنا شهقـةٌ ، مرَّتْ بسمـعِكِ

خاطبَـتْكِ ، فلـم تَعِيها

أنـا دَمعـــةٌ سَقَـــطَت

تُناشِدُكِ الوَفـا ، لم تَمْسَحيها

أنا عَثرةُ القلبِ الجَريح

تَضَرَّعَتْ أن تُنهضِيها

وأنـا ضحيَّـةُ قلـبِكِ القـاسي

أَبَـــى أن تَرحَــــميها

أأنــا الـــذي أقسَمْتُ

بالعهدِ الحبيبِ وخُنْتُهُ ؟

وأنـا الـــذي صَدَّعتُ

ما شادَ الهَـوى وهَدَمْتُـه ؟

ومَلِلْتُهُ .. وكرِهتُه وهَجَرتُه ؟

ومضَيتُ ، والأحلامُ تَحْدوني

إلى أُفــق الخيـــالِ

هيمـانَ ، أَحلُــمُ بالنِّهايــةِ

في متاهـــاتِ الضَّلالِ ؟

وانــقَضَّ صَرحُ الكِبريــاءِ

وتَــقَشَّعَت سُحُب الرِّيــاءِ

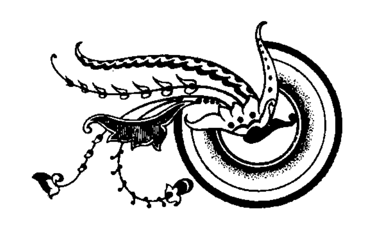
هل قلتِ : أنتَ ؟

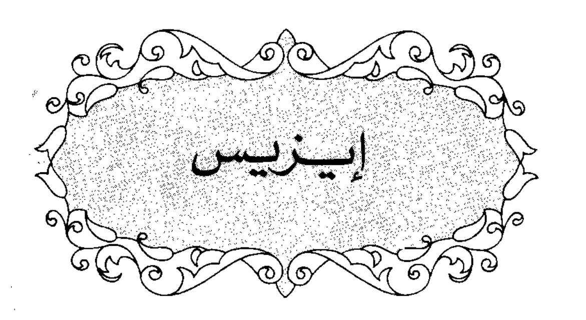
أنا ؟ بِحَقِّكِ من أنا ؟

أأنـا الـذي واسيْتــهِ ؟

وحَمَيْتـهِ .. ووَقَيْتـهِ ؟

ووَفَيْتِهِ .. وذكَرْتِ إذْ جافَيْتِهِ ؟





إيزيس

إيزيسُ !

يا أُسطورةَ الخَيال !

يا ساحرتي الجميلةْ !

يا بسمةَ الرَّبيع !

يا عبيره السيّال !

يا نَشوةَ الزُّهور

في الخميلةْ

يا حُلْميَ الكبير !

يا أُمنيّة الشَّباب !

يا أَملَ الطفولةْ !

يا قصَّتي التي

ما زلتُ منذُ عِشتُها !

أبحثُ في آلامها

أبحثُ عن خِتامها سُدى

وأَسأَل الماضي

فيهتفُ الصَّدَى

غداً .. غدا

وكـــنتِ أنتِ

وذلك الغـــدُ المجهـــول

وذلك الغـــدُ المَمْطـــول

وذلك الغـــدُ المَوْعـــود

غَدَا الضَنيـــنَ بالوجـــود

وطـالَ بِي الحنين

أُسارعُ المَـــدى

وأُرقبُ الهُـــدَى

مُضَيَّـــعَ السِّنِين

وفجأةً ..

تَحـرَّك السِّتـــار

وانبثَـــقَت من

داخـل الإطـــارْ

نَجمـةٌ .. تُلَـفُّ

في أَزْرَارْ

وطـــاف قلبـــي

حَول وجـــهِك الحبـــيبْ

فَراشةً يَسْحَرُهـا

اللَّهـــــيَبْ

فهـــل عَرَفتِ

سِرَّه العَجيبْ ؟

وهـــل عَرفتِ ما تقـــول

نَظرتي لِنَظرتِكْ ؟

وما تقول لَهفَتي ؟

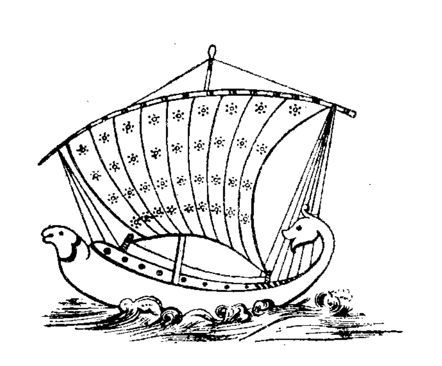
للفظـــــةٍ من

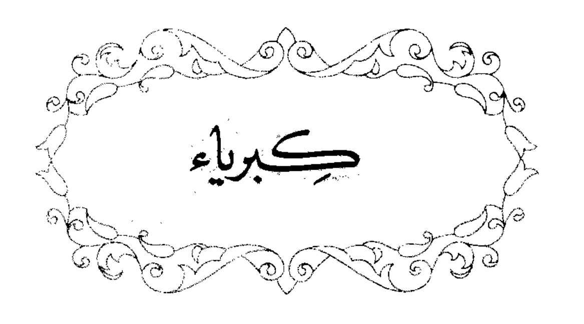
شَفَـــــتِكْ ؟

إيـزيسُ !

أنتِ قصّتي ، بدايةٌ ، تَغْرَقُ في الشَّقاء

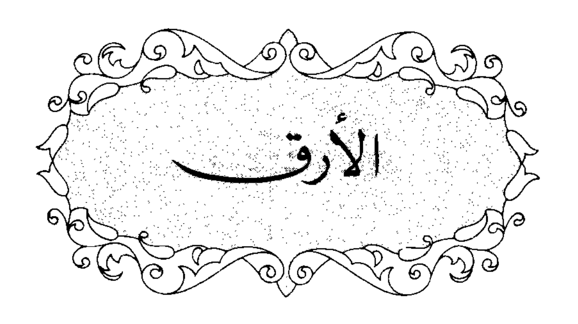
وأنتِ قصَّتي ، نهايةٌ ، تَحْلُمُ باللِّقاء





كِبرياء

مَتَى كنَّا هنا ؟ قولِي متَى كنَّا ؟ وهل كنّا ؟
أَتَفنَى ذكِرياتُ الحُبِّ فينا ، قبل أن نَفنى ؟
لقد هُنَّا ، وهانَ الحُبُّ ، منذُ سَرَت بنا الأيَّام
بعيداً في مَسارِى الصَّمت ، لا ذكرى ولا أحلام
ومَدَّ ظلالَه النِّسيانُ ، فوق مَعابر الصَّمتِ
فلا أنا قد خَطوتُ إليكِ معتذراً ، ولا أنتِ
لماذا ؟ أنتِ لا تَدرين ، ومثلَك كنتُ لا أدري
تَعالَيْنا ، فضاعَ العُذرُ بين السُّخط والكِبْرِ
وماذا كان غيرَ تَوافِهِ الأخطاءِ والأَسباب ؟
فماتت بيننا الأيّامُ ، لا عَتبَ ، ولا إعتاب
كلانا صابَر المأساةَ .. سامَرَ حزنَه فيها
تُمَزِّق صدرَه الآلامُ ، تَطويه ويَطويها
نَسيتُ أنا .. فهل تَنسَينَ ما فَعَلت بنا الأوهام ؟
فعاطِينى كؤوسَ رِضاك ، زَفَّ عبيرَها الأنغام
وحسبي فيكِ ما لاقَيتُ من حُزنٍ ومن حِرمان
ظلمتُكِ ، فانتصفتِ ، وها أنا أتلمَّسُ الغُفران



الأرق

دونَ الـذي أَتمنَّـى اليـأسُ والقَلَـقُ ... يا ليلُ ، حَسْبُكَ ، ماذا يَتركُ الأَرقُ ؟

لم يُبـقِ فِيَّ الجَـوى صَبراً لنازلـةٍ ... إلّا أُثـارةَ نفسٍ ، طَيَّهـا رَمَـقُ

يا ليلُ ، أثخنَ فِيَّ الغَدرُ ، واحترَبَت ... حَولي عواصفُـهُ الهَوجـاءُ تَصطفِـقُ[1]

وخانَنـي غادِرُ اللّحظَيـنِ ، يَدفعُـهُ ... عنّـي ضلالُ الهوى والـذلُّ والخُـرُقُ

بَثَّ الشِّراكَ بقلبـي يومَ فِتنَتِـه ... بِفريـةٍ من كِذابِ الـحُسنِ تُختلَـقُ

أَغَـرُّ ، تنهضُ عينـاهُ بحُجَّتِـهِ ... وقـد تردَّدَ فيها الـزُّورُ والمَلَـقُ[2]

عينانِ ، لا كعيونِ النَّـاس ، طَيَّهمـا ... خَتْلُ الضَّعيفِ ، ووَرْيُ الشَّرِّ ، والفَرَقُ[3]

ومِـمَّ يَفـرَقُ جبَّـارٌ يطالعُـه ... دَمُ الفريسةِ ، وَهْو الضَّاحكُ الطَّلِقُ[4]

خافَ الهزيمةَ فيمـا راحَ يأمُلُـه ... مِنّي ، وكنتُ عنيدَ القلبِ ، لا أَثِقُ

★ ★ ★

---

(١) أثخن : بالغ فيه ، غلب عليه . احترب القوم : حارب بعضهم بعضاً . اصطفق : اضطرب وتحرك .
(٢) الزور : الباطل . الملق : التودد الزائد .
(٣) الختل : الخداع والمراوغة . الوَرْي : إيقاد النار . الفَرَق : الخوف الشديد .
(٤) الطَّلِق : المتهلل الوجه .



أنا لا أغار

من أينَ جئتِ ؟ وأينَ كُنتِ ؟

وما فعلتِ ؟

وأينَ صادِقةُ الجواب ؟

أتقول كنت هناك ؟

أتقول خنتُ هواك ؟

لا .. لن تقولَ سوى الدّموع

وتُلِحُّ أسبابُ الرِّياءِ .. أو الذَّكاءِ .. أو الرَّجاء

على البقاءِ وراءَ أستار الخفاء

ونرى، ونسمعُ، كيف يَنتصرُ الهُرَاء

أنا لا أحار

ولا أغار

أنا لستُ أسألُ أين كنتِ

وما فعلتِ ؟ خلالَ أيام الغياب ؟

لأنني ، وهواكِ ، أدري

أدري ، وأعرفُ عن يقينْ

ما تفعلين ، وأنتِ غائبة ؟

وما لا تفعليـــنْ

وبمن وأنتِ معـي

وبيـنَ يَدَيَّ ، وَجْـداً ، تحلُميـنْ

وبمَـن .. ومَـن .. تتلاعبيـــنْ

وتعرِفين .. وتكشُفين – ما لا أظنّك تجهلينْ

أفلا يروقُك أننـي لا أُستشـار ؟

ولا أغار ولا أحار

وأهيـــمُ فيكِ .. ولا يؤرّقُنـــي الـــفُضولْ

إذا لقيتكِ بعد حين ..

وَلِـــمَ الــــفُضُول ؟

أنـــا لا أشكّ .. ولا أغـــار

ولا أَشُوبُ صَفاءَ قلبِكِ بالعِتاب

ها أنتِ بيـــــنَ يَدَيَّ

شخصاً ماثِـــــــلاً

ما لي ؟ وما لِهواكِ قلباً غائبا ؟

أنا لا أغـار من الذيـن

تقـــــــاسموه

أنا لا أغار ، فقد شَقِيتُ

بِغَيْـــرتي أيـــام جهلي

أيام كنتُ أقدّسُ الكلماتِ

أطعِمُهـــا حيـــاتي

الحبَّ .. والأشواقَ .. والوَجْدَ المبرِّحَ .. والدموع

أيامَ كان لكـل لفـظٍ

في أحـاسيسي شِعــار

والآن ماذا بعـــدُ ؟

أأقـول بعـد الأربعيـنْ

أم بعـد تجربـة السِّنيـنْ

أصبحتُ شيئاً جامـداً

لا يُستثـــارُ

ولا يَغــــارُ

نَعَمْ . وما معنى أغار ؟

ولم تَزَل تسري الريّاح

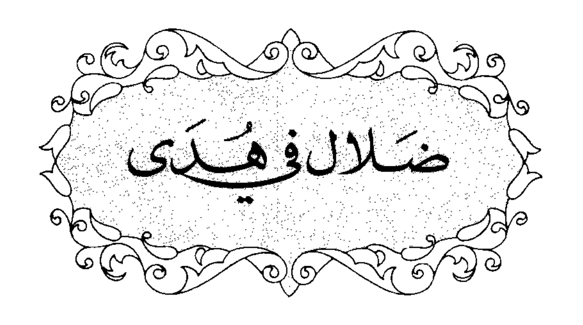
بقصّة الإنسان ؟

تَرويها الحقـــول

عن الثمار .. عن الزّهور

عن الوحـول .. جميـع ما تحوي الوحـــول

* * *



ضلال في هدى

يا هُدَى مَن راحَ في حُبِّكِ موصولَ الضَّلالِ
وسَرى في تيهِ عينيكِ على لمحِ الخيـــالِ
حائراً ، مضطربَ الخُطوةِ ، مجهولَ المآلِ
كلّما ناءَ به الجَهــدُ تصدَّى للــنِّضالِ
راجيـاً يدفَعُـه اليــأسُ فيُدنيــه الأَمَلُ
ثائـراً يُطمِعُـه الشوق ، فيَثنيـه الوَجَــلُ

انطوى ماضيَّ في الحُبِّ .. ظلاماً ، وضياء
ومسرّاتٍ ، وآلامـاً ، وغـدراً ، ووفـــاء
وقطوبـاً ، وابتسامـاً ، وبعِـاداً ، ولقـــاء
يا هُدَى ، إنّـى أرى الماضي بعينـيكِ ثَراء
فاجعليه لفُؤادَيْنا ، وقد هاما ، نَشيدا
واصنعي من عهدِه الشّامخ بالأحلامِ عيدا

أنتِ يا باعثةَ الماضي بروحـــي وَجَنـــاني
عن ثنايـاكِ الوَضيئـاتِ بَدَا نورُ الأمــــاني

وبلحظَيكِ النبيلَينِ أَرى سِحرَ الجِنان
فاغمُرِيني من حُمَيَّاكِ بآلافِ المعاني

إنَّما الشِّعرُ مَعانيكِ ، وقلبي الشَّاعرُ
وأنا الرُّوح ، أوِ الوَكرُ ، وأنتِ الطَّائرُ

أنتِ عنوانُ الصِّبا والحُسنِ في أبهى مثالِ
وهُدى قلبي وأفكاري ، وَصِيتي ، وخَيالي
ومُنَى نفسي وآمالي ، وأحلامي الغوالي
وصدى حُبِّي الذي ضاع ، وأيامي الخَوالي

فابعثي الماضيْ بِعَينيكِ على اللَّحن الطَّروبِ
التَقى في ظِلِّهِ الطَّائرُ بالرَّوض الرَّطيبِ

سَلسِلي القَولَ أغاريدَ من الفتنةِ سَكرَى
واسكبي اللَّفظَ بأُذْنَيَّ – إذا حَدَّثتِ – قُمْرا
وأعيدي ذكرياتِ النّيل أحلاماً ، وسِحْرا
رُبَّ ذِكرى وحَّدَتْ قلبَينِ في الحُبِّ ، فقَرّا

إنَّها الدَّعوةُ من قلبي أطافَت ، فأَجيبي
وخذِيها ، يا هُدى عهدَ حبيبٍ لحبيبِ

أنتِ كالوردةِ لُطفاً ، وعَبيراً ، ونَدَى
أنتِ بدرٌ لو رأى البدرُ سَناهُ .. سَجَدا

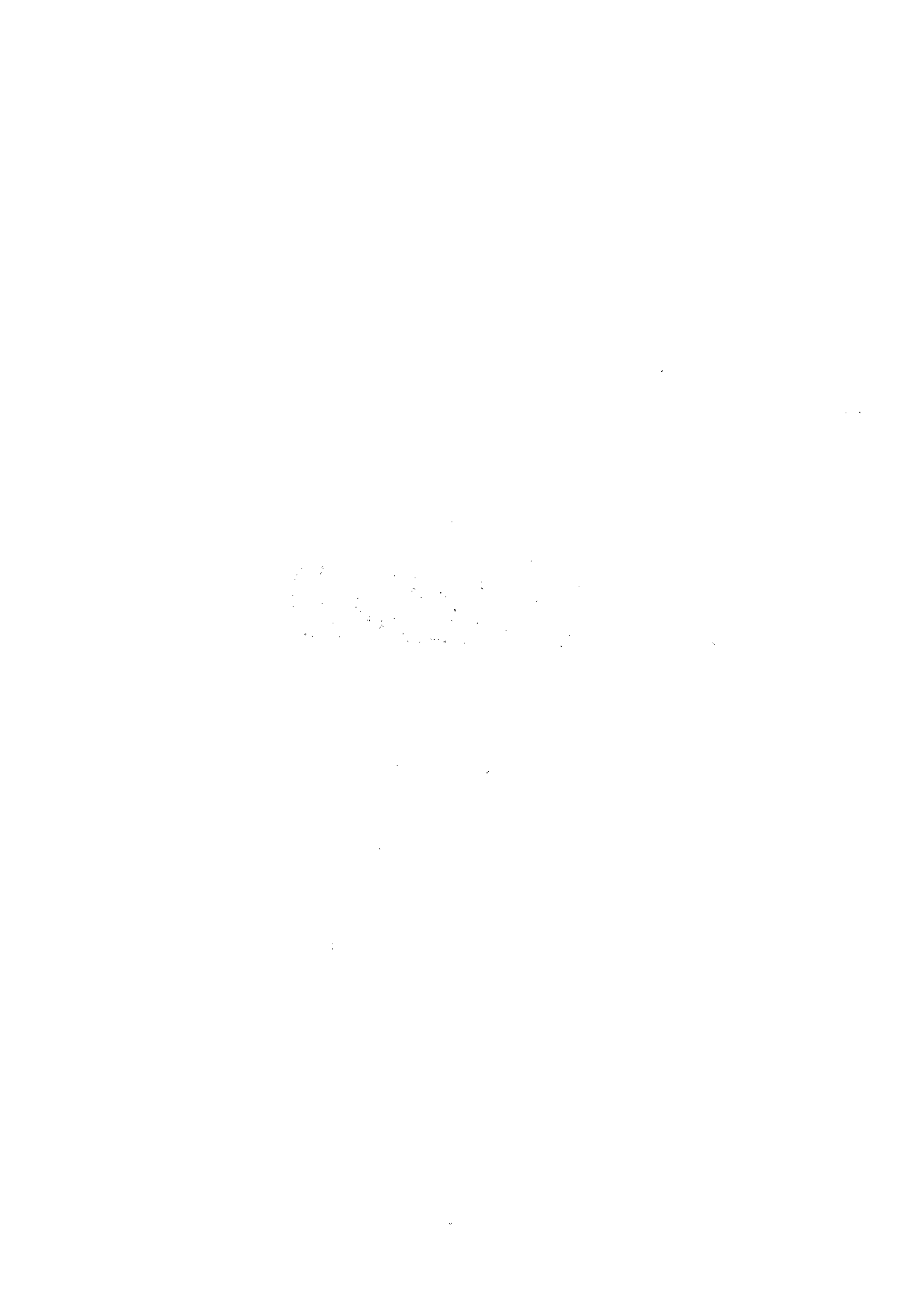
أنتِ كالخُلدِ صَفاءً ، ورُواءً ، ومَـــدَى
أنتِ كأسُ الخمرِ ، لو بَلَّت لحَاسِيها صَدَى

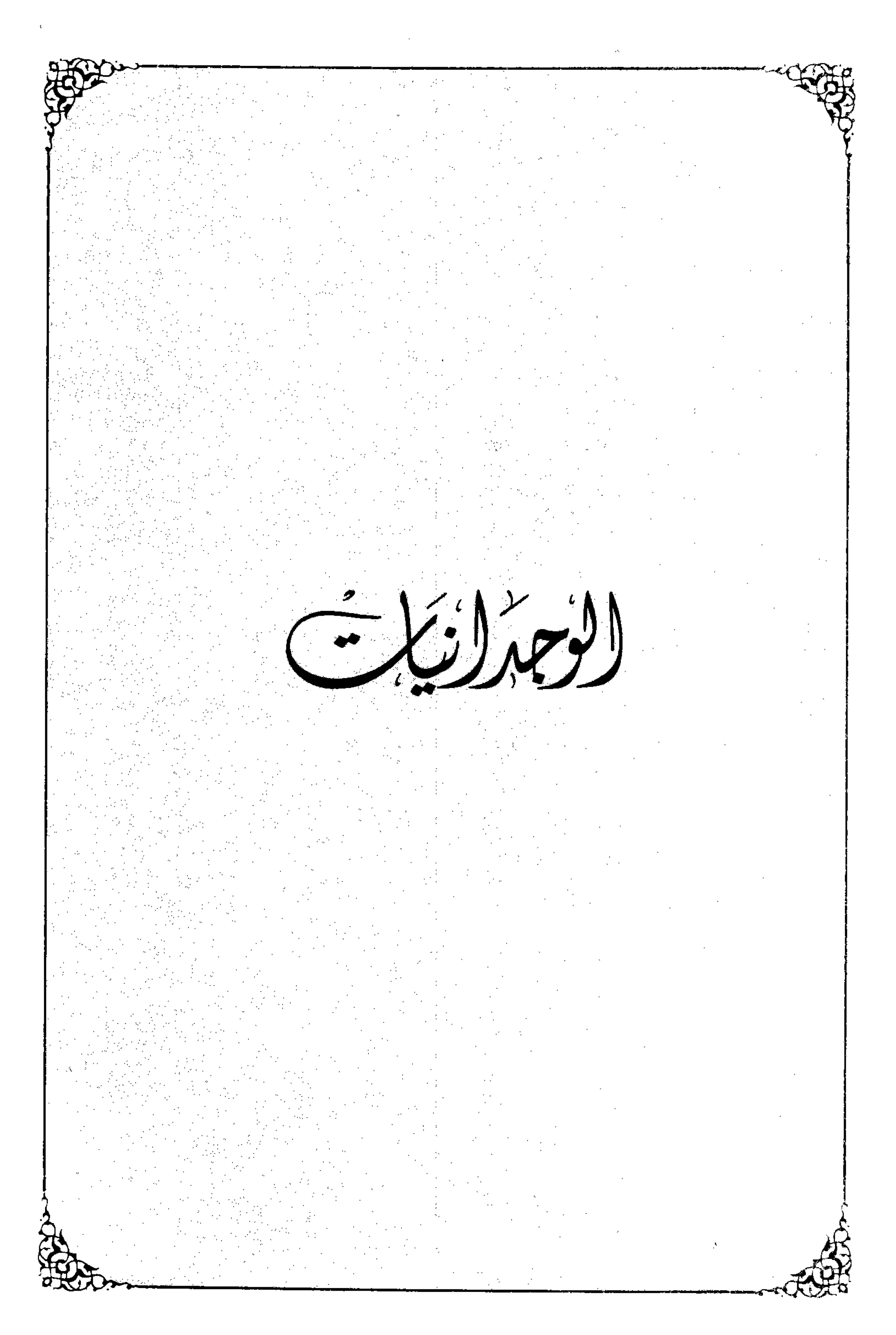
أنتِ لَحنٌ شَمَلَ الفتنةَ من سحرٍ دَفيـنِ
سَوف يَروى قصَّةً خالدةً عنكِ وعنّي

يا هُدى ! هل هِي أيامٌ قصارٌ .. أم تَطولُ ؟!
جَمَعَتنا صُدفةٌ عابرةٌ ، فيها ، وأحوالٌ تَحُولُ
أم هِي الهَجرُ الذي وَشّاه بالنُّورِ مُحيَّاكِ الجميلُ
إنَّها ميثاقُنا الخالِدُ في قَلبي ، والحُبُّ النَّبيلُ

سوف أَرعـاهُ كما أرعـاكِ حتَّى نلتقـي
فاذكرِيني ، يا هُدَى ، ذِكرَ سَعيدٍ لِشَقِي







الوجدانيات





الشَّباب

مَن لِلغِلابِ سِوى الشَّبا......ب إذا تَكاتفَتِ الصِّعاب ؟

المُرفِضِيـنَ إلى الوغـى يتواثَبـون على الرِّقـاب[1]

والسَّابحيـنَ على العُبـا......بِ يُغالبون قُوَى العُباب[2]

والرَّاقصيـنَ على الثَّـرى والطَّائريـنَ على السَّحاب

الصَّاخِبيـنَ اللّاعِبيـ......ـن الباسِمِينَ على العذاب

يتلهَّبـونَ على الصِّرا......ع تلَهُّبَ الأُسْدِ الغِضاب

لم تَثنِهـم نارُ الـحَصا......د ، ولم يصُدَّهُمُ المُصاب

فكأنَّهـم عَشِقـوا الفَنـا......ءَ ، فلا ارتدادَ ولا انقلاب

هُمْ في الخنـادقِ صامديـ......ـنَ ، هُمُو على قِمم الهِضاب

شُهبٌ ينُوءُ بها الـفَضا......ءُ ، كما ينُوءُ بها التُّراب

لا يَأسَ ، أو يَغدُو العدُوّ......عَلى سيوفِهـمُ نِهـاب

غارُوا على حُرُماتِهِـم والحُرُّ يأنَـفُ أن يُعاب

* * *

(١) المرفض : من أرفض الشيء : إذا تركه يتفرق وينتشر ، ويبدو أن المراد هنا : الاندفاع والإقدام .

(٢) العُباب : البحر الصاخب الكثير الموج .

يا مُنقِذِي شرفِ الحضا ...... رةِ أن يَذِلَّ وأن يُصاب

شرفُ الحضارةِ دونَ هَيْـ ...... ـكَلِها أَحَقُّ بأن يُهَاب

فَلْتَدفعــوا عنــه النَّقِيــ ...... ـصَةَ بالفناءِ وبالخَــراب

فالمجدُ للحُــرِّ المُظَفَّــ ...... ـرِ لا لِمُمتَلِىءِ الوِطَاب[1]

أَغلَى المبادِىءِ ما أقــا ...... مَ الحقَّ ، مَحمِيَّ الجَنَاب

* * *

الـنَّصرُ يا هِمَـمَ الشَّبَـا ...... ب جَنَىٰ السَّواعِدِ والحِراب

سِيروا على سَنَنِ القَنَــا ...... فأمامَكـم ظَفَرُ المَــآب[2]

خُوضوا الضَّباب سَتَنجلِي ...... عن فوزِكُم كِسَفُ الضَّباب

أشبــالَ آسادِ الشَّرى ...... الأُسْدُ لا تَخشَى الذِّئاب

ثَمِلَت بِمَسفُوحِ الدِّمــا ...... ءِ بَريئةً تلكَ الكِــلاب

ولقِيتُموهــا بالعِتَــا ...... بِ ، وقد تَهَوَّنَتِ العِتاب

اللِّيــنُ لم يَقعُــدْ بها ...... فَتَعَجَّلوهــا بالعِقــاب

الــنَّصرُ داعيــهِ أهــا ...... بَ بكم ، وغايَتَه أَصَاب

سَجَّلتمــوه على البِحــا ...... رِ مُؤَزَّراً وعلى اليَبَــاب[3]

تاريخُكــم بأكُفِّكــم ...... فَلْتَكتبــوه بالغِــلاب

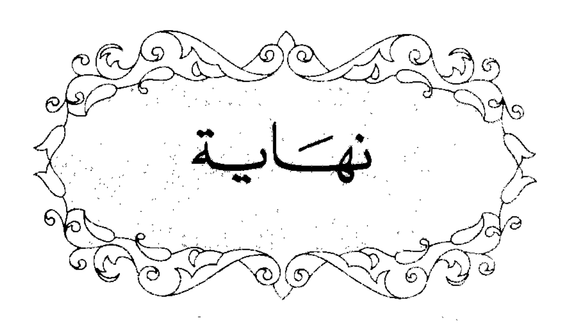
* * *

---

(١) الوطاب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذَع فما فوقه .

(٢) السَّنَن : الطريقة والمثال والنهج .

(٣) اليباب : الأرض الخلاء .



نهـايـة

أَخَيرُ سبِيلَيكَ ، التـي تتجـنَّبُ .. ؟ وأدنى حبِيبَيكَ ، الـذي لا تُقـرِّبُ ؟

فيـا ليت لي منكَ التَّجنُّبَ والقِـلا وراءَهما وُدُّ الفـؤادِ ، المُغَـيَّبُ

فرُبَّ ابتسامٍ ، دونَـه وَغْـرَةُ الـحَشا وإعـراضَةٍ فيها الحَنـانُ المُحـجَّبُ[1]

وُقِيتَ الأَسى ، لو أَنصفَ الحبُّ بيننا لَمَا بِتُّ أَرضَى في هواكَ ، وتغضَبُ

ولكنَّه المقـدارُ ، يعـبَثُ بالفتـى على وَضَحٍ ، وهْوَ البَصيـرُ المُـدَرَّبُ[2]

* * *

صبرتُ ، وما صبرُ امرِئٍ لم يعُدْ له على يأسِهِ فيمـا يُحـاوِلُ ، مَذهبُ :

أَيُقْـدِمُ ؟ والإقـدامُ خُطَّـةُ يائسٍ رأى أنَّ ضِيقَ الموتِ للنَّفسِ أَرحَبُ

أَيُحجِمُ ؟ والإحجامُ فُسحَـةُ سَاعةٍ سيَعقُبُهـا عُمْـرٌ كريـهٌ معـذِّبُ

ومـا هُوَ بالمختـارِ في ذَيْـنِ ، إنَّمـا ضرورتُـهُ تُمْلي عليـهِ ، وتَغـلِبُ

وما خَيرُ أَمرَينِ استوى فيهما الحِجَا على غَمرةٍ من حالكِ الشَّكِ يَضرِبُ

إذا ما انـجَلى مِنـا فَأَقشَعَ غَيْـهَبٌ تَكَنَّفَـهُ فيها ، فَأَطبَـقَ غَيْـهَبُ

أُصارِعُ من أَمواجِها اليـأسَ والرَّدى وإنَّ الـذي بَعـدَ السَّلامَـةِ أَرهَبُ

وهـل بَعدَهـا إلّا غِلابِـيكَ مِحنَـةً وإن كنتَ تَعمَى عندَ من لا يُجَرِّبُ[3]

---

(١) الوغرة : شدة توقد الحر .

(٢) المقدار : القضاء .

(٣) الغِلاب : المغالبة ، وهو محاولة أن يغلب واحد الآخر .

فمـا مِنكَ للعـاني ذُراكَ حِمايـةٌ ... ولا فيك للرَّاجي جَميلَكَ مَطلَبُ
وأنتَ كَمَتنِ البحرِ ما فيه مَأمَـنٌ ... لِسَارٍ ، ولا فيه لِعَـطشَانَ مَشرَبُ
وفي موجِك الرَّجَّافِ ، والمَوجُ دونَه ، ... مخاطِرُ ما تنفَكُّ تُغـرِي وتُعـطِبُ
طَوَت أيَّ جَبَّارٍ ، طَوَى البَحرَ هَمُّهُ ... وخَلَّتهُ مَغصوباً ، وقد كان يَغصِبُ
فإن زَهَّدَتنِي في حِماكَ مَخاوِفـي ... دعَاني – فَلَبَّيتُ – الهَوَى والتَعَتُّبُ
وما فَرَحـي بالقُـربِ منكَ مَسَرَّةٌ ... ولكنَّـهُ بَرقٌ من الوَهـمِ خُلَّبُ

* * *

وتُشرِقُنـي منكَ الـبشاشةُ بالأَسى ... وأَحسُدُ مَن تلقـاهُ حين تُقـطِّبُ
مخافةَ أن تُبدِيْ ليَ الحبَّ خُدعـةً ... وَيَغنَمَـهُ ذاك البعيـدُ المُقَـرَّبُ

* * *

تجهَّمْ ، ولا تضحَكْ فرُبَّ ابتسامةٍ ... صفَت ، تحتَها نارُ العِداءِ تَلَـهَّبُ
ولا تَلقَني بالقـولِ فاض عُذوبـةً ... فما سِحرُ لفظٍ رقَّ عُقباهُ مَعطَبُ
ولا تُدنِني ، فالقربُ إن كان كُلفةً ... فَلَلنَّأيُ أبقَـى للـودادِ ، وأَصْوَبُ
ولولا مَسيسُ الوَجدِ ، لم أَطوِ غُصَّتي ... على أملٍ في البعدِ ، والبعدُ مُجدِبُ
فمَن كَذَبَتْ عند الدُّنُـوِّ بُروقُـه ... فإنَّ مَجالِيها على البُعـدِ أَكـذَبُ
ولكنَّهـا أُمنيَّـةٌ قد جهلتُهـا ... ويا رُبَّ مجهولٍ يُرادُ ، ويَعـذُبُ
فإن بَلَغَتهُ النَّفسُ عافَتهُ وارعَـوَت ... وشأنُ قلوبِ العاشقيـنَ التَّقَـلُّبُ
سِوى قلبِ موصولِ الضَّلالِ ، عرفتَه ... لسانُكَ يُعطِيـه ، وقلـبُك يَسلُبُ
جهلتَ على عِلـمٍ حقيقـةَ حبِّـه ... فأَسْلمتَـه للشَّكِ يُضْوِي ويَنهبُ[1]

---

(١) يُضوِي : يُضعِف ويُهزِل . ينهب : جعله نهباً يُغار عليه .

عليَ أنه الشَّاري ، هَناكَ ، بِروُحِهِ وباذِلُهـــــا إن عَزَّ دُونَك مُرغَبُ[1]

وما هُوَ بالسَّالي هَوَاك على المَدَى ولا بالذي يَهوى بديلاً ، ويَطلُبُ

وما يدَّعي فيكَ المُحالَ وإنَّما يَدومُ وِدادُ النَّفسِ والحُسنُ يَذهَبُ

وما الحُسنُ في حُبِّيك مَبعثُ فِتنةٍ فإن زالَ زالتْ ، والهوى ليس يُوهَبُ

ولكنَّها معنًى من الوُدِّ والوَفا يُطِيفُ بنفسٍ ليس لِي مِنه مَهرَبُ

ولكنَّها فيمايَرى الفكرُ عادةٌ يَحِنُّ إليها مُستطاراً ، ويَطرَبُ[2]

ولكنَّها قُربَى فُؤادِي مُلَبِّياً دواعي الهَوى يوماً ، تَلِينُ وتَصعُبُ

يُوَشِّجُها عَهدانِ ، عهدٌ مُبَغَّضٌ لَهُ ذِكرُهُ الآسي ، وعهدٌ مُحَبَّبُ

ولكنَّها بين الكريمَينِ مَوْثِقٌ يُطالِعُ آتينا الجميلَ ويَرقُبُ

ولكنَّها ذِكرى تَجول مَجالَها وتَشكو الذي آثرتُ فيها وتَندُبُ

ولكنَّها مني إذا لُحتَ نَظرةٌ ولو أُضرِمَت شَحناؤُها – تَتَحَبَّبُ

ولكنَّها عَتبٌ من العَينِ صامِتٌ يقولُ على ما سُمتَنِي : أنا مُذنِبُ

ولكنَّها – فيما تقولُ – ملالَةٌ على أنَّها قلبٌ جَريحٌ مُخضَّبُ

تَلَقَّاهُ ضَحَّاكَ الأساريرِ طاعناً وَيَلقاكَ وَضَّاحَ السَّريرةِ يَشخَبُ

* * *

حَبيبي ، تَلافَ اليومَ ما يُرتَجى غداً لِبُقيا وفاءٍ تَرتجيكَ ، وتَصحَبُ

أأسكتُ أم أشكو لعلَّكَ سامعٌ وأَغضبُ أم أُغضي لعلَّك مُعتِبُ ؟

وأكتمُ أم أُفضِي بذاتِ سَريرتي وأهتِكُ سِترَ الكِبْرِ أم أَتَهيَّبُ ؟

---

(١) مُرْغِب : مرغوب ، مطموع به .

(٢) المستطار : المذعور .

وأَحمَدُ أم أبكِي فقد ضِقتُ بالضَّنى ... وبرَّح بي فيكَ الرَّجاءُ المُخَيِّبُ

وما اعتدتُ أن أَرجو ، ولكنْ مَودَّةٌ ... تُراجِعني فِكري العَصِيَّ ، وتَجذِبُ

صبرتُ لها في ظُلمةِ الشَّكِّ والرَّجا ... وإنَّ رَجائي فيكَ كالشَّكِّ مُرعِبُ

وما زلتُ أستبقيكَ ، ضَنّاً بصُحبةٍ ... تعهَّدَها ماضٍ من الحبِّ طيِّبُ

فعُدْ لجميلِ الرأيِ فيها ، تَصُنْ به ... حُساماً به تَلقى الصِّعابَ وتَضرِبُ

فما فازَ مَن ضاعَت مَودَّةُ مخلِصٍ ... لدى يومِهِ البسَّامِ ، والدَّهرُ قُلَّبُ

وما حفِظَ النُّعمى سِوى مُشتَرٍ بِهَا ... روافدَ قلبٍ ، وُدُّه ليس يَنضَبُ

فلم يَصحبِ الدُّنيا طويلاً على المُنى ... سَعيدٌ ، ولا أُفنى الجديدَينِ مُتعَبُ

وما زالت الأيامُ تُقْبِلُ تارةً ... وتُدْبِرُ ، والدُّنيا تَجِدُّ وتَلعبُ

فهذا خَصيبٌ كان بالأمسِ مُجدِباً ... وما يتَّقي في يومِه الجدبَ مُخصِبُ

وما اختال في كونِ المحاسنِ موكبٌ ... مدى لحظةٍ إلا انطوى فيه مَوكِبُ

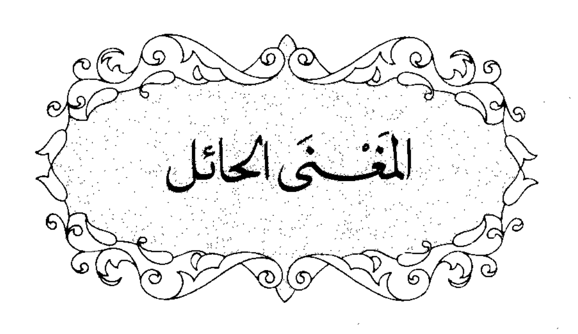
وكم من جَمالٍ أعقبَ الغَمَّ ربَّه ... فباتَ على ما فاتَه يتلهَّبُ

ويا رُبَّ جبّارٍ تأجَّجُ نارُهُ ... متى هانَ أمسَى فوقَها يتقلَّبُ

وما خلَّد الماضِي جَمالاً لفاتِنٍ ... فيأمَنَ تَيَّاهٌ ، ويَعْتَدَّ معجَبُ

ربيعُ الهوى والحُسنِ مَشرِقُ ساعةٍ ... يُديلُ لعانِي شمسِهِ بَعْدُ مَغرِبُ

★ ★ ★



المغنى الحائل

أنتَ مَغنايَ ؟ لا ، فلَستَ بآهِـلْ   أيـن عَهـدي بِزَهـرِهِ والبلابـل ؟
ومعانِيـهِ – والهوى من معانِيـــــهِ – وأمساءِ وَحيِـهِ والأصائِـل
ومَحـاريبِ قُدسِهِ ، وترانيـــــمِ رُوَّاهُ ، وسِحرِهِ ، والشَّمائل ... ؟
وخُطا مَن أُحِبُّ فيـه ، ونَجـوا...ه ، وأعيادِ وَصلـه ، والمحافِـل ؟
أنطَوَتْ في ثَراكَ ؟ أمْ ملَّتِ العيـــشَ عليـهِ ؟ أمْ رَوَّعَتْها النَّـوازل ؟
أم دَعَتها إلى سِواكَ دَواعٍ   آنَستها ، فَجانَبَـتكَ جَوافِـل؟[1]
لستَ مغنايَ ؟ لا .. فقد كان مَغنا...يَ خَصِيباً ، ولـيسَ مِثلَكَ قاحِل
ضاحِكـاً كالرّبيعِ ، مُستكمِلَ الفِتـ...ـنَةِ ، كالخُلدِ طَاهِراً ، كالفَضائِل
ثَابتَ العهـدِ والأمانـةِ والـحُسـ...ـنِ ، وَفِيّـاً ، والأوفيـاءُ قلائـل
أيـن مَغنَـايَ ؟ أُفْقُـهُ وَمَـداهُ   وتسابيـحُ أيكِـهِ والعَنـادِل ؟
أنتَ مَغنَايَ ؟ لا ، فقـد كانَ مَغنَا...يَ رَحيماً ، ولـيسَ مِثلَك قاتِـل
إنَّمـا أنتَ طائِـفٌ من جَحيـمٍ   غالَ مَغنَـايَ ، صُورةً ودَلائـل
فإذا أُنكَـرَتْ سِمَـاتِكَ عَينِـي   فلأنِّـي فقَـدتُ تلكَ المخائِـل
ولأنِّـي عِفتُ الحيـاةَ وكفَّنـــــتُ أمانِـيَّ ، داميـاتِ المَقاتِـل
راثِياً فيكَ حُلْـمَ أمسِي المُـرَدَّى   حافِلاً بالعَـزاءِ أو غَيـرَ حافِـل

---

(١) الجوافل : جمع جافل ، شارد ، نافر .

سَئِمَت نفسيَ النِّضالَ وعافَتْهُ ، وملَّت فروضَه والنَّوافل

ما الهَوى ؟ ما الجَمالُ ؟ ما المجدُ ؟ ما المالُ ؟ أليست إذا حَزِنتُ مَهازِل ؟

والمساعِي ، طاحَت بهنَّ قلوبٌ ، كالمساعي ، طاحت بهنَّ جَحافِل

كلُّ ساعٍ يَوَدُّ لو نالَ ما شاءَ ، فهل عادَ كلُّ ساعٍ بِطَائل ؟

* * *

يا لَنا مُدلِجينَ ، أزرىٰ بنا الأيْنُ ، وأوهى أقدامَنا والكَواهل [1]

نَتَخَطَّى الوعودَ ، غيرَ مُوَقِّيْنَ ، ونَفرِي على العَماء المَجاهل [2]

فإذا سَرَّنا جَميلٌ بوعدٍ أحزَنَتنا أخلاقُه والدَّخائل

* * *

يا مغانِيْ الهَوى ظَنَنَّاكِ حَقّاً فإذا الوهمُ تحت تلكَ الغَلائل

قد وَدِدْنا من الزَّمان مُحالاً حينَ رُمنا مِنه حَبيباً مُواصِل

شَدَّ ما راعَنا وأوهَن مِنَّا زَمنٌ ، جادَ بالمُنى كلَّ غافل

ما بِنا من شَماتِ أهلِكَ ، يا دَهرُ ، ولكنْ بنا رِثاءُ المشاكِل

أوراءَ الغُيومِ يا عقلُ دُنيا غيرُ دنياكَ ، أم نَهيمُ بباطِل ؟

قد رَضِينا الأوهامَ وِرْداً ، فلم تُغْنِ ، وَفاضَت للجاهِلينَ مَناهِل

* * *

يا مَغانِي الهَوى التي طَال فِيها يومَ عاذَتْ بنا لَجاجُ العَواذل [3]

---

(١) المدلج : السائر في أول الليل . أزرى بنا : تهاون وقصّر .

(٢) المَوَقّى : الشجاع .

(٣) اللّجاج : الإلحاح والملازمة . العواذل : جمع عاذل وهو اللائم .

ما هَوِينَـاكِ ، بل أَلِفنَـاك والإِلْـــــ......ــفُ زِمامٌ ، وقـاكِ خَيبـةَ آمِــل
وَلَقِينَـاكِ عاطِـفِين عَلى حُبِّـــــ......ــكِ ، والعَطـفُ رحمةٌ وفـواضِل
ذاك دَيْـنٌ ما نَقتَضِيــه ، وذِكـرى غَمَـرتها الأحـداثُ ، فَهْـي تُنـاضِل

* * *

يا مغـاني الهوى ، أَقمْنـا وأَبعَـدْ......ــتِ ، فهَلّا ، والقلبُ للقـلبِ وَاصل ؟
أَتمنَّـى لكِ البقـاءَ وقـدْ مِتِ......بِنَـفْسِي ، حقيقـةً ، وَعَوامـل
لَتَفَـاءَلتُ لو تَرُدُّ على المَيْـــــ......ــتِ حَيـاةً رغـائبُ المتفائِـل
يا مَغاني الهَوى ، وَداعـاً فقـد صَدّ......ـتْ كِلَيْنـا ، عَمَّـا يَروم ، شَواغـل
يا مغـاني الهَـوى ، وأطلالَـه اليـــ......ــومَ ، وَفـاءً ، وداعَ ثاوٍ لِراحِـل





الفكرُ يُنجِزُها ، واليأسُ يَلوِيها   مُنى يَبيتُ على الوَعثاء سَاريها[1]

عِشنا ، وعاشَت على صحراءَ مجدبةٍ   من الحقائقِ ، تَطوينا ونَطويها

أنضاءَ معركةٍ ، أنقَى السِّلاح بها   للفوزِ ، ما شَرَعت أخلاقُنا فيها

حيثُ النِّضالُ خَؤوفٌ ، والقُوَى خِدَعٌ   أَلقى عليها ضياءَ الحقّ مُزْجِيها

لَئِن أَقمنا على خَسف فما فَتِئَت   قلوبُنا تَتَحدَّى بأسَ مُرْدِيها

* * *

يا منكرَ العيشِ أَوْشاءً مذهَّبةً   لقد رَضيناهُ أحلاماً وتَمويها

عِفنا الرَّخاءَ فلم تَعلَق بنُضرَته   مبادئٌ عن طِلابِ الذُّلِّ نُغليها

فمَوردُ الإثمِ تأباهُ لنا شِرَعٌ   من الفضائلِ قادَتنا دَواعيها

فما تَميلُ بنا – يوماً – لِمَنقَصةٍ   ولو تَقلَّدَ بالجَوزاءِ آتيها

ولو طوَينا على الأجراح راعفةً   صُدورُنا ما غضَضنا من نَواهيها

فافرحْ بدنياكَ ما جُنَّتْ ، فإن عَقَلَتْ   رَدَّتك فيما يُديرُ القولَ تَشبيها

* * *

يا سَرحةَ الجَبلِ الطَّاوي على مَضَضٍ   حقائقُ العيش والأحياءِ تَطويها

ماذا عرفتِ عن الدّنيا وباطِلِها   ممّا عرفناه مِن أَخفى معانيها ؟

---

(١) الوعثاء : المشقّة والتّعب .

قد قُمتِ ناضرةَ الأوراق ، راويـةً   من مُستَقـاكِ على أعلى مَجـاريها

وقد صَدرنـا ظِمـاءً عن مواردهـا   مذ لوَّثَ الظافـرُ الجافي حواشيها

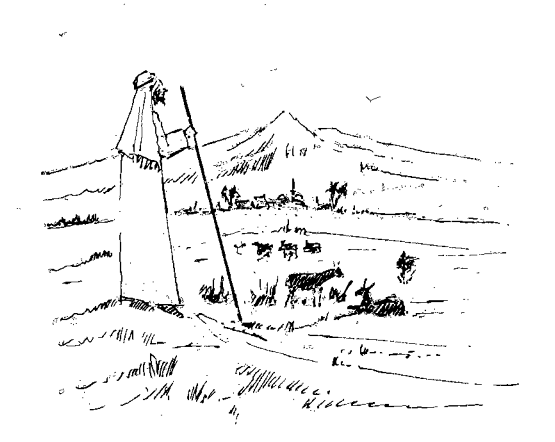
يَرمي الشِّماتُ بنـا في قاعِ غَيهبـةٍ   من ناعِمِيـنَ رَأَوا رُشداً تَوَقّيها

جَرحَـى نَنُـوءُ بأعبـاءِ الحيـاةِ أسىً   مُطَلَّحِيـنَ ، عَمِينـا عن مَساريها[1]

يُلقِي بنا الأيـنُ عُزْلاً في مَفاوزهـا   طخيـاءَ ترمـي بنـا هُوجـاً مَراميها[2]

ويُـوهَبُ الأمـنَ بسامٌ على دَخَـلٍ   في مِحنةٍ ، هو ، دُونَ النَّاس ، جانيها[3]

لا ، لن نلينَ على الأرزاقِ نُحرَمُها   ولا نَهـونُ على الأرمـاقِ نُوهِيها



---

(١) مطلحين : جمع مُطلَح وهو المتعَب المجهود .

(٢) الطخياء : الظلمة الشديدة .

(٣) الدَّخَل : الفساد ، العيب .



سَــراب

دُعاءٌ – صَدَاهُ الصَّمتُ – ليس يُجابُ ... وجُهدٌ ، عَداهُ الفَوزُ ، كيف يُثابُ ؟

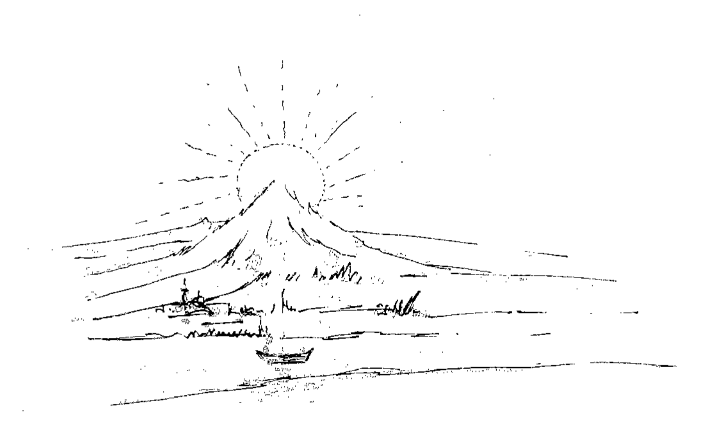
كأنَّ رُؤًى ، هِمْنا طَويلاً بحبِّها ... على ظَمَأٍ ، للخالداتِ ، سَرابُ

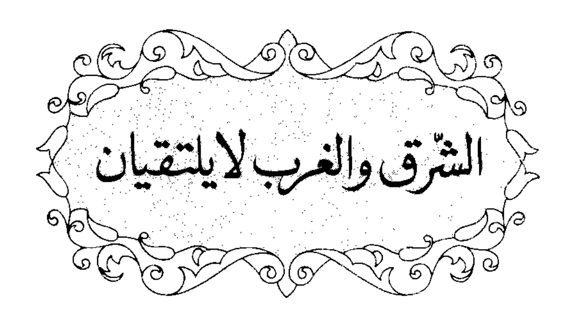
تداعت مساعينا على الأينِ والسُّرى ... تَرامَى ، وطالتْ ، فُرقةٌ وصِعابُ

وأَقبلَ في ظلِّ الهَوانِ شبابُنا ... وأدبَرَ رهطُ العاثِرين وشَابوا

فإنْ ذَكَر الرَّاوي سوابقَ مَجدِنا ... تناقَلَه المستنكرونَ وعابوا

وقامت موازينُ الحياة على الغِنى ... وما هو إلّا فتنةٌ وخَرابُ





الشرق والغرب لا يلتقيان

أَبَتْ قُرَبُ الإنسانِ إلّا تَلاقيـا ... على غُلَواءِ الدَّهرِ بَعدَ التَّجافِيا [1]

ومـا قُرَبُ الإنسانِ إلّا وَشائِجٌ ... من النَّسبِ القاصي ، تداعَت دَوانيا [2]

رمى بينَها عَسْفُ الفُروقِ فَدَكَّها ... فقامَ بها داعي الأواصِرِ بانيا

فإمَّا تلاقَت بعدَ رَيبٍ وجَفوَةٍ ... ففي أن تَرى وِردَ المَناسِبِ صَافيا

وفي أَن تَرى حقَّ العدالةِ شائعاً ... وفي أن تَرى ظِلَّ المساواةِ ضافيا [3]

وفي أن تَنالَ الحقّ حُجَّةُ أَهلِه ... ولو أنَّ تيجاناً أَبَت ، وَمَواضيا [4]

وفي أن يُماطَ الضَّيمُ عن كلِّ أُمَّةٍ ... تَخَوَّنَها بأسُ المُغيرينَ باغيا

وفي أن تُرى حُرِّيَّةُ الرأيِ مَورِداً ... مُباحاً ، وألّا يَدفَعَ الظُّلمُ صاديا [5]

فما شَرَعَ الإنصافُ جوعاً لكادحٍ ... مُسَخِّرُهُ يَقضي الجَدِيدَيْنِ لاهِيا [6]

ولا أن يَنال الدِّفْءَ نَشوانُ طاعِمٌ ... وفي فَخِّهِ عَانٍ تَضَوَّرَ عاريا

ولا أن يُرى جِيدُ الفقيرةِ عاطلاً ... وأعناقُ أُجْراءِ الغَنِيِّ حَواليا [7]

---

(١) القُرَب : القرابَة ، وهي الدنو في النسب . الغُلَواء : الغُلُوّ والتزيّد .

(٢) الوشائج : جمع وشيجة وهي القرابة المتصلة .

(٣) ضافيا : سابغاً .

(٤) المواضي : جمع الماضي ، السيف القاطع .

(٥) الصادي : الشديد العطش .

(٦) الجديدان : الليل والنهار .

(٧) العاطل : الخالي من الحلي ، وعكسه : الحالي .

وأن تُحـرَمَ الآلافُ مأوىً ومطعَمـاً ... لأنَّ قويّـــاً غالَ منها المساعيــــا
فإن ثار مَهضومٌ لِحَـــقٍّ مُضَيَّـــعٍ ... طَوَتـــهُ قُوى سُلاّبِهِ ، عُدَّ عاصيــا

* * *

لئِـن كان قانـــونُ العَدالـــةِ ما نَرى ... فَلِـمْ نُقتَضى أرواحَنـــا والنَّواصِيــا ؟
لِخـوضِ المَنايــا كالحاتِ أثَارَهـــا ... قَوِيٌّ على جيرانِـــهِ ، راح عاديــا
أأَحمِـــلُ أعبـــاءَ الجهـــادِ تَفانيـــاً ... وأُجرِمُ في عُقبى النَّجـاح جَزائيــا ؟
فَنِينا ، وأَفْنينا ، ولم يَفـنَ جُهدُنـا ... إذا بقـــيَت أطمـــاعُ قومٍ كما هيــا
وإن نَطَّـــلِبْها نُصرةً وهـــــــزيمةً ... بدا خلفَهـا زَنـدُ المطامـــعِ وَاريـــا

* * *

بَلَى ! نلتقي ، يا غربُ ، مسعىً وغايةً ... فمـا كانتِ الأعـــوانُ إلّا عواريــــا
ومـا الشَّرقُ إن مَدَّ اليمينَ لِصِنـــوِهِ ... سِوى نَسَبٍ رام التَّكافُـــؤَ فَاديـــا
سوى نسبٍ تَلْوِي القرابـــةُ دَيْنَـــه ... وتُنكِـرُ منـه أن أَطـــال التَّقاضيـــا
فإن نال حقّاً ، فالوفـــاءُ صنيعُـــهُ ... وإن مسَّه حَيْـفٌ تَخَمَّـط ضاريـــا[1]

* * *

بلى ! نلتقي ، يا غربُ ، عَدلاً ورحمةً ... كما نتلاقَـــى فِكـــرةً ، وأمانيــــا
لِنرفَـــعَ أعـــلامَ الحضارة والسَّنـــى ... وندعَـــمَ أساسَ السَّلامِ بواقيـــــا
فمـا خيـرُ مَسعىً لا يُحـرِّرُ راسِفاً ... وَيَرْحَـمُ محروماً ، ويُسعِفُ شاكيا؟[2]

---

(١) الحيف : الظلم . تَخَمَّط : ثار وهدر واضطرب .
(٢) الراسف : في القيد : الماشي فيه رويداً .

أَمَن شادَ مَسعـاهُ بواذخَ للـرَّدى	كَمَن شادَها للعائذيـن مُواسِيـا ؟
أَمَن سَرَّ مكروباً وأَنهَضَ عاثـراً	كَمَن رَدَّ ، شَرقَى بالدُّموعِ ، المآقيا ؟

* * *

لئن باعدَ الماضِي القلوبَ على جَفا	فقد ردَّها داعي اللقاءِ حوانيـا
تلاقَى بنا اليومُ العتيـدُ ، وإنّنـا	لَنَرجو غداً ، حريَّـةً ، وتآخيـا
فهل نَلتقي كُفئيَـنِ ، وُدّاً وحُرمَـةً	وعهداً وثيقا ، يُقتَضَى ، وَدَواعيا ؟

جـدة ١٩٤٣ م





لغز الحياة

بِئسَ ما تبتغِـي العقـولُ طِلابـا   فوقَ أنقـاضِ حِسِّنـا والشُّعـورِ
بقيـودٍ من الزَّواجـرِ ، تعتـاضُ من اللُّبِّ ، مهمَلا ، بالقشورِ
قد أحلَّت وحَرَّمت ، وغدا النَّاسُ لغاياتِهـم ، بلا تقديـر
والموازينُ قائمـاتٌ ، على العهـدِ بدعـوَى سُلطانِهـا المدحـورِ
ما أرى العقـلَ غيـرَ راكبِ لجٍّ   باحثٍ عن هُداه ، في دَيْجـورِ

* * *

إنَّهـا غايـةُ الحيـاةِ ، ومَسراها ، وللعقـل حَيْـرَةُ التَّفسيـرِ
حَفَلت قصَّةُ الحيـاةِ ، على مُغْلَـقِ أَلْغازِهـا ، بكـلِّ مثيـرِ
لن تنالَ العقـولُ ، من ذلك السرِّ ولـو مَزَّقَتْ ، أُلـوفَ السُّتـورِ
وستمضي النُّفوسُ .. تَعدو فَراشاً   لاحتـراقٍ ، في حِلْمهـا بالنُّـورِ
يا سكونَ القبورِ ! ما أَروَعَ الصّمـتَ بشيراً يَدعـو بصوتٍ نذيـرِ

* * *

ستظـلُّ الأرواحُ تَسبـحُ في ظلـمَـةِ أَهوائهـا ، تَهيـمُ ضَياعـا
مُقْبِـلاتٍ على مطـالِبِها الدّنـيـا ، تظنُّ الوجـودَ ، نَهباً مَشاعـا
وتظـلُّ العقـولُ ، تَكبُـو على الوَعْـرِ ، وتَجفُـو لِينَ الحيـاةِ ، مَتاعـا

وسترمي بالضَّعفِ والعجزِ والجهـ.......لِ ، وتأبى للصَّبـرِ أن يَتداعـى
وستبكي بصمتِهـا المأتـمَ الـدّا.......مي ، ولا تهمِسُ الأنينَ ، وَداعـا

* * *

يا نجومَ الفَضاءِ ! هل صدَّعَ الصَّمْـ.......تَ بدنيـاكِ ، رائـدٌ للـفضاءِ ؟
وكذا ، مزَّقوا السَّكينـةَ في الأر.......ضِ ، وصاغوا القيـودَ للضُّعفـاءِ
واستغلّوا الجهودَ ، واحتكروا الأقـ.......واتَ ، باسمِ الإصلاحِ والإنماءِ
والشِّعاراتُ زائفاتٍ ، تُحيلُ الـ.......عيشَ ضَنكـاً ، يَفيضُ بالأرزاءِ
هكذا بعدَ سَحقِهِم ، عالَم الأر.......ضِ عُتُـوّاً ، تطلَّعُوا للسَّمـاءِ

* * *

مرحباً يا سَماءُ ! ضَرْبتُكِ الكبـ.......رىٰ عِقاباً ، لِجاحدي العدلِ ، عَدْلا
يا نجومَ الـفضاءِ ! صمـتُكِ مازا.......لَ بيانـاً ، لو أنَّ للكفـرِ عَقـلا
ومنَ القولِ ما يَمُـدُّ به الصَّمْـ.......تُ ، على أروعِ المَشاهـد ، ظِلّا
إنَّه يَبلُـغُ الكـلامُ مَدى الصَّمـ.......تِ ، بِنجواهُ ، مُكثِراً .. وَمُقِلّا

* * *

يا نجومَ الفضاءِ ! حَسْبُكِ من صَمـ.......تِكِ سِحـراً أَبـانَ عنكِ وعَبَّـرْ !
أنتِ في عالَمِ السَّكينـةِ ، شِعـرٌ عبقريٌّ ، غَنَّى ، وأغنى ، وصَوَّرْ
فـالزُّهورُ التي تقول ، ولا تنـ.......طِقُ بالصَّمتِ ما أثـار وحَيَّـرْ ؟
ودمـوعُ الأسَى ، شكـاةً ، وآلا.......ماً عِذابـاً ، وفرحـةً ، تَتَحـدَّرْ ؟
صُوَرٌ للبيـانِ ، أبلـغُ من كلِّ.......كلامٍ ، وفتنـةٌ تتفجَّـرْ

* * *

يا زمانَ الهَوى ! أَرى بعدَك العُمْـــــرَ شَريداً ، مروَّعاً ، يتعثَّرْ !
يا شراعاً ، أضَلَّ مَجراهُ .. في اليمِّ وقد هالَه الظَّلامُ فأقصرْ !
أين يَمضي ؟ وكيفَ ؟ لا أُهبَةً تُنهِضُ عزماً ، ولا حِجىً يتدبَّرْ ؟
يتلقَّى مصيرَه في سكونِ الصَّمتِ جُرحاً ، بكِبْره ، يتستَّرْ
يا زمانَ الهوى ! مضيتَ ، وأبعَدْتَ ، وخلَّفتَ عَالَماً قد تحجَّرْ !

* * *

أَلَماً يَجحدُ الفضيلةَ والخيرَ وصوتَ الضَّميرِ والوجدانِ
ومزايا الإنسانِ تَنمو وتسمو قوةً تحتَ رايةِ الإيمانِ
واعتقاداً يُنير في ظلمةِ .. الهَوْلِ فيجتازُها دروبَ أمانِ
أيُّها العالَمُ الذي ضَلَّ بالعِلْم ، فساوَى الإنسانَ بالحيوانِ !
إنَّه ، في الوجودِ ، قلباً وروحاً وخيالاً ، مرآةُ هذا الكيانِ !

* * *

يا زمانَ الهوى ! تَرامى بكَ الأَيْنُ ، وضاقَت على خُطاك القيودُ !
ما أَرى للربيعِ بعدَك معنًى فالسَّنى فيه باهتٌ والورودُ
يا زمانَ الهوى ! مضَيتَ بدنيايَ ، فما اجتازَ بعدَها العُمْرَ عيدُ !
لم تَزَل ذكرياتُها مِلْءَ عينَيّ حَناناً ، يُظِلُّهنَّ الخُلودُ
يا زمانَ الهوى ! وَداعاً إلى غيرِ لقاءٍ ، فأيُّ ماضٍ يَعودُ ؟

★ ★ ★



تأمُّلات

آثرتُ أن أَظمَا وعِـفتُ مواردِي   واعتَضتُ من نومي انتباهةَ ساهدِ
وصرَفتُ نفسي عن عُلالاتِ الهوى   لمَّا أَجلتُ بهنَّ رأيَ النَّاقدِ
ونذَرتُ نفسي للجهادِ ، فهالَها   ألّا تَشُدَّ على اللُّغوبِ بعاضِدِ
فإذا مُرادُ النَّفسِ أبعدُ غايةٍ   مما يُعينُ عليه جُهدُ الجاهدِ
وإذا الحياةُ بغيرِ مجدٍ قصَّةٌ   زكَّى القنوطَ بها فَواتُ الشَّاهدِ

* * *

قالوا : استعاضَ المجدَ مُفتقِدُ الهوى ،   فبَكت لِفقدِ هَواه عينُ الواجدِ
ولَرُبَّ محسودٍ يَبيعُ نعيمَه   بهناءِ يومٍ من حياةِ الحاسدِ

* * *

آمالُنا مِلْءُ النُّفوسِ ، فهل تُرى   صَفِرَتْ من الآمالِ نفسُ الزَّاهدِ ؟
وأَرى الزَّهادَةَ في مظاهرها تُقىً   من تحتِه لَهَبُ الطِّماح الخامدِ
أَعَييتَ تطلُبُ في حياتِك راحةً   والكَدُّ دَأْبُ طريدها والطَّاردِ ؟
يَجرِي القضاءُ بكلِّ ما هو كائنٌ   فعَلامَ يَعجبُ جاهِدٌ من قاعدِ ؟

* * *

وَجدَ الوليدُ ، ولم يَجِدَّ ، سعادةً   أَرسى دعائمَها شقاءُ الوالدِ

فجزَى أَباهُ بالعُقــوقِ ، كما جَزى ... هذا أباه ، وتَمَّ حُكمِ الواجـدِ

بين السعـادةِ والشَّقـاءِ متاهَـــةٌ ... عَصَفت بأحلامِ الخيـالِ الواعـدِ

والعيشُ معركـــةٌ تَمَـرَّس بالأسى ... قلبُ الجبانِ بها كقـلبِ الصَّامـدِ

وتفاضلت هِممُ الرِّجـالِ فقانـعٌ ... بنصيبِـــه ومنـــاضِلٌ كالماردِ

لولا دواعي الطَّبع ، وَهْي عَصِيبَةٌ ... لأَطَعتُ في الإقـدامِ نُصحَ مُراوِدي

كان السُّمـوُّ عن الصَّغـارِ مَزِيَّـةً ... فإذا المَزِيَّـةُ في الصَّغـارِ السائـدِ

ولَـوَ آنَّ زُهـدَ العاجزيـنَ فضيلـةٌ ... لَوَصلتُ طارفَ فَضلِهـا بالتَّالـدِ

فلقد عَجَزتُ ، وما زهِدتُ ، وصَدَّني ... فَرطُ الكلام عن اعتزام الصَّاعـدِ

* * *

رعتِ الجماعةُ بعـد غَيٍّ رُشدَهـا ... فطوَى الجحودُ العَمْدُ فضلَ الرَّائد

قالوا : اعتزلتَ النَّاس ، قلتُ : مخافةً ... مما يُحَـرِّك فيَّ سوءَ مقــاصِدي

لمَّـا دَفـنتُ مطامعـي وأَمِنتُهـا ... ذاعت ، وفاضَ بها الخيالُ ، مَحامِدي

كالحيِّ عاشَ مُضَيَّعـاً في قومـه ... وقَضَى ، فأُمطِـرَ بالثَّنـاءِ الخالـدِ

* * *



حظوظ

هَدَرتُ شُعوري حين صَعَّدتُه شِعرا ... وأشفى لِنفسي أن أفجِّرَه جَمـــرا

فما لي وقد عِفتُ السَّلامةَ مَوْرِداً ... وأعرضتُ عن أسبابِ طالِبها كِبْرا ؟

تبدَّلتُ من عزمي وجُلِّ شبيبتـــي ... حِجًى ، لا يَرى إلا المساوئَ والنُّكرا ؟

يُهَوِّن في عينـــي الحيـــاةَ وأهلَهـــا ... ويوسِعُ طلّابَ المتـــاع بها سُخـــرا

فعشتُ وإيّـــاه رفيقَـــيْ متاهـــةٍ ... على غير قَصدٍ ، نَخبِطُ السَّهلَ والوَعرا

حَريبَيْنِ في دنيـــا تفـيضُ بشاشةً ... لمنتهجيها ، رغـــمَ ما ساءَ أو سَرّا

ونحن سواءٌ ، إنّما العيشُ رحلـــةٌ ... مَدانا بها ، المقدور ، أنْ نقطَع العُمْرا

ولم أَرَ مثلَ الجهلِ عَوناً لِمُدلِـــجٍ ... مضى قُدُمـــاً ، لا يستَشِفّ لها سِرّا

* * *

تطلَّبَ ، من دنياهُ عدلاً فسوَّفَت ، ... حكيـمٌ فلا عجزاً أقـــامَ ولا صدرا

فأنفَـــقَ في ظلِّ الخمـــولِ حياتَـــه ... وعاشَ ، على جَذْبِ الحقيقةِ ، مُضطرّا

ورُبَّ مُجِـــدٍّ لم يَدَع بابَ حيلـــةٍ ... إلى اليسر ، أفنَى جُهدَه ، فجَنى العُسرا

وحيٍّ من الأحياءِ ، غايـــةُ قَصدِهِ ... على عَيشِهِ ألّا يجوعَ ولا يَعـــرَى

تُساق إليـــهِ من غرائبِ رزقِـــهِ ... سحائبُ ، فاضت حولَه دِيَماً غُزرا

كما جَفَت المُزنُ الجِنانَ ، فصَوَّحَتْ ... وجادت ، ولم يأبَهْ لها ، بلداً قفرا

تنوءُ بها الأفهـــام ، بدءاً وغايـــةً ، ... حيـاةٌ لها في الغَيبِ أقضيةٌ تُجرَى

* * *

سلُوا الزَّاهدَ الضَّاويْ لُغوباً ، تحدَّرت ... مدامعُه ، لا يطمئِنُّ ولا يَكْرَى
أسِرٌّ رهينُ المَحبِسَينِ مصيرُه ... أمِ احتَسَب الأُولى ولم يدرِكِ الأخرى ؟

* * *

جرَت بيَ أسبابُ القضاءِ خفيَّةً ... فخِلتُ اختياراً ما يَراه الحِجى جَبرا
وأُعذَلُ ، فيما كان من سوءِ فطرتي ، ... لو اخترتُ كونِي ، ما ارتضَيتُ له خُسرا
ولله في كلِ الخلائقِ أمرُه ... وغايتُه ، خيراً ، تأثَّرتَ أم شَرّا

* * *

أرى عُقلاء القومِ فاضَت صدورُهم ... أسىً ، وأرى الجُهَّال قد مُلِئوا بِشْرا
قَدَحتُ زنادَ العزم في راجح النُّهى ... وناشَدتُه عهدَ الجِهاد ، فما أورى
فأيقنتُ أنَّ العقلَ أبطأُ مركَبٍ ... إلى غاية تَستعجل الواثبَ البَكرا
وما العقلُ إلا بومةٌ طالَ جُهدُها ... فما نوَّرتْ ليلاً ، ولا أظلمتْ فَجرا

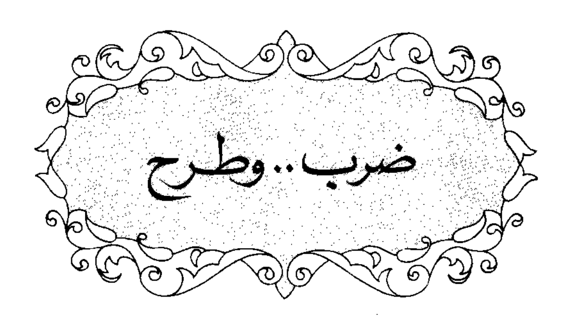
* * *

بَكَينا على الموتى ، وإنَّ حياتنا ... بأدمعِ باكٍ ، في فجائِعها ، أحْرَى
فليس يُبالِي مَيِّتٌ حَلَّ قبرَهُ ... توسَّدَ رملاً جَنبُهُ فيه أو صَخرا
وإنّ الأسى للحيّ عدلٌ ، فما يَنِي ... يَهيم بِحُلوِ العَيش يَجرَعُه مُرّا

* * *

أصابَ العُلا ، إرثاً ، ولم يَسعَ ، غافلٌ ... فصاغوا له من كلّ مَكرُمَةٍ ذِكْرا
كذاكَ شهودُ الزُّورِ في كل حِقبةٍ ... دَواعرُ ، ما يعرِفنَ صِدقاً ولا طُهرا

* * *



ضرب.. وطرح

أَراحَني اللهُ من سُهدٍ وتَبريجِ ... منذُ استقرَّ شراعي وانطَوَت رِيحي

فلم يَعُد في وِصالِ الغِيدِ لي وَطَرٌ ... أَمضِي به مُستَطارَ القلبِ والرُّوحِ

وطابَ لَيلِي ، فَلا شَوقٌ يؤَرِّقُنِي ... إلى حبيبٍ ، ولا دَمعي بِمَسفوحِ

أنَّى اتَّجهتُ خَلِيَّ البالِ رُحْتُ إلى ... كَوْنٍ فَسيحٍ طَليقِ الأفْقِ مفتوحِ

أَهيمُ فيه ، وأَستوحي مَفاتِنَه ... مَلاوةَ النَّفسِ في أَرجائِهِ الفِيحِ

لا القلبُ فيه بمرتاعٍ على أمَلٍ ... قضَى ولا الفكرُ عن سَبْقٍ بِمَكبُوحِ

فَقُل لِمَن هامَ بالغاياتِ متَّخِذاً ... أسبابَهُ من « أحاليل التماسيح » :

لَو رَدَّ مَيْتٌ على حَيٍّ عزيمتَه ... أَغنَت عن الشَّمس أَضواءُ المصابيحِ

عادَ الرَّبيعُ ، فلم تُشرِق بَشاشَتُه ... على جوانبِ قَلبٍ غيرِ مَقروحِ

أَبليتُ في القيدِ عُمْرِي ثائراً قَلِقاً ... فهل أطيقُ جِهاداً بعد تَسريحي ؟

طَوى الشَّبابُ علالاتِ المُنى ومَضَى ... فازجُرْ هَواكَ بقُدُّوسٍ وسُبُّوحِ

لقد تركتُ الهَوى للنَّاعمينَ بِهِ ... فصُنتُ وجهيَ عن ذلٍّ وتجريحِ

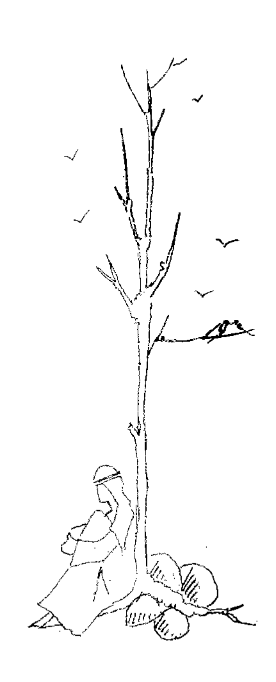
سَرَى بنا اليأسُ في رَمضَاءَ محرِقةٍ ... تُردِي العزائمَ بين الأَينِ واللّوحِ

واليَأسُ أَرْوحُ من آمالِ مُرتَقِبٍ ... شذا أزاهيرِها من بَعدِ تَصويحِ

يا راعيَ الضَّأنِ ! قد رَوَّعتَها زَمناً ... بما تأَثَّرتَ من حبسٍ وتَذبيحِ

فإن تسلَّلَ من مرعاكَ نافِرُها ... إلى مُرادَيهِ من أمنٍ وتَرويحِ

أتـاكَ ، غيـرَ بعيـدٍ ، صوتُ ثائرهـا   مَوجاً من البَأسِ ، لا يُبقِى على نُوحِ
اَذكت أساكَ الشُّطوطُ الخُرْسُ لو نَطَقَت   وأرَّقـتْكَ ميـاهُ النَّهـرِ لَو توحِـي
مضى الزَّمـانُ على مألـوفِ سُنَّتِـهِ   يُذَلِّـلُ القِمَـمَ العَصمـاءَ للسُّوحِ
ففِيـمَ يَعتِبُ ذو عقـلٍ على سَفَـهٍ   في مِحنـةٍ سادَ فيها كلُّ مَقبـوحِ
ضاقَت نفـوسٌ بما تُخفِـي ، وإنَّ لها   يومـاً يُهيـبُ بها مُستَنفِـراً : بُوحِـي
متـى يَعِـي مُدَّعِـي الإدراكِ غايَتَـه   وغايَتـي من إشَاراتي وتَلويحِـي ؟
وهـل يُنيـرُ ، لسارٍ ضَلَّ ، مَسلَكَـهُ   شَرارُ زَنـدٍ بجُنحِ اللَّيـلِ مَقـدُوحِ ؟
طَرَحتُ أعبـاءَ عَيشِي غَيـرَ مُتَّئِـدٍ   وظَلَّ ما بِفُؤادِي غيـرَ مَطـروحِ !





فلسفة حائر

يا شُعاعاً ! يَلوحُ في ظُلمَةِ اليأ.........سِ ويَخفَى ، ماذا يُطيق البَصِيصُ ؟

لستَ إلّا وَهماً يُراوِدُ عينَـــيَّ.........وَيَعيَـا بكشفِـهِ التَّشخـيصُ

أو شِراعـاً أعيَتـه ثائـرةُ المَـو.........جِ ، فَصدرٌ يَطفُو ، وعَجزٌ يَغوصُ

يَا لَنَا طائِرَينِ رِيعَـا عن الوَكْـ.........ـرِ فهَاما ، واللّيـلُ داجٍ عَوِيصُ

فَهُمـا في الظَّـلامِ داعٍ مهيضٌ   لِسَليـمٍ ، جَناحُـه مَقصوصُ

* * *

ما أرى في البَقـــاءِ إلا عُلالا.........تِ خيالٍ ، مآلُهـا التَّنغـيصُ

والرَّدى صائدُ النُّفوسِ فمـا فرَّ.........كِنـاسٌ منـه ، ولم يَنـجُ عِيصُ

فعـلامَ العَنـاءُ يُضنِـي المُجِـدِّ.........ينَ ، ويَغْـلاهُ طاعِـمٌ وخَمِيص ؟

يا لَها رحلةً ! بَرانـا بها الجَهـ.........ـدُ ، ولكنْ قَد عَزَّ فيها النُّكوصُ !

* * *

يا مجالَ الأفكارِ ! ضِقتُ بها خَطـ.........ـواً وئيداً ، فكيفَ كيفَ النَّصيصُ ؟

أيّ عهدٍ هذا الذي غَلَبَت فيـ.........ـهِ على الحَقِّ سِفلةٌ ولُصوصُ ؟

قال قوم : زمانُنـا دونَ أزمـا.........نٍ تَقَضَّت ، وأعوَزَ التَّمحيصُ

إنَّما النَّاسُ ، منذُ كانوا ، ضَعيفٌ   لِقَـوِيٍّ ، وقـانصٌ وقَنِـيصُ

* * *

يا فَسيلاً ! قدَ غَصَّ بالماءِ رِيّاً ثَمَّ نخلٌ ، نَصيبُـــهُ مَنقـــوصُ

قد شُغِفنا بالأعينِ النُّجلِ حُبّاً وَسَبَت غيرَنا العُيونُ الخُوصُ

قال لي صاحبي : سَيَصلُح شأنُ النَّــاسِ ، يوماً ، فهالَني التَّخرِيصُ

* * *

قَصَّرَتْ من ثيابِها ، فَعَنا المفــتونُ صمتاً ، وأمسَكَ التَّرخيصُ

جَنِّبينـا ، يا تلكَ ، فتنَـةَ أعضائِكِ ، فيما يَشِفُّ عنه القَميصُ

حَسبُنـا فِتنـةُ الأنوثـةِ ، شنَّتـها علينـا شِباكُهـا والشُّصوصُ

شَهِـدَ العقـلُ أنَّ عَيشَ الخَلِيّيـنَ ، على ما فَقِهتُ ، عَيشٌ رخيصُ

* * *

سألتْ ما هو القضاءُ ؟ فأطرقْـتُ طويلاً ، أَمَا هَدَتْها النُّصوصُ ؟

وأُراني لو قلتُ شيئـاً لأَزرَى بِيَ فِيـهِ الإسهـابُ والتَّلخـيصُ

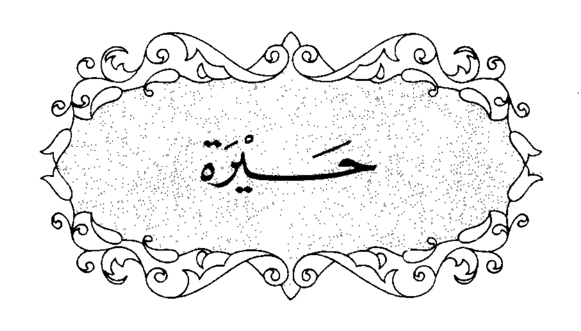
نحنُ ، باللهِ ، ساكنِيـنَ ومَاضِيـنَ ، فماذا أَرواحُنا والشُّخوصُ ؟

أَتَـرى ما يُصيبُـه المرءُ من دُنْـياهُ أمراً قد كان عنه مَحيصُ ؟

ما أصابَ القضاءُ منـا غَفـولاً قبلَ حيـنٍ ، ولا اتَّقـاهُ حَريصُ

أَيُّهـا المرتَجـي خُلـوداً على الأرضِ ، تَهَيَّأْ ، فقد دَعَاكَ الشُّخوصُ

* * *



حَيْرَة

عَلامَ بكى الباكُونَ في الحَيِّ هالِكاً … وكُلُّ وُجودٍ شُعلَةٌ سوف تُطفَأُ

وهل يَعقِلُ المفجوعُ في غَمرةِ الأَسى … مقالَكَ : إنَّ الصَّبرَ لِلحُزنِ أَدرَأُ؟[1]

ألا رُبَّ شاكٍ من مَساءَةِ يومِهِ … تَطامَنَ لليومِ الذي هو أَسوَأُ

تَنبَّأتُ بالأَحداثِ قبلَ وقوعِها … فما حاطَني مِمّا حَذِرت التَّنَبُّؤُ

يُلامُ أُناسٌ أَثخَنَ القَيظُ فيهِمُو … ولو وَجَدوا بَرْدَ الظِّلالِ تَفَيَّأُوا

أَرى زَبَداً كاللُّجِّ أَعمارَ نابِهٍ … فَقَاقيع ماءٍ ، تَنتهي حيث تَبدَأُ

تُسائِلُني : كيفَ انتهيتَ إلى الرِّضَى … وما عَلِمَتْ أنَّ العزائمَ تَصدَأُ

أَهَبتُ بعَزمي ، فاستجابَ ، فردَّني … لِسالِفِ أطواري ، حياءٌ ومَبدَأُ

لِأَمرٍ رأى ذُو الرَّأي أنَّ حُثَالةً … من النَّاسِ أَقضَى للمُرادِ وأَكفَأُ

تَشَبَّهتُ بالسَّاعينَ عَزماً وأُهْبَةً … فأَخَّرَني أنِّي عَجِلتُ وأَبطَأُوا

وثقَّلتُ من خَطْوي أناةً وحكمةً … فقالَ خَلِيٌّ : شَدَّ ما تَتَلَكَّأُ

هو الرِّزقُ قد لا يبلغُ القصدَ جاهِدٌ … مصيبٌ ، ويَلقَاهُ ، ولم يَسعَ ، مُخطِئُ

رأيتُ دُروبَ العيشِ شَتَّى لمن وَعَى … مَسالِكَها ، واحتَرتُ مِن أينَ أَبدأُ

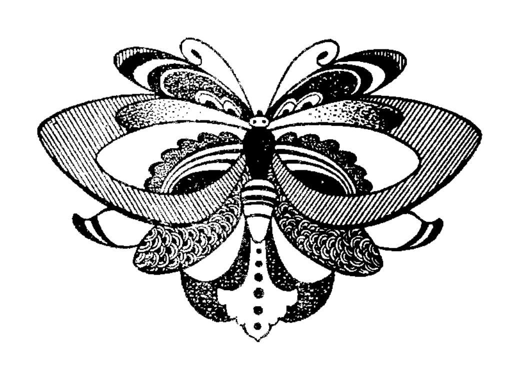
وقد حَظِيَ اللّاهُونَ بالصِّيتِ والغِنَى … فَشَادوا ، وسادُوا ، وانتَشَوا ، وتَبَوَّأُوا

وعِشتُ ، على ما كان ، طالبَ غايةٍ … من الوَهمِ ، لا تَنأَى ولا تَتَهَيَّأُ

---

(١) أدرأ : أدفع ، من درأ الشيء إذا دفعه وتوقاه .

تَعبقَـــر أُمِّـــيٌّ بِنُجـــحٍ أصَابَـــهُ   فراحَ بمَـا أُوتِيـهِ يُفتِـــي ويُقْـــرِئُ
وأخفَـقَ ذو عِلـمٍ ، فقالـوا : مُضَلّلٌ   وقال الحِجَـى : إنَّ الضَّعيـفَ مُرَزَّأُ
طلبتُ شفاءَ الصَّدرِ بالعَتبِ من جَوى   ولم أَدرِ أنَّ العَتبَ للجُـرحِ أَنكَـــأُ
أرى مِحنَـةً جَرَّاؤُهـا الـذُّل والـرَّدَى   فَأُومِـنُ أنَّ اليـــأسَ للعقـــلِ مَرفَـــأُ
إذا اضطربَ المِيزانُ في مِحنة النُّهى   مَضى بالثَّنـــاءِ الجارِمُ المُتَجَـــرِّئُ (١)



(١) الجارم : المذنب ، الجاني .



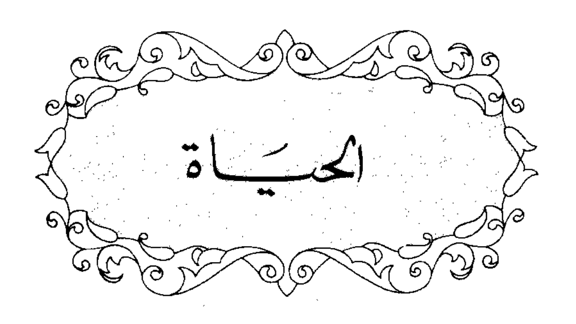
ماذا يريبك ؟

ماذا يَرِيـــــبُكَ مِن مَآلِكْ أَفَغَيـــــرَ أنَّ اللَّيـــلَ حالِكْ[1]
الموتُ خاتِمــــةُ المَسِيــــــــرِ ، وإن تعـدَّدتِ الـمَسالك
والموتُ ليس هو الفنـــــاءَ ، فلا يُقِـرُّ حِجـىً بذلك[2]
كم ذا هنــــالِكَ من مَسـاتيرِ السُّرى ؟ كم ذا هنــالك !
كم ذا وراءَ القبــــــرِ من شتَّـى المتــاعبِ والمَهــالك !

* * *

ساوى الجَهــولُ بها العَليـــــمَ : مزاعِمٌ عَصَفتْ بِحالِك
للعقــلِ حُجَّتُــه ، وَلِـــلأَوْهَـــامِ حُجَّتُهـــا ، كذَلك
أَتُــرى الحقيقــةُ في خيــالي كالحقيقــةِ في خيـــالِك ؟
أوَّاهُ من لُجَــجِ العقـــولِ ! وآهِ من حُجَجِ المَـآلك![3]
قل للـــذي نَشَد الحقيـــقَةَ كادحـاً : ما في حِبالِك ؟
سِرُّ الحقيقـــةِ ما جَهِلـــتَ فلا تُرَعْ . حالِي كَحَالِك
سِيَّـــانِ ، في دنيــاكَ ، إن أبصرتَ ، مملــوكٌ ومـــالك
لو آثــرَ النَّـاسُ الضَّلالَ لَكــانَ رُشدُكَ في ضَلالِك

(١) المآل : الخاتمة والمصير . حالك : مظلم ، شديد السّواد .
(٢) يُقِرّ : من أقرَّ بمعنى اعترف .
(٣) اللُّجج : مفردها لُجّة وهي معظم البحر وتردّد أمواجه ، وقد تكون بمعنى السَّواد الشديد . المآلك : الرسائل



الحيـاة

ما رأيتُ الحيــــاةَ إلا عُبابـــــاً نحنُ فيـه ، على السَّلامـةِ ، غَرقَـى[1]
رُبَّ ماضٍ لغايـــــةٍ لو تَقـــــرَّى ما يَليها ، رأى التَّخلُّـــفَ أبقَـــى[2]

* * *

يا أمـاني القلـوب ، والأنـفسُ الحَـــــرَّى ، مَضَت تُقَضِّيكِ عَدلاً وحَقّـا
لَمَساعِــي الأحـــرارِ فيكِ حَرِيَّـــاتٌ بِنُجحٍ ، لو كان وَعـدُكِ صِدقا

* * *

أَيُّها الكـادحُ الـذي اتَّخَذَ الوَعـــرَ سبيـلاً إلى السَّعـادةِ ! رِفْقــا
هِيَ وَهْـمٌ مُجَـدَّدٌ ، أنتَ منـــه في نِضالٍ ، بهِ تَنــوءُ ، وتَشقَـــى
وَهْيَ لغزٌ ، تَمضِي الحياةُ ، ولا تَكـشِفُ عنـه الظّنونُ ، خَرقاً ورَتقا[3]
كَم سَرَينـا على سَناهـا حَيَـارى نَركَبُ الوَعـرَ والعواصفَ ، خُرقا
وانْتَشَينـا بها خَيـالاً من الـــرَّاحَةِ أَحنَى مَهـداً ، وأَنضَرَ أُفقـا
فإذا نحنُ في كِفــاحٍ مَريــرٍ بين سَارٍ على الكَـلالِ ومُلقَـــى

* * *

(١) العُباب : الموج المرتفع المصطخب .
(٢) تقرَّى : نظر وتتبَّع .
(٣) الخَرق : الشّق والتمزيق . وعكسه : الرَّتق وهو السَّدّ واللَّحم والإصلاح .

جَلَّ مَن أَلْزَمَ النفوسَ دواعِيـــهَا وأطماعَهَا صِراعاً وسَبقَا
فكَأَنَّ الحياةَ معركةُ الحَيِّ أذاقَتْهُ ما أَمَضَّ وشَقَّى[1]
ثمَّ ضاقَت به مَساعيه، فارتاعَ لِمَا خلَّف الصِّراعُ وأَبقَى
من دَواعي آمالِهِ، وَهْيَ صَرعَى أو بقايا أحلامِهِ، وَهْي شَرْقَى[2]
فتَنَاهَت بهِ النَّدامَةُ ؛ للجُهدِ، مُذَلّاً، للحجَى مُستَرَقّا
بينَ قَيدَينِ من مُنًى لا تُوَاتِي وأسارٍ لا يَرتَجي منه عِتقَا

* * *

رُحتُ أَستنطقُ الحكيمَ عِظاتٍ من تجاريبِهِ، فما اسطَاعَ نُطقَا
هل تَرانا إلا فقاقيعَ ماءٍ نَثَرتْها الرِّياحُ غَرباً وشرقَا ؟
فوقَ أثباجِ عَيْلَمٍ صاخِبِ المَوجِ، رهيبِ الوَجهَينِ، سَطحاً وعُمقا
تتلاقى فيه الأعاصير والظّلمَةُ شقَّت عَصَا الأمانِ وشَقَّا

* * *

قُل لِمن يَبتغي المَذَلَّةَ بالصَّبرِ عَليها، قد ارتضَيتَ الأَشَقَّا
إنَّما الصَّبرُ – والمَنِيَّةُ غَيبٌ – أن تَخوضَ الغِمارَ غيرَ مُوَقَّى
كَم نَجَا مِن كريهةٍ مُستَمِيتٌ وأصابَت سهامُها مَن تَوَقَّى !
حِكمَةٌ أن تُصَانَ بالصَّبر والذّلِّ حياةٌ، لو انَّ حَيّاً سَيبقَى
غيرَ أنَّ البقاءَ أُحبولَةُ الموتِ، أُقيمَت لنا، نُسُوراً .. وَوُرقَا[3]

* * *

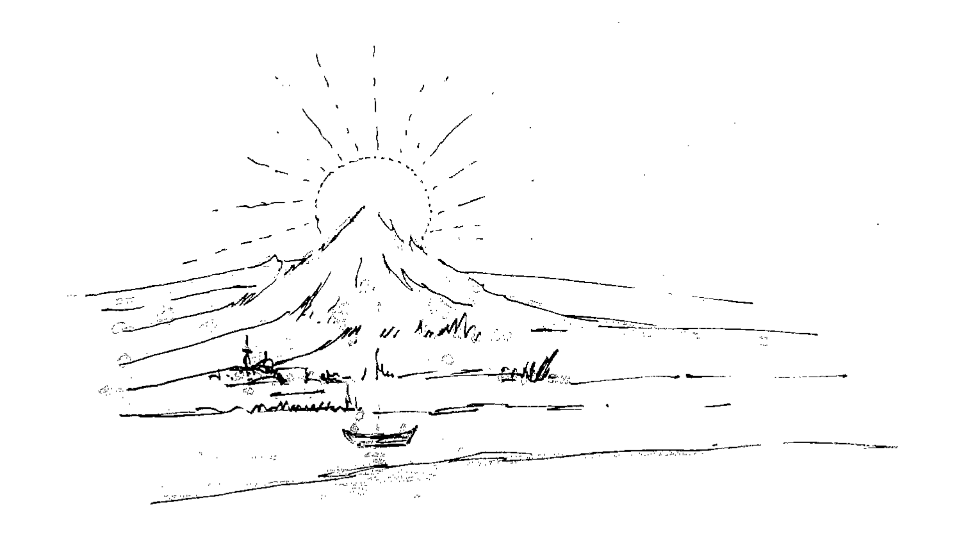
(١) أَمَضَّ : أوجع وآلَمَ . شَقَّى : أوقع في الشقاء .
(٢) شَرْقَى : من شرق بالماء إذا غصَّ به .
(٣) الوُرْق : جمع ورقاء وهي الحمامة .

شرِبَ النَّـــاسُ بالرَّذيلـــةِ صَفــــواً وشرِبنـــا على الفضيلـــةِ رَنْقـــا[1]

قال لي صاحبي ، على الفوزِ : مَرْحَى ولو استشعَر القِلـيِ ، قالَ : سُحْقـا[2]

لا يُسَرَّنَّ حالِـــــمٌ بِمُنــــاهُ فمَسَارِي الأحـلامِ أَخطَــرُ طُرْقـــا

ولقـد يَعجَـلُ السَّليــمُ ، فيَـــقضِي ولقـد يَنـهَضُ السَّقيـمُ ، فَيبقَـــى[3]



(١) الرَّنق : الكدر .

(٢) القلى : الهجر من البغض .

(٣) يقضي : يموت .



تأمُّـــلات

أَلا مَن لِقـومٍ صَرَّحُـوا بعدمـا كَنُّـوا ... بأَلّا يقـولَ السَّاخِـرونَ بهم : جُنُّوا[1]

عَجِبتُ لِقومٍ صَحَّ في العـدلِ رَأيُهـم ... فلمَّا اقتضاه الـمُستَضامُ ، بِهِ ضَنُّـوا[2]

وأَعـــجَبُ منهم مُتَّقُــون تَحَنَّثُـــوا ... طعامُهُـمُ جَشْبٌ ، وأَثوابُهـم خُشْنُ[3]

رَجَوناهُـمُ في ظُلمَـةِ الشَّكِّ حُجَّـــةً ... نَرُدُّ بها الغَاوي ، فقيل : قد استَغنُوا

* * *

رأَى الحُسنَ قومٌ ، فاستُطِيروا بسِحرِهِ ... وقال حَكيمٌ : ما الغَرامُ ؟ وما الحُسنُ؟[4]

ومِـن شَهَـواتِ الحَيِّ نَبـعُ شعـورِهِ ... وإنَّ مَساعِينـــا بأَسبابِهـــا رَهـــنُ

أَرانا عَبَدنـا المالَ ، والجاهَ ، واللُّهَـى ... فماتَت دَواعي الكِبْرِ فينا . فما نَحنُ؟[5]

* * *

أيـا جِيرةَ الـوادِي ! نَعِمتُـمْ بِخَيــرِهِ ... فقد ضَحِكَت بعدَ العُبوسِ به المُزنُ

وهادَنَـــهُ الإِعصارُ بعـــدَ عَداوةٍ ... تَهَـدَّمَ في شَعوائِهـا ذلكَ الـحِصنُ[6]

---

(١) كنّى : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح ، ومنه : الكناية .
(٢) المستضام : المظلوم . ضنّ بالشيء : بخل به .
(٣) تحنّث : تعبّد . الجَشْب : الطعام الخشن الغليظ بلا إدام .
(٤) استطار : ذُعر وفَزِع .
(٥) اللُّهى : جمع لُهْوة وهي العطية الطيبة .
(٦) شعواء : منتشرة ، متفرقة ، فاشية .

لقد لَعِبَت فيه السُّيوفُ سوافِراً ... وقد جَهِلَت يوماً بِحَومَتِهِ الحُصنُ[1]
أَرى الجودَ خَلَّاقَ المزايا ، وَطَالَمَا ... افترَاها ، ولولا جُودُهُ لم يكن مَعْنُ[2]

* * *

وعَاتِبَةٍ في الصَّبرِ ، قالَت ، فَأَثقلَت ... وقد ساءَ منّي في لَجَاجَتِها الظَّنُّ
أَقولُ لها ، والصَّبرُ يُوهِنُ حُجَّتي ، ... وما حُجَّةُ المغلوبِ ليس له رُكْنُ
تناهضَ بي عقلي إلى ما استَحَثَّه ... ولكنَّه عَزمِي الذي هَدَّهُ الوَهنُ

* * *

عَيِيتُ بأسبابِ الهَوى كيف تُتَّقى ... ومِنْ جُندِها : جُوعُ الغَريزةِ ، والأَفْنُ[3]
ولم أَرَ مثلَ الحُبِّ قَيداً لربِّهِ ... مَسارِيهِ وَعِثَاءٌ ، ومَشربُهُ أَجْنُ[4]
ولكنَّهُ راعِي القلوبِ وسَرحُها ... ولكنّها ، مُذ كان ، أَفئِدَةٌ رُعنُ[5]

* * *

تغَنَّى رِفاقي بالمُدامِ وفِعلِها ... ولو عَرَفوا سُوءَ المَغَبَّةِ ما غَنُّوا[6]
تقول : ابتسِم لِلْباسِمينَ تحيَّةً ... وكيفَ ، وبي مِنهُمْ ، وَلَمْ أَنتَصِفْ ، ضِغْنُ؟[7]

* * *

---

(١) الحصن : (بضم الحاء) جمع حصان وهو الحيوان المعروف . وبكسر الحاء : المكان الحصين .
(٢) معن : هو معن بن زائدة بن عبد الله من أجواد العرب .
(٣) الأفن : نقص العقل وقلته .
(٤) طريق وعثاء : فيها مشقة وشدة وتعب كثير . الماء الأَجن : الفاسد المتغير الطعم واللون والرائحة .
(٥) سَرْح القلوب : انطلاقها . الرُّعن : جمع أرعن وهو الأهوج .
(٦) سوء المَغَبَّة : سوء العاقبة .
(٧) الضّغن : الحقد الشديد .

سَلُوا صَاحِبي المَخمورَ : ماذا لَوَى به … أكأسُ الطِّلا ؟ أم مَن سَقَتْها ؟ أَمِ اللَّحنُ؟[1]

تَطَلَّعتُ في اللَّيلِ البَهيمِ بناظِـــري … فعادَ ، وقد أُودَى ، بِمَأْمَلِهِ الدَّجـنُ[2]

أَنحنُ ، وقد نَالَ الجَمادُ كرامةً ، … قَطِيــعُ سَوامٍ ، لا يُقــامُ له وَزنُ؟[3]

* * *

وَذَكَّـرتُ أَجيالِــي بماضِي عُهودِنــا … فَهَل ذَكَرُوها بعدَ لأْيٍ ، وهل حَنُّوا؟[4]

رَعَـى اللهُ كَدَّاحِيـنَ ناداهُـمُ الغِنَــى … وأمكنَهُم نَيلُ المَطالِبِ ، فاستَأْنُـوا

* * *

أُرامِزُ في قَولي ، فيُخطِـئُ صاحِبي … مُرادي ، فأَستَخذِي ، ويَغمُرُني الحُزنُ[5]

ألا قاتَلَ اللهُ الطِّـلا كم تلاعَـبَت … بعَزمِ شُجاعٍ ، فاستَقَرَّ بِهِ الجُبـنُ

* * *

فزِعْتُ إلى شِعرِي ، أُوارِي بِهِ الأَسَى … فقيـلَ : أَديبٌ ناعـمُ البالِ ، يَفْتَنُّ[6]

ومــا أنــا إلّا ثائِـرٌ ، فُلَّ سيفُــهُ … وأَسْلَمَـهُ الحَامِي ، فَأَثخَنَهُ الطَّعـنُ[7]

لقد عادَ بِي جَهدُ السُّرى نحوَ غايةٍ … حَرامٌ على طُلّابِها العَــيشُ والأَمنُ

★ ★ ★

---

(١) الطِّلا : (بكسر الطاء المشددة) اللذة ، أو الخمرة .

(٢) أودى به : ذهب به . الدَّجْن : الغَيْم (السَّواد) .

(٣) السَّوَام : الماشية .

(٤) اللَّأْي : المشقة .

(٥) استخذى : خَضَع وذَلّ .

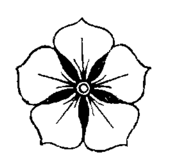
(٦) فزعت إلى شعري : لجأت إليه .

(٧) أثخنه الطّعن : كثر عليه وغلبه .



قالوا .. وقلت

قالـــوا : ثَقُـــلتَ عَنِ الطِّـــلَا.........بِ ، فقـلتُ : قانـونُ التُّـرابِ
أَهـدَرتُ جُهـدِي في الصَّغَـــا.........ئِرِ ، وَهْـيَ أَحـــلامُ الشَّبـــابِ
وَمَطَـــلتُ نفسي في الكُهُـــو.........لَةِ حَقَّها ، وكَفَـــفتُ نابِـــي[1]
وذَهـــبتُ أستسقِـــي الـــفَضَا.........ئِلَ ، والفضائـــلُ كالسَّرابِ
ظمـآنَ بيـــــنَ الشاربيـــــ.........ـنَ ، أَخـافُ تَعْتَعَـــةَ الشَّرابِ
صِفْـرَ اليَدَيـــنِ من الحقيـــ.........ـقَةِ ، والحقيقـــةُ في وِطَابِـــي[2]
أَفَـــخُضْتُ معركَـــة الظَّـــلا.........مِ إلى سَنَـــى فَجـــرٍ كِذَابِ ؟
قُلْ للَّذيـــــنَ تَلَـــــمَّسُوا عِلَـلَ الإصابَـةِ ، في مُصَابـــي



(١) مَطَل : وماطل فلاناً حقه : أجّل موعد وفائه مرة بعد أخرى . كففت نابي : حجزت نفسي عن الطعام المشتهى .
(٢) صِفْر اليدين : خالي اليدين . الوِطاب : ما يعدل الحقيبة ، أو هو الوعاء المتخذ لحفظ اللبن وسواه .



مغاني الهوى

مغَاني الهَوى ! ما أنتِ لولا المَآرِبُ ... سِوَى وَشَلٍ ، لا تمتَطِيهِ القَوارِبُ [1]

وهَبْنَاكِ ، ما لم يُوهَبِ الحُسنُ قبلَه ، ... قلائدَ نُورٍ ، تَشتَهيها الكواكبُ

فكان ثَوابَاكِ التَّحرُّجَ والقِلَى ... وراءَهما وِرْدٌ من الفَضلِ ناضِبُ

كذاكَ يَضيعُ العُرفُ في غيرِ أهلِهِ ... وتُثمِرُ في لَمْعِ السَّرابِ المَطالِبُ

* * *

مغَانِي الهَوَى ! لم تَبقَ للوَهمِ صُورةٌ ... تَميلُ بأحلامِ الهَوى أو تُجاذِبُ

فَفِيمَ تُعانِينَ البقاءَ ، عُلالَةً ، ... وقد صَفِرَتْ من رائِدِيكِ المَلاعِبُ ؟

كِلانَا ، على ما ضَاعَ في تِيهِ وَهْمِهِ ، ... حزينٌ ، تُواسِيهِ الظُّنونُ الكَواذبُ

قطَعْنا سبيلَ العُمْرِ جَهداً وراحةً ... نَرومُ مُنًى ، ضَنَّت بهنَّ العواقبُ

فها نحنُ ، والآمالُ رهنُ مَصيرِها ، ... فُلولٌ ، رَوَتْ مأساتَهُنَّ الغَياهِبُ

مُشَيَّعَةً بالصَّمتِ إلّا بَقِيَّةً ... من الدَّمعِ ، لم يَصدَعْ بها الصَّمتَ ناحِبُ [2]

وما حاجةُ الباكي إلى فَضلِ دَمعِه ... على فائتٍ ، سُدَّت إليه المَذاهِبُ ؟

* * *

---

(١) الوشل : الماء القليل .

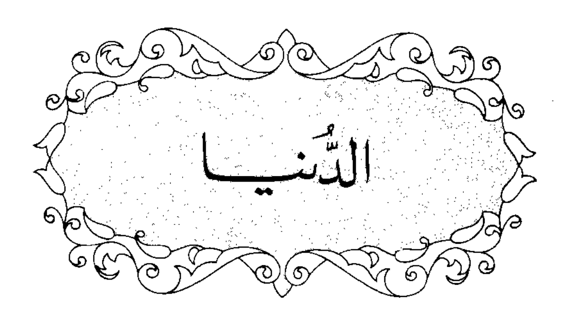
(٢) الناحب : الباكي بصوت مسموع .

شَقِينَا بِما قد كان في مَشرقِ الصِّبا   فها نَحنُ ، فيما كانَ ، والعُمرُ غارِبُ [1]
مَرامي نِضالٍ ، طَوَّلَ الأَيْنُ عُمرَها   فطالَت بها آصارُنا والمَتاعِبُ [2]
إلى أينَ ؟ لا نَدري ، وقد أُبهِمَ السُّرى   سِوَى أنَّ وَهْماً في الدُّجُنَّةِ ضارِبُ [3]
وَفِيمَ ؟ وغاياتُ المَساعي مَوارِدٌ   تَطيبُ بها للنَّاعِمِينَ المَشَارِبُ
يُهيبُ بأَنضاءِ العَزائِمِ رائِدٌ   وَيُوقِظُ أَعراقَ المروءةِ نَادِبُ [4]
وحَتَّامَ ؟ والأيامُ فاغِرَةُ المَدَى   تَنوءُ بأعباءِ الهَوان الغوازِبُ؟ [5]
وتقضِي ، بما تَلقَى ، نفوسٌ كريمةٌ   وتُدفَنُ في ظِلِّ الخُمولِ مَواهِبُ



---

(١) مشرق الصِّبا : مطلعه .
(٢) الآصار : جمع الأصر ومن معانيه : الثّقل ، والذّنب ، والحبس .
(٣) أبهم السُّرى : أشكل وخفي .
(٤) أنضاء العزائم : القوى المهدودة الخائرة من التعب وشدة الإجهاد . النادب : الداعي ، المنادي .
(٥) الغوارب : جمع غارب وهو الكاهل .



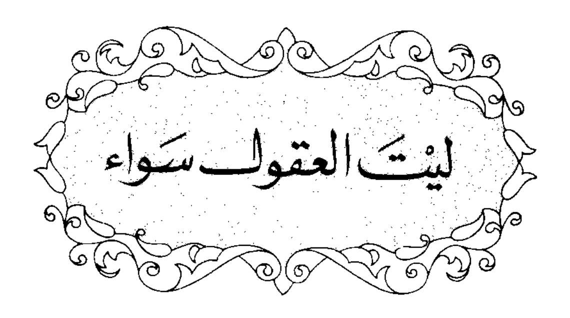
الدُّنيـا

لِغَايــةِ أمــرِهِ يَمضِي القَنُــوعُ   ويَعْرَى ، ما تَبَتَّلَ ، أو يَجوعُ

وما الدُّنيا سِوى مَرعىً خَصيبٍ   تَرَدَّدَ في مَراتِعــهِ القَطيــعُ

فمَـا لِمخَــيَّبٍ فيها اختِيــارٌ   ولا لِمُظَفَّــرٍ فيها رُجــوعُ

أقولُ ، وقد حُرِمتُ ، زَهِدْتُ.كلّا ،   أَفِي الشَّهَواتِ يَزهَدُ مُستطيعُ ؟



ليتَ العقولَ سَواء

كِلا طَرَفَيها في الغُمــوضِ سَواءُ   حيـاةٌ مسَارِيها دُجىً وخَفــاءُ

إلى أَين ؟ والغاياتُ غيبٌ مُحَجَّبٌ   ومِن أَين ؟ والماضي صَدًى وعَفاءُ

وفِيمَ ؟ ويَنبُوعُ الخَليقَةِ واحدٌ   تمايَزَتِ الأَضدادُ ، والنُّظَراءُ

هُدًى ، وضَلالاً ، واتّفاقاً ، وفُرقَةً   وخَيراً ، وشَرّاً ، والعُقولُ سَواءُ

* * *



نهايات

عَلَّلتُ عَجزي بأَنَّهُ الوَرَعُ وهل لِمثلِيَ في غَيرِهِ طَمَعُ ؟
آمنتُ باللهِ ، ما كفَرتُ بِهِ لكنَّهُ الغَيُّ ، والهَوَى تَبَعُ
مَضَى شبابي ، وما نَعِمتُ بِهِ فهل لماضي الأحلامِ مُرتَجَعُ ؟
لَيتَ اللّيالِيَ أعطت بما أَخَذَت مِنِّيَ عَزْماً يُورِي ويَندَفِعُ
شَقيتُ بالحسِّ في رَغَائِبِهِ وكُلُّها نافِرٌ ومُمتَنِعُ
يَرومُ منها مالا يُحَقِّقُهُ جُهدِي ، وقد عَاقَ خَطوِيَ الظَّلَعُ[1]

* * *

يَصُدُّ عَنّي الحَسناءَ ، إنْ عَشِقَتْ بَسْطةَ جِسمِي ، الجَفافُ والصَّلَعُ
لستُ بِشَيخٍ ، لَكِنَّنِي هَرِمٌ يُصلِحُ مِن سَمْتِهِ ويَصطَنِعُ
ويَخدَعُ النَّاسَ عن حَقيقَتِهِ فهل تَراهُم بفعِلهِ انخَدَعوا ؟

* * *

تقُولُ لي ، والكَرَى يَميلُ بِها : أنتَ سَمِيري ، والرِّيُّ ، والشبَعُ
بَلَى ، لقد كُنْتُها ، وقد صَدَقَتْ لو كنتُ مِنها بالصِّدقِ أَنتفِعُ
أَقرِيتُها طيِّبَ الحديثِ على خَيرِ طعامِي ، وَمِلْتُ أَلْتَفِعُ

(١) الظَّلَع : العَرَج .

وقُـــمْتُ عنها عَفَّ الإزارِ على ... استجابَــةٍ للحَــرامِ تَصطَــرِعُ
ما حالَ بينِــي وبينَهــا نَدَمٌ ... ولا ثَنَانِــي تُقــىً ولا جَزَعُ
لكنَّه العَجزُ ، والرَّخـاوة ، والأَيْـــنُ ، وداعِي النُّضُوبِ والخَــرَعُ [1]
هَيْهاتَ ، ما لِلشَّبــابِ من عِوَضٍ ... ولَـيس بَعـدَ الشَّبــابِ مُتَّسَعُ
أَرَغْتُ فيــهِ العُــلا ، فدافَعَنِــي ... عنها زمـــانٌ ، سِلاحُــهُ خَدِعُ
وهِــمْتُ بالخيــرِ ، واتَّصفتُ به ... فمــا اقتفانِــي في الخيــرِ مُتَّبِــعُ
وارحمةً للنّفــوسِ ، أَرْخَصَهــا ... هوانُهــا للقَــوِيِّ والــجَشَعُ
وَضَيْعَــةً للعقــولِ في زَمــنٍ ... قد أَوْهَنَتــه الآثامُ والبِــدَعُ

* * *

طالَ علــيَّ السُّرى براحلــةٍ ... عَشْواءَ ، أَقْفُــو المُنــى وأنتجِــعُ
ونــاءَ بِي الأَينُ في مَسالِكِهــا ... صحراءَ يَخْشَى ظلامَهــا السَّبُــعُ
أَركَبُ فيها الوُعــورَ مُخْتَبطــاً ... ومِـلءُ نفسي الكَــلالُ والهَلَــعُ
ماذا أَرى من حقيقتــي ؟ أَسِوَى ... أَنّــيَ .. شَيءٌ يَهْـوِي وَيرتَفِــعُ
كَفَّنْتُ ماضِيَّ ، وانتظـرتُ سُدًى ... مُستَقبَلي ، فاستشاطنــي الجَــزَعُ
قالـوا : تعجَّلتَ ، فاتَّئِــدْ ، فمضى ... بالنُّجحِ – راعَ العشيرَ – مُندَفِـعُ
ونِــمْتُ عن غايــةٍ أَطَــلْتُ بها ... سُهدي ، سُدىً ، والرَّجاءُ منقَطِعُ
فصاحَ بي الــوَادِعُ المنعَــمُ : أَبْـــطأتَ ، فهَلّا عَجِـلتَ يا لُكَــعُ [2]

* * *

---

(١) الخَرَع : اللّين والاسترخاء .
(٢) لُكَع : لئيم ، أحمق ، العَيّ .

أغرقْتُ جُهدي في السَّعي ملتَمِساً ... غايـــــــــةَ حُرٍّ بالحقِّ يَدَّرِعُ

فلم أَرَ الحقَّ غيــرَ مَهزلـــةٍ ... فيما احتذى الأقوياءُ ، أو شَرَعوا

والعيش سوقاً ، تُبـاع حاضرهـا ... كما تُبـاعُ العُـروضُ والسِّلَـعُ

الآدميّـــونَ والكـــلابُ بها ... سِيَّـانِ ، إمـا ألاحَ مُنْتَفِـعُ

مازال يَرجـو الإنصافَ مُضْطَهَـدٌ ... ويستَـدِرُّ الحنـانَ منصدِعُ

إنْ كانَ حكّامُهـمْ دَهاقِنَـةَ السُّـ.........وقِ ، فَمَـن بالقضاءِ يَضطَلِـعُ؟[1]

العـدلُ في الأرضِ سيرةٌ ذَهَـبتْ ... والـرَّأيُ في أمـرِ أهلِـهِ شِيَـعُ

يا سائِلي عن فضائـلٍ مُدحَت ... أهْـي خيـالٌ يُروَى ويُبْتَـدَعُ ؟

لا رَأْيَ عنـدِيَ فيها ، فلستُ أرى ... في الأرض ظِلّاً لَهَـا ، فأقتنـعُ

فليت شِعْرِي ! هل صاغَ من قِدَمٍ ... أسماءَهـا في اللّغـات مُختَـرِعُ ؟

قُلْ للخَلِيّيـنَ : ما وراءَكُمُـو ؟ ... فقـد عَدَتْنـا الآمالُ والمُتَـعُ

أهَـبْتُ بالغافـلين أُنذِرُهـم ... من سوءِ أطماعِهم ، فما رَجَعوا

لَهفِـي على الجائـعين نازَعَهـم ... أقواتَهـم بالنفـوذِ مَنْ شَبِعـوا

« سائِلْ ملوكـاً هَذِي مقابِرُهـم ... هل استقالوا المصيرَ أو دَفَعُوا » ؟

* * *

ناديتُ قومـي وراءَ حاجـرَةٍ ... فرَدَّ رَجْعُ الصَّدَى : لقد هَجَعوا[2]

يا فتيةً ! عاقَـروا الطِّـلا سَحَـراً ... أثَـمَّ فيكُـمُ للنُّصحِ مُستَمِـعُ

في الغَيْطِ ساعُونَ ينزِعـون طَوًى ... وأنتمـو تحرُثـون ما زرعـوا[3]

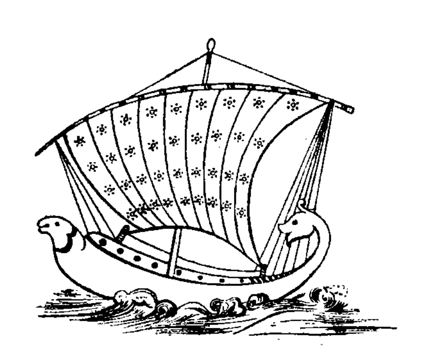
---

(١) الدّهاقنة : جمع دُهقان وهو التاجر الخبير .

(٢) الحاجرة : المنخفض من الأرض .

(٣) الغَيْط : المطمئن من الأرض ، الحقل .

هلّا ادَّرَأْتُــــم عن رَأي أعــــينهم فكلُّهـــــم ناظـــــرٌ ومستمِــــعُ
كَم أوهَــنَ الــفسقُ قبلَنــا أُممَــاً فَانحَلَّ ما وثَّقــوا ومــا جَمَعــوا
لو عرَفَ المترَفُــــون غايَتَهــــم لأفــزَعَ المتــرَفِين ما صَنَعــوا
هل للحَزانَـــى بعيشهِــــم فَرَحٌ ؟ بما أُصيبــوا فيــه ومــا فُجِعــوا ؟
مَرحَى لقــومٍ أَصغَت ضمائِرُهــم إلى نذيــرِ القُــرآنِ ، فارتَدَعــوا
قلْ للدُّجــى : أطبــقَت غياهِبُــه على أنــاسٍ : هل أنتَ منــقشِعُ ؟





رُؤَى

أَلَا حَبَّذا كأسُ المُدَامَةِ لو تُسْلِي ... ولـو كان في تَيَّارِهـا عَطَبُ العَقـلِ

شَرِبتُ بها الآلامَ ، حيـنَ شَرِبتُهـا ، ... رُؤًى ذِكرياتٍ ، لا تَطيبُ لِمُستَجلِي

رُؤىً داميـاتٍ عَبْـرَ ماضٍ مُحـزِّن ... فقَـدتُ بهِ وُدَّ الأَحبَّـةِ والأَهلِ

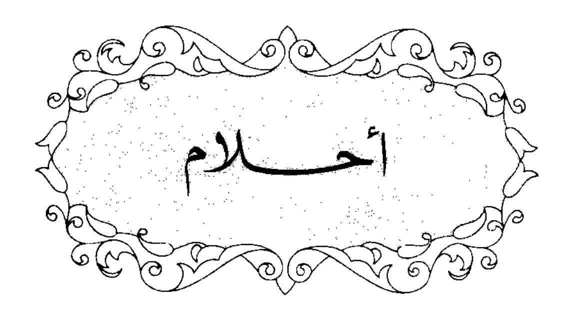
رُؤىً ، لم تَزل تَأْوِي إلـيَّ كما أَوَت ... إلى مَضجَعِي ، والعيشُ متَّصلُ الشَّملِ

تُعَـاتِبُ فيمـا كانَ أَو تَستَعيـدُهُ ... أَبعدَ الذي عانيتَ مِن رِحلةِ الجَهلِ ؟

وَهَيهاتَ أن يَنسَى مآتِـمَ عُمـرِهِ ... شَقِيٌّ ، تُقَاضِي الطُّهْرَ معركةُ الوَحلِ

مَسَاعٍ تَقَضَّت بالشَّبـابِ ، وَأَعقَبَتْ ... جرائرَ ، أَوهَى عبئُها كاهِلَ الكَهـلِ





ومضَيْنا ننشُدُ الحقَّ فأَوْهانا الطِّلابْ

رحلةً كانت على غيرِ هُدى منّا إلى غيرِ مَآبْ

وطَوانا ثَبَجُ اليأسِ ضَباباً في ضَبَابْ

أينَ ما مَنَّيتَنا مِن خِدَعٍ ، والعُمرُ رَيَّانُ الإهابْ ؟

الهَوَى الطَّاهرُ والمجدُ وآمالُ الشَّبابْ ؟

أَتُراها ، لم تكن من صَنعَةِ الوَهمِ سِوى لَمعِ سَرابْ ؟

شَدَّ ما أَزرَىٰ بِنا الجهلُ على الأَينِ وأوهامُ الشّرابْ !





أبيس[1]

« هذه القصيدة الطَّويلةُ بدأها الشَّاعرُ بمناجاة الحُبّ والحَبيب ، ثم تطرَّق إلى ما تعوَّدناه في شعرِه الوُجداني من محاولةِ الكشفِ عن الأضداد في الحياة .

وكانَ الشَّاعر يُقيمُ في مِصر فإذا أحداثِ الحياة السّياسيّة تَطغَى على مناجاة الحُبّ والمحبوب ، وإذا القصيدة تسجيلٌ لواقعٍ عاشَته مِصر العزيزةُ في ذلك الزَّمان ، وإذا حنينُ الشَّاعر إلى مَكَّة (مَسقَط رأسِه) يتجَلّى كأحسنَ ما يكونُ التَّجلِّي » .

ما اصطِباري على الأَسَى وثَوائي ... ونِدائي مَن لا يُجيب نِدَائي؟[2]

جمدَ الدَّمعُ في مَآقِيَّ يا حُبُّ ... وقَرَّ اللَّهيبُ في أَحشائي

عُدتُ مِن غُربتي إلى اللَّيلِ والفَجـ ... ـرِ لِكَي يَسمَعا تَرانيمَ نائي

ضِعتُ في تِيهِكَ المُحَيِّرِ يا حُبُّ ... تَمَزَّقتُ في أسَى بَلوائي

وتسَاءَلتُ في نعيمِكَ : كَم أَشـ ... ـقَى ! وكَم أَرعَوي بِغَيرِ رِضاءِ !

كَم أُروضُ الإباءَ فيكَ على الصَّبْـ ... ـرِ وأُغضِي على جراحِ إبائي !

كَم أُلاقي العَذابَ منكَ ، ولا أَشـ ... ـكو ، وأَلقاكَ بالهَوَى والوَلاءِ !

---

(١) أَبيس : عجل ذو صفات خاصة ، جعله المصريون القدماء رمزاً للقوة الحيوانية ، وقدسوه . وهو في هذه القصيدة رمز لحاكم معيَّن

(٢) الثَّواء : الإقامة .

كَم أَخوضُ الأحزانَ راكبَ تِيـــهٍ ضَلَّ في لا نِهايـــــــــــةٍ سوداءِ !

يا دُروبَ الهَـوَى ! تَغَطَّيتِ بالـوَرْ.........دِ على الشّوْكِ ، غَارِقاً في الدِّمــاءِ !

الضَّحايـا مِن تَحتِــهِ مُهَـــجٌ حَرَّ.........ىٰ ، ومِــن فَوقِــه رُؤًى شُعــراءِ

هكذا أنتِ ، والمحبُّون ، من قَبْـ.........ـلُ ، فَراشٌ مُسَيَّـــر للفَنــاءِ

رِحلــةٌ تُثمِــرُ اللُّغــوبَ وخَيــطٌ من حَريــرٍ ، يقتادُنــا للشَّقــاءِ

وشُجـــــونٌ لا تَنتهي .. وصِراعٌ يَسْحَــقُ الصَّبْــرَ دائــمُ الغُلَــواءِ[1]

الحِجَــى فيـــهِ حائـــرٌ في ظلامٍ والأمــــــــاني مَوْءُودَةُ الأصداءِ

والخَيــالاتُ في دُجــاهُ شُمــــ.........ـوعٌ ، ثَرَّةُ الدَّمعِ ، ذابلاتُ الضّياءِ

والأسَى فيـــه للجـــراحِ يُغَنّــــي عَبرَ تِيــهٍ ، مُحْلَــوْلِكِ الأرجــاءِ

يَنشُدُ الفجـــرَ ، وَهْـــو ناءٍ غريبٌ ضائــعٌ ، مثلَـه ، شهيــد الدُّعــاءِ

أَلِهذا تَشقَــى النُّفــوسُ بما تَهـــ.........ـوَىٰ ، وتَكبُـو الغاياتُ بالعُقَــلاءِ ؟

ويَهيـمُ الخيــالُ في ظُلمــةِ الحَيْـ.........ـرَةِ يَسرِي على بَصيصِ الرَّجـــاءِ ؟

وتَفيضُ القلــوبُ ، مُنطَوِيَــاتٍ ، بِجــــراحِ الأَسى على البُرَحـــاءِ[2]

* * *

يا بَريقَ السَّرابِ ! أَسرفتَ في الجَوْ.........رِ وأُثخَــنتَ في قلــوبِ الظِّمــاءِ !

أنتَ ، أنتَ الهَـوى دنُــوّاً وبُعــداً في تَصاريــــفِ غَدرِهِ والوَفـــاءِ !

ووعـــودُ الهَـــوى أَجَــلُّ عطايــــ.........ـهُ ، فهل يَرخُص الهَـوى بالعَطــاءِ ؟

وعــذابُ الحِرمـــانِ صَوَّرَ للعَــا.........شِقِ أَنَّ الهَـوى زِمــامُ الشِّفــاءِ

---

(١) الغُلَواء : الغلوّ ، شدة المبالغة .

(٢) البُرَحاء : الشدة ، العذاب الشديد .

غَيرَ أَنَّ الهَوَى يَحُولُ ويَذوِي   كالرُّؤَى والزُّهُور والأَنداءِ
إِنَّها قصَّةُ الهَوى وأمانيـ   ـهِ رَبيعاً مهَدَّداً بانطِواءِ
قصَّةُ الذِّكرياتِ في لُجَّةِ العَيـ   ـشِ ، شِراعاً ، يَهِيمُ في الظَّلماءِ
إِنَّها مِن قلوبنا خفَقَاتٌ   عاثراتٌ تَشَبَّثَتْ بالبقاءِ
إِنَّها وَقدةُ الشَّبابِ ، ومَقدو   رُ خُطاه في دَعوة الأهْواءِ
ومَرايا أَحلامِه ، يَجتلِي فيـ   ـها خفايا هُيامِهِ ، بالهناءِ
وَهْي دُوَّامةُ الحياةِ ومَجرا   ها ، تَلُفُّ الأمواتَ بالأَحياءِ
وَهْيَ ، ما كان ، منذُ أشرقَتِ الشَّمْـ   ـسُ على الكونِ في سُطور القضاءِ
ما استراحَ الإنسانُ فيها من الجَهـ   ـدِ ولا انفَكَّ من قُيودِ البلاءِ
قصَّةٌ ما لها خِتامٌ سِوى المَوْ   تِ ، مُصاباً ، لا يَنتهي لِعَزاءِ
والرَّدَى كالهَوى ، يُصيبُ ، ولا يُخْـ   ـطِئُ مَرماهُ ، مَوعداً ، للِّقاءِ
ما تَوَقّاه دَالِفٌ في أَديمِ الـ   ـأرضِ يَسرِي ، أو سابحٌ في الفضاءِ[1]
جَلَّ مَن قَدَّرَ الرَّدَى وقَضَاهُ   غَايَةً في الضِّعافِ والأَقوياءِ
مثلَما قدَّرَ الحياةَ وأجْرا   ها مجالاً لكلِّ دانٍ .. ونـاءِ
وجَلَاها لِلنَّاظرينَ جَمالاً   وخيالاً جَمَّاً ، وفَيضَ ثراءِ
وأَقام الأضداد جَزْراً ومَدّاً   تتحدَّى جهالةَ الحكماءِ
فاتِّساقُ الحياةِ ، سَلباً وإيجا   باً ، سبيلُ اطِّرادِها والنَّماءِ

* * *

يا نَعيمَ الهَوى ! كرهتُكَ وِرداً   ووُروداً مُمَوَّهاتِ الطِّلاءِ

---

(١) الدالف : المثقل في مشيه من العجز أو ثقل الحمل .

وسُعاراً يَهيمُ بالدَّمِ واللَّحـ.........ـمِ ، وناراً تقتاتُ بالأَشلاءِ[1]

كلُّ صفوٍ يُمَلُّ ، ما لم تُداخِلْـ.........ـهُ دواعٍ من الأَسى والعَناءِ

وحياةُ الخَلِيِّ ، مِن وَصَبِ الدّنْـ.........ـيا ، حياةٌ خليقةٌ بالرِّثاءِ

رُبَّ أَمنٍ يعيش ، في ظلِّه ، السَّا.........رحُ مثلَ البهيمةِ العَجماءِ

وصِعَابٍ ، تَخوضها عَزمةُ الطَّا.........مِحِ ، أَعطته شارةَ العُظَماءِ

وتَهونُ الغاياتُ ، حبّاً وبغضاً ، في ظِلال الهَوى ، ولينِ الرَّخاءِ

حبَّذا الوعرُ والعِثارُ ، وأخطا.........رُ اللّيالي .. سُرىً على الوَعثَاءِ

ودُروباً لا تَنتهي ، وعذاباً تتحدّاهما خُطى التُّعساءِ

عازفاتٍ عن الهَوى ومغانيـ.........ـهِ ، هُياماً بالواحةِ الخضراءِ

حيث يَسمو الجَمال بالطُّهر والصِّدْ.........قِ إلى قِمَّةِ الوفا والحَياءِ

حيثُ لا تَرتدي الصَّداقةُ أثوا.........باً بِلونَيْ خِداعِها والرِّياءِ

حيث لا يَطعنُ الرَّفيقُ رفيقاً بين دَعوى تَقواهُ والإغواءِ

حيث تَجفُو النُّفوسُ كلَّ الحَقارا.........تِ لِتَحيا بصفحةٍ بيضاءِ

لا كما تَسرحُ السَّوائمُ في المَر.........عى على فَضلِ عُشْبِها والمَاءِ[2]

في قيودٍ من عيشِها ودواعيـ.........ـهِ وأمنٍ من جهلها والغَباءِ

حيث لا تُنصَبُ الشِّعاراتُ زَيفاً وفُجوراً يُروَى ومَحضَ افتراءِ

حيث لا تُمسَخُ النُّسورُ خفافيـ.........ـشَ ، هَوَت فوقَ أَرجلِ الزُّعماءِ

حيث تَبقَى الصَّلاةُ تَقوَى وطُهراً لا فِخاخاً لِلبيعِ أو للشِّراءِ

---

(١) السُّعار : شدة الجوع أو العطش ، ومن معانيه الجنون .

(٢) الفَضل : – هنا – بقية الشيء .

حيث لا يَجبُنُ الشُّجاعُ لما يَخـــ .... ــشَاهُ من سامـــــعٍ يَشِي أو رَائي[1]
حيث يلقَى الرَّبيــعُ أعيــادَه فيـــ .... ــهـا جِنانـاً طليقـةَ الأمـــداءِ
حيث لا تَخضَعُ الحياةُ لِغيـرِ الـــ .... ــلَّـهِ ، ربِّ البـأساءِ والنَّعمـــاءِ
حيث ما كان أو يكـونُ سِوى الحقِّ .... وصوتِ الهُـدى ووَحـيِ السَّمـاءِ
ربَّمـا تَصدُقُ المساعــي فتنجـــا .... بُ غيــومُ الأَسى عن الشُّرفـــاءِ
لم تَهِـن عزمـةٌ يسانِدُهـا الإصـ .... ـرارُ لم يُلـقِ رايـةَ الكِبريـــاءِ
وتَـؤوبُ الأَوطـارُ بعدَ نِدادٍ ويَعـودُ الرَّبيعُ بَعدَ انـقضاءِ[2]
وكذا كلُّ ليلةٍ تَلِـدُ الفجـــ .... ــرَ ، فَيُلوي بالظُّلمةِ الدَّكناءِ
وقُطــوبُ الغيـــومِ بَشَّر بالغيـــ .... ــثِ ابتساماً في البقعـةِ الجَـرداءِ
ربَّ دانٍ نَأى ، ونـــاءٍ تدانَــــى رَهْـــنُ قَيدَيـنِ ، صُبحِــهِ والمساءِ

* * *

يا سُطـوراً ! كتبتها بِدَمِي الحُــرِّ .... أَنِيـــرِي جوانبَ الصَّحـــــراءِ
وابعَثِـي في رِمالِهــا اللَّـــهبَ الثَّـا .... وِيَ عَهـــداً يَفـــورُ بالأَنواءِ
عهـدَ عَمْـرٍو يُحيـطُ بالنِّيـلِ بَحـراً نَبَويّـــاً سَرَى بِنـــورِ ذُكاءِ[3]
واعبُـرِي في جيـادِه تِيـهَ سِينـا .... ءَ لِواءً يُزرِي بكـــــلِّ لواءِ
وانشُرِي في مواطـنِ العَــرَب الـلّا .... هيــنَ ناراً مَكِّيَّـــةَ الــلَّأْلاءِ
لِتَــقُصّي عَهــدَ العباقــرةِ السُّمْـــ .... ــرِ كتابـاً يَفـــيضُ بالأَنبــاءِ

(١) يَشِي : من وَشَى إذا نمَّ وسعى بالشر . الرائي : (هنا) الجاسوس الخبيث .
(٢) الأوطار : الحاجات ، الغايات . النّداد : النفور ، الشرود .
(٣) عمرو : هو عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، فاتح مصر ، وحاكمها الإسلامي الأول .
ذُكاء : اسم من أسماء الشمس .

وأعيــدِي تاريــخَ مكّــةَ ، في الآ........فاقِ ، فتحــــــــاً يَسِحُّ بالآلاءِ

لا هُراءً ، يُديـــرُه فَمُ مُلْقيــــــــه.........على الهاتفيـــــــــنَ والأُجَراءِ

اِستَخفَّتهُمــو الــرُّؤى والأمانـــيُّ........بيـــومٍ يأتي وفيـــرِ الغِـــذاءِ

كالبراغــيثِ ساقَهـــا الجوعُ والبَـــرْ........دُ ، وعـــاشَت على دمِ الغُرَبـــاءِ

إيـــهِ ! يا وَحـــدةً تبشِّر بالخيـــــــــــرِ براغيثَهـــا ، خُذِي بالإنـــاءِ

وآمـــلأيهِ دَمـــاً ، من الجارِ والصَّا........حِبِ ، باسمِ اشتراكهم في الإخاءِ

واضرِبِي بالدُّفوفِ ، في حَلَقات الـذِّ........كرِ رقصاً ، وبَـــرّزي في الدَّهـــاءِ

ما يَزال الخِـــداعُ مِيسَمَكِ البـــا........رِزَ بين الصِّحـــابِ والأعـــداء

فاركَبِي الرِّجسَ من طباعِكِ يَمّاً والـــبَسِي للرِّيـــاءِ أَلْـــفَ رِداءِ

لن تَسودِي ، ولن تقُودي سوى تلـ........ـك البراغــيثَ تحتَ كلِّ ادِّعـــاءِ

وستـــقضِي الأيـــامُ فيكِ وفيها ما قَضَتــه في راكبِ الـــعَشواءِ [1]

فالقوانيـــــنُ لا تُجير ولـــن ترْ........حَمَ مَن غاصَ في دَمِ الأبريـــاءِ

ومَـــن استعبـــدَ الرِّقـــابَ فأجـــرا........ها على حُكمِـــه بدعـــوى البنـــاءِ

إن لِلَّـــهِ غَيْـــرَةً وانتقامـــاً عصَفـــا بالطُّغـــاة ، للضُّعفـــاءِ

عَمِيَ الظّالمون عن سُبُـــلِ الحَـــقِّ........فَهامـــوا في الفِتنـــةِ العَميـــاءِ

والمَصيرُ المحتومُ يَزحـفُ في صَمـــ........ـتٍ ، لأعناقِهـــم ، بِشَرِّ الجَـــزاءِ

مِحَنُ الدَّهـــر تَنـقضِي ، والضَّلالا........تُ تُوَلِّـــي ، والموتُ للجبنـــاءِ

يا سطـــوراً كتبتُهـــا بدمِ القلـــــبِ ! أُهيبِي بساكنـــي البطحـــاءِ [2]

---

(١) العشواء : مؤنث أعشى ، وهو الذي ضعف بصره ، ويتخبط في طريقه على غير هدى .

(٢) البطحاء : الأرض المستوية ، ويراد بها هنا : مكة المكرمة .

واستفِزّي جبالَها السُّمرَ ، ترتَدُّ بإرثِ الآباءِ للأبناءِ
من هنا رايةُ العدالةِ رَفَّت وأنارت جوانبَ الغبراءِ[1]
رُبَّ حرفٍ دعا ، فلبَّته أعراقُ المروءاتِ لَظَى الهَيجاءِ

* * *

يا خيامَ الصَّحراءِ ! قد بَلَغ الصَّمتُ مَداه على أذى الغَوغاءِ
فاركبي ، واضرِبي ، على طولِ مَسراكِ ، فلولَ الخَيالِ والخُيَلاءِ
الفُلولَ التي يُسَيِّرها ثَوْرٌ بسَوطِ الزَّعامةِ الجَوفاءِ
صارَ معبودَها ، كما كانَ من قَبلُ ، وقد خار مُمعِناً في الهُراءِ
وتحدَّى بالظِّلف والقَرْن والذَّيلِ « وقد هَاجَ » قُدرةَ القُدَرَاءِ
مستَخِفّاً بالإنسِ والجِنّ ، بالعالَمِ طُرّاً بِرفرَفِ الجَوزاءِ
ماضِياً في خُواره يُنذِر الدُّنيا بوَيلاتِ بَأسِه العَسراءِ
فاختفِي يا نجومُ ! قد أقبلَ العِجلُ ، إلَهُ الكُهّانِ ... والعُرَفاءِ
الذي صَيَّر الخيانةَ والغَدرَ شِعاراً لِعهدِه الوضّاءِ
والذي نازَعَ الرَّغيفَ رعاياهُ ، فضاقوا بصَيفِهم والشِّتاءِ
غاصباً مِن حقولهم ثمَرَ الكدحِ رُكاماً ، أحالَه كالهَباءِ
فاذهبِي يا رياحُ ! بالحَرثِ والنَّسلِ ، وعُودي بالأينِ والثُّؤَباءِ[2]
وانسَخِي آيةَ الحِقارِ ، وطُوفِي بالعَوادي ... بالرَّايةِ الحمراءِ[3]

(١) الغبراء : الأرض ، الدنيا .
(٢) الحرث والنَّسْل : الزرع والناس . الثُّؤَباء : التثاؤب وهو حركة للفم غير إرادية ، من كسل أو نعاس .
(٣) الحِقار : جمع حقير ، وهو المستهان به . العوادي : الخيل المغيرة .

واطَرِحـــي للحيـــاةِ أَلـــفَ سؤالٍ   عن أَبـــيسٍ وسَيـــرِهِ للـــوراءِ
يا ألوهيَّـــةَ العُجـــولِ ! أَفيقِـــي   من خُمـــارِ الجنـــون والصَّهبـــاءِ
لم تَضِق رقعـــةُ الخيـــال بعجـــلٍ   سامَ عُبَّـــادَهُ حيـــاةَ الإمـــاءِ
سارِيـاً في هَشيمِهـمْ سَرَيـــانَ الـــــنّارِ ، تَذْروهُمُـــو سُدىً في الهواءِ
يا عقـــولاً تَألَّـــهَ العِجـــلُ فيها   أيُّ قَرنَيـــه مُؤْذِنٌ بالعَفـــاءِ !
للبرايـــا من كلِّ جنسٍ ولـــونٍ   لم تَلِـــن للدِّيانـــة النَّكـــراءِ
يا عقـــولاً تمكَّـــنَ الضَّعـــفُ منها   فاستَكـــانَتْ لِلَّحظـــة الخَرقـــاءِ !
عشِيَت هذهِ العقـــولُ وهـــانَت   فاستعـــارت تَلَـــوُّنَ الحِربـــاءِ
ليس يُلحَى عِجلٌ ، يَخورُ ، فيُلقِى   بيـــنَ عُبّـــادِهِ ، بآيِ الثَّنـــاءِ [1]
كلمـــاتٌ من الرَّحيـــقِ المصفَّـــى   عَتَّـــقتها يدا أبي البُلغـــاءِ
جَلَّ ، يا ثورُ ! مَن بَراكَ وناجـــــكَ على الطُّورِ في ليـــالي الجَـــلاءِ [2]
أيُّهـــا السَّابحونَ في لُجَـــج الوَهْـــــمِ ! أَفيقـــوا من غَمـــرة الإغفـــاءِ
وضَعُوا العِجلَ حيث يَكدَحُ في الغَيْــــطِ ، ذليـــلَ القَرنَيـــنِ في استخـــذاءِ [3]
حيث يَشقى ، كيلا يَجوعَ ويَظما ،   في صفـــوف الأَشبـــاهِ والنُّظَـــراءِ
حيث لا تَعبُـــد العجـــول إلَهـــاً   من ذواتِ الأَظلاف في الأهـــراءِ [4]

* * *

---

(١) لحا : يلحو : لام وعذل ، ولحا الله فلاناً : قبَّحه ولَعَنه .

(٢) برأ : خَلَق ، تقول : برأ الله الخلق ، وبراك : خلقك (وسُهِّلت الهمزة) . الطُّور : الجبل (وأضيف في القرآن الكريم أحياناً إلى سيناء) . الجَلاء : الخروج عن الوطن بعد الإقامة فيه – ولَعله يقصد هنا جلاء الإنكليز عن مصر – .

(٣) الغيط : الأرض المطمئنة ، الحقل .

(٤) الأظلاف : جمع ظِلْف وهو الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبي ونحوها . الأهراء : جمع الهُرْي وهو موضع كبير ضخم تجمع فيه الحبوب وتحفظ .

لَيتَ شِعْري ! ماذا دها النّيلَ في النّا.........سِ ؟؟ أُصيبــوا بأقتــلِ الأدواءِ
حينما أَلَّهــوا أَبــيسَ ، فأَصْلا.........هُمْ جحيمـاً .. مُستشرِيـاً كالوَبـاءِ
يتَــردَّونَ في الحيــاةِ إلى القــا.........ع ، وَهُـم قبلَه ، دعــاةُ العَـلاءِ
فاشرَقِـي يا عيــونُ بالدَّمــع للنيِّـ.........لِ ! مُصابــاً بالمحنــةِ الخرساءِ
حيث تَبـدو الأقـلامُ والفـنُّ والفكـ.........ـرُ ظلالاً عديمَةَ الإيحاءِ
حيث يَسرِي الشُّحوبُ في كلِّ شيء يَتغَطَّــى بالرَّمــزِ .. والإيماءِ
حيث غَطَّ التّاريــخُ في شاطِئَيــهِ نائمــاً عن مَصيره .. والنّــداءِ
عن أَبيسٍ .. وعـن عِبَــادِ أبـيسٍ وضحايــا السِّيــاسةِ الحَــوْلاءِ
يا زمانَ العُجولِ ! أسرفتَ في الوَعـ.........ـدِ ، فَمَرحَــى للهــادم البَنَّــاءِ
يا زمـانَ العُجـولِ ! أمطـرتَ دنيـا.........كَ ، فأغرقتَهــا بهذا السَّخــاءِ
فركبْنــا طُوفانَهــا نضرِبُ المـا.........ءَ ، صِراعــاً ، يَمضِي بعـدَ انتهاءِ
كَذَب السَّامِرِيُّ ، ما كنتَ ، يا عجـ.........ـلُ ، سِوى فتنــةٍ بغيــرِ كِساءِ[1]
ضَلَّ فيها لاهٍ ، وصَدَّقَ أَعمــى وتَسَلّــى بها ذَوُو الآراءِ
وتصَدّى لها بسخريــةِ الها.........زِىءِ ذو العلم والحِجا والــذّكاءِ
كيف لا تُعْبَدُ العجـولُ ؟ ومـا تُخـ.........ـلَــقُ إلا للذَّبــحِ والإقتنــاءِ
بينما تَبلُــغُ الجيــادُ ذرى السّبـ.........ـقِ تَلِـجُّ العُجــولُ في الإبطــاءِ
وكـذا أنتَ ، يا أبيسُ ! ثقيـلُ الـ.........خَطوِ ، فيمـا ابتـدعتَ من أخطاءِ
الخُــوار الطَّويــلُ آيَــتُك الكُبـ.........ـرَى ، تُناجِــي بها هَوى الــدَّهماءِ

---

(١) السّامِرِيّ : رجل من بني إسرائيل صنع في أيام موسى عليه السلام عجلاً من ذهب ، ودعا قومه إلى عبادته (والقصة مفصلة موجودة في سورة طه من القرآن الكريم) .

الجيــاعَ الذيــن قد رُزِئــوا فِيـــــــــــكَ ، وعاشوا على الطَّوى والعَراءِ

أنتَ أكذوبــةُ الزَّمـــان على النــــــــاسِ ، أطـــاحَت بقصَّةِ العَنْقـــاءِ [١]

يا مُسيلَ الدّموعِ من أعينِ الغَــرْ ثى ! ولم يُصغِ ذَيلُـــه للبكـــاءِ [٢]

القرابيـــنُ من عِبـــادِكَ تَتْـــرَى تبتغِـــي منكَ سُنَّـــةَ الرُّحَمَـــاءِ

أفـــلا كان ذَيـــلُكَ القَلِـــقُ الحا قِدُ في خَطْبِها من الشُّفَعــــــاءِ؟ [٣]

أنتَ في النيــلِ حجَّـةُ اللهِ في الأر ضِ على النَّاس في الرِّضَى بالبِغاءِ

لِمَ لَمْ يُلزِمــوكَ مأواكَ في الغَيْـــطِ ، لِتَشقــى بالحَــرث والإرواءِ ؟

لِمَ لَمْ يُثقِلــوكَ بالنِّيــرِ والحَبـــلِ ، قِيـــاداً ، يَصونُ حَقَّ الأداءِ ؟

فَاحتَكِمْ ، والتمسْ بأظلافِكَ النِّقـــمَـــةَ فيهم بالحَيـــفِ والإزراءِ

وآلهُ ، والعَبْ بهم ، فما زال في جِلـــدِكَ طِفـــلٌ ، يَهِيــمُ بالحَلــواءِ

أفَمـــا مارسُوا الكَهانَـــةَ من قَبــــلُ ، وعـاشوا من بعدِهـا للحِــوَاءِ؟ [٤]

أفمـــا شَيَّـــدوا الهياكـــلَ للأر بابِ من عِلْيــةٍ ومـــن أُمـــراءِ ؟

فَلْتكـــن أنتَ للمهـــازِلِ ، طُغْــرا ءَ يُوارِي المهـــازلَ – العرجـــاءِ [٥]

لِتَكـــن ما يشاءُ ذيـــلُكَ والقَــــرنُ إلَهــاً حقّـــاً .. بغيــــرِ مِراءِ [٦]

لستَ إلّا عِجــلاً تَردَّدَ في الغَيْـــطِ ، وشيئـــاً مِن أَتفَـــهِ الأشيـــاءِ

لستَ إلّا أسطــورةً في الأساطيـــرِ ، أضلَّت سذاجــةَ البُسَطـــاءِ

---

(١) العنقاء : طائر وهمي لا وجود له .

(٢) الغرثى : جمع غَرْثان وهو الجائع ، خميص البطن ، أصاخ له : استمع .

(٣) الخَطْب : الأمر الشديد ، المصيبة .

(٤) الحِواء : اللعب بالأفاعي ، وتعني كذلك الشعوذة .

(٥) الطّغراء : الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائل ، وأصل الكلمة تَتريّ .

(٦) المِراء : الجدال .

سيكُــرُّ الزَّمــانُ يومــاً فَيَطويــ........ـهـا ، ويَهـوي بِرَهطها السُّخفـاءِ

غفلةُ الدَّهـرِ يا أبـيسُ ! أتـاحت لكَ دَوْرَ الظّهـورِ بعـد الخفـاءِ

لم تكـن في القطيـعِ صاحبَ شأنٍ يُرتَضَى بين أسوَأِ القُرنـاءِ

إنَّمـا كنتَ يا أبيسُ ، ومـا زلـ........ـتَ ، عقابـاً لِنَـزوَةِ الأكفـاءِ

خَسِئَ الـواهمونَ ، ما أنتَ فيـه غيـرَ رمـزٍ لشدَّة الـلأَّواءِ[1]

يا نذيـرَ الخرابِ ! نَكَّـلتَ بالأحـ........ـرارِ ، من أهلِـه بغيـرِ اتِّقـاءِ

وَهُمُـو أجـلسوك في مجلس القـا........ئِدِ يُلقِـي الآمالَ رُكـنَ التجـاءِ

فإذا أنتَ أَغْدرُ النّـاسِ بالصَّحـ........ـبِ ، وأوفَـى لِفطـرَةِ اللُّؤمـاءِ

غِلتَهم ، وانطَلقتَ ، وحدَك ، في النِّيـ........ـلِ ، فَحِيحاً ، كالحَيَّـة الرَّقطـاءِ[2]

تنفثُ السُّمَّ حيثُ رُحتَ ، حريقاً ، في دمـاءِ الـجِيرانِ والأقربـاءِ

وتألَّـهتَ ، واعتلَـيتَ مكانـاً في أمـانِ الحَرَّاسِ والرُّقبـاءِ

الرَّعايـا أمـامَ هيكَـلِكَ الـرَّا........ئِعِ سَكـرَى الإذعـانِ والضَّوضاءِ

إيـهِ يا عِجلُ ! إنَّمـا كنتَ دلْـواً حَرَّكتْـهُ الأقدارُ بيْـنَ الـدِّلاءِ

فدَعِ الماءَ من حوَافِـيكَ ينصَبّ........ومِـن قَعـرِكَ العَديـمِ الغَنـاءِ

لا لصَوْنٍ ، ولا لِعَـوْنٍ ، تُرَجَّـى بَل لِلَغْـوِ ، يا سَيِّـدَ الفُصحـاءِ![3]

إن يَطُل ليـلُكِ المؤرِّقُ ، يا عَيْـ........ـنُ ، فَشِيمـي مَصارعَ الشُّهـداءِ[4]

أو يَطُلْ صبرُكَ الممزَّقُ ، يا قلـ........ـبُ ، تَرَقَّب نهايـةَ البُلَهـاءِ

* * *

---

(١) اللأواء : ضيق المعيشة .

(٢) غال : يغول غَوْلاً وغِيلة : أخذه على حين غِرّة فأهلكه . الفحيح : صوت الأفعى .

(٣) اللّغو : الكلام الهذر الذي لا طائل وراءه .

(٤) شامَ : يشيم البرق والسحاب إذا نظر إليه يتحقق أين يكون مطره .

قَلَمِي ! قد ركبتُ صَهوتَكَ اليَو...... مَ فعَرِّج بساكني الدَّهناءِ [(١)]
أَطلِقِ الصَّوتَ في مُروءاتِ أهليـ ـها ، تُحَرِّكْ كوامنَ البَيْداءِ
فلقد أذَّنَ الصَّباحُ ودَوَّت صرخةُ الثأرِ من أعالي حِراءِ
صرخةُ الحقِّ والعدالةِ والإيـ ...... ـمانِ والنَّصرِ والهُدى والفِداءِ
رقصَت رايةُ « العُقاب » عليها في نَشيدٍ يَحدو خُطى « القَصْواءِ » [(٢)]
إنَّه دربُنا القديمُ جِهاداً نَبَوِيَّ المِعراجِ والإسراءِ

* * *

قَلَمِي ! قد ركبتُ صهوَتَكَ اليو...... مَ ، فَخُضْ رِحلَةَ السَّنى والسَّناءِ
وأَرِحْ سَرجَها على شاطِئِ النِّيـ ...... ـلِ ، تُحَرِّرْهُ من قيودِ التِّواءِ [(٣)]
فلقد صَوَّحَتْ زهورُ مغانيـ ...... ـهِ ، وغَصَّت طيورُه بالغِناءِ
ولقد جانبَ النسيمُ مساريـ ...... ـهِ ، فِراراً من رِيحه النَّكباءِ
قَلَمِي ! لم تَزَل لمجدِكَ أهلاً في دواعي النُّهوضِ بالأعباءِ
لم تَزَل في مآزِقِ الضَّنكِ سيفاً صارمَ الحَدِّ يَعرُبِيَّ المَضاءِ
لم تَزَل حامِلَ اللِّواءِ وداعي عِرقِهِ الحَيّ في أبي الزّهراءِ
قَلَمِي ! إنْ بلَغتَ غايتَك اليَو...... مَ ، فَأَقبِل إلى الكؤوسِ المِلاءِ
من حُمَيّا الجهادِ في نُصرَةِ اللَّـ ...... ـهِ ، تَرَدَّى به نُسُورُ الجِواءِ [(٤)]

---

(١) عَرَّج بالشيء : نزل به . الدَّهناء : الفلاة ، وهي صحراء في وسط المملكة العربية السعودية .
(٢) العُقاب : اسم راية النبي ﷺ . القصواء : اسم ناقة للنبي ﷺ .
(٣) التّواء : سمة في الفخذ والعنق .
(٤) الجِواء : جمع جوّ . ويجمع على أجواء كذلك .

وَارو عَنّا حديثَ عَمرٍو إلى النِّيـــــلِ وعهــدَ الرُّعــاةِ والخُلَفــاءِ [1]

قصَّةٌ نَوَّرت ، وقـادَت ، وشادَت ، وارتَــقَت شأوهــا بلا استعــلاءِ

ما استَبَدَّت ، ولا تحدَّت ، ولكـن مَهَّــدَت للهُــدى بغير اجتــراءِ

قلمِي ! إنْ بلَغتَ غايــتَك اليــــوم ، فحــاذِر ضَلالــةَ الأدعيــاءِ

قَلَمِي ! عشتَ كوكباً يرسلُ النُّـــورَ ، ويُعْلِــي هدايــةَ الأنبيــاءِ

* * *

يا حنايــا أمِّ القُــرى ! فيكِ قَرَّت مُهَجٌ ، ما انطــوَت على شَحنــاءِ [2]

بَيْــدَ أنَّ الأذى ، وعدوانَــه السَّـــدِرَ ، قد أجَّجَــا لَهــيبَ العِــداءِ

فَليكـــنْ وِزرُهُ على رأسِ جانيـــــهِ هَجيراً يَلـــــوبُ في رَمضاءِ

قد بَلَغْنــا بالصَّمت آخِــرَ حَدَّيـــهِ لِيــاذاً بشِيمـــةِ الكُرَمـــاءِ

وصَبَرنـا ... وقـد صَبرنــا طويـلاً لتَحــدّي السَّفَــاهِ والبَــغضاءِ [3]

فانطلَقنــا إلى الحفيظــةِ لا نَلـــــوي على العــاذِلين والنُّصَحــاءِ [4]

لا نَهابُ الــرَّدى فمــا زال مَسرانا ومَسرى أجدادِنــا القدمــاءِ

فلتَـــهُبَّ الرِّيــاحُ من كلِّ صوبٍ فَهْــي من تحتِنــا ثُغــاء الشَّاءِ

وَلْتَـدُقَّ الأخطــارُ شرقــاً وغربــاً فَهْــي منّــا ليست من الدُّخــلاءِ [5]

---

(١) الرّعاة : ربما يرمز لحكام مصر القدماء « الهكسوس » ويعرفون بـ « الملوك الرعاة » . وقد حكموا مصر من عام ١٧٨٦ إلى حوالي العام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، وكانت عاصمتهم « أفاريس » في دلتا النيل الشرقية .

(٢) أم القرى: اسم من أسماء مكة المكرمة .

(٣) السَّفاه : الحمق والطيش .

(٤) الحفيظة : الغضب والحميَّة والدفاع عن العِرض .

(٥) دَفَّ : أصلها دفّ الطائر بجناحيه إذا ضرب جنبيه بجناحيه أو حركهما ورجلاه على الأرض ، وهي هنا بمعنى الإقدام والهجوم .

نحن خُطَّابُها على السَّهلِ والوَعــــــــرِ ، وركّابُهـــا على الدَّأمـــاءِ [1]

وبأثوابِنـــا غُبـــارُ مَراميــــــــــهَـا ، بَدِيـلَ الألقـابِ والأسماءِ

* * *

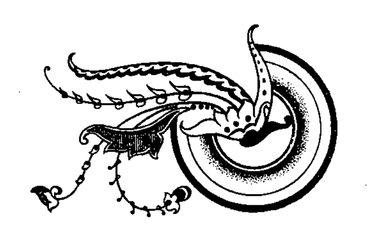
قَلَمـــي ! أنتَ للطّلائـــع حَادٍ للسَّرايـا من لَعْلَـــعٍ وقُبَـــاءِ [2]

لَكَأنّــي بفَجـــرِ يومِكَ في الآ ـــفاقِ يَمحـــو الظَّـــلامَ بالأضواءِ

وكأنّي بالبيتِ والرُّكــنِ والقَبـــــرِ مَنـــاراً للسِّدْرة العَصمـــاءِ [3]

* * *

رُبَّ طاغٍ عَتـــا ، فساءَ مَصيراً حيثما ازدادَ وَهمُـــهُ في النَّجـــاءِ



(١) الدأماء : البحر .

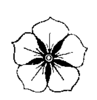
(٢) لَعْلَع : جبل في أطراف المدينة المنورة .

(٣) البيت : رمز للبيت الحرام في مكة المكرمة . الركن : رمز للركن اليماني في الكعبة المشرفة أو ركن الحطيم في الكعبة المشرفة وهو مقام إسماعيل عليه السلام . والقبر : رمز لقبر الرسول ﷺ في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . السِّدْرة : رمز لسدرة المنتهى وهي الشجرة في الجنة تحدث عنها القرآن الكريم .



هذا العيد

هذا هِلالُ العيدِ أَشرَقَ ، فاغتَبِطْ — والبَسْ لِمَقدَمِهِ السَّعيدِ جديدا
واخلعْ قديمَك للقديمِ .. تَلُفُّه — فيه يدٌ تَطوي الطَّريفَ تليدا
وانهَبْ من اللَّذاتِ قبلَ فَواتِها — ما تَستردُّ به الحياةَ وليدا
أرسِل لفارِهةِ الشَّبابِ لِجامَها — فَغداً سيُعقِبُك المَشيبُ قُيودا
دعها تَرِدْ عذبَ المواردِ قبلَ أن — تَبغي الوُرودَ ، فلا تُطيقُ ورودا
اليومَ تمنَحُك الحِسانُ خدودَها — وغداً ستُصليكَ الحِسانُ صُدودا
اليومَ ، زَيْنُ الصَّحبِ أنتَ ، وشُغلُهم ، — وغداً تَدِبُّ على عصاك وحيدا
اليومَ دنيا القادرين ... فإن مَضَت — هيهاتَ ، لو ناديتَها .. فتعودا
طِرْ في حدائِقِها ، وَمُصَّ رحيقَها — واحمَد ورودَك إن رشَفتَ ورودا
وانصِب شِراكَكَ ، وارمِ سهمَك صائباً — واقرَع قَريعَك في النِّضالِ جَلودا
فاليومَ تُعطيكَ الحياةُ وَقودَها — وغداً ستصنَعُك الحياةُ وَقودا !!





بين الكهولة والصّبا

شَقِيتُ بها بين الكُهولـةِ والصِّبـا مآربَ ، لَمَّـا أَقضِ منهنَّ مَأرَبـا[1]

تقاضَيْتُها عهدَ الهَوى ، وقَدِ انطوى وما زلتُ أرجو فَجرَهـا مترقِّبـا

يَهيمُ خَيـالي في ذَراهـا مُجَنَّحـاً فَيهوِي جريحاً في ثَراهـا مُخَضَّبـا

أرى مسرَحَ الآمالِ أصفرَ خاوِيـاً وقـد كان مخضَرَّ الجوانبِ مُعشِبـا

أَلُـمُّ جِراحَ القلبِ فيه على الأَسَى مصيراً ، عَداهُ الكِبْـرُ أن يَتعتّبـا

يَنـوءُ بها صَبري خيـالاً معذَّبـاً وتَـمضِي به الأيّـامُ سِرّاً مُغَيَّبـا

وحتّامَ ؟ لا أدري ، ولكنَّها خُطى يواصِلُها المكفوفُ ، أذعَنَ ، أم أبى

مضى قَدَرُ السّاعي إلى غيرِ غايـةٍ بهِ ، وكَفَـاهُ الجهـلُ أن يَتَهَيّبـا

نخوضُ وحولَ العَيشِ عَبر حَضيضَةٍ ونَحلُم بالإزهـارِ نضراً على الرُّبَـى

خيالٌ أجادَ الوَهـمُ نَسجَ خيوطِـهِ شَقِينا بما أُزجَـى إلينـا وأُعقَبـا

أراني شريـداً ، أنكرَتـه بِلادُهُ فشرَّقَ مسلوبَ القـرارِ ، وغَرَّبـا

وناضلَ ، يستبقِي الرَّجاءَ ، فلم يَجِدْ عدا اليأسِ نهجاً ، والمعاطبِ مَركبا

خبا نَجمُها الوضّاءُ ، أحلامَ ضاربٍ على ظُلماتِ العيشِ ، لم يَلقَ مَذهَبا

تحامَلَ فيها ، يَخبِطُ الوعرَ سارياً إلى الحقِّ ، لا يُبدِي له الوَعرُ كوكبا

وكيف ؟ وما في العُمرِ للجهدِ فَضلةٌ أُفَجِّرُ فجراً ، أو أُزَحزِحُ غَيهَبـا ؟

---

(١) المأرب : الحاجة والغرض .

صِراعٌ ، أضاعَ العمرُ فيه شبابَــهُ   تَكَشَّفَ عن هَوْلِ النِّهايــةِ مُرعِبــا

أأَنكُصُ ؟؟ لا .. حتَّى أُضرَّجَ مُمسِكاً   بسيفِ اعتقادِي ، ما بَقيتُ ، وإنْ نَبا

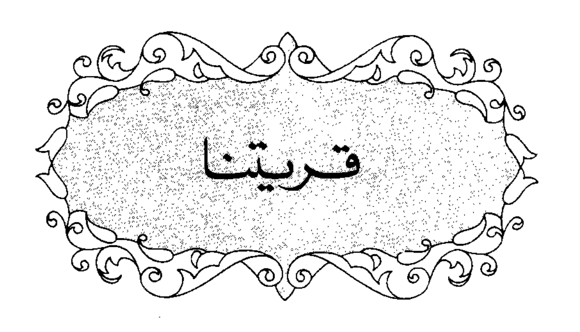
فمــا أنــا إلّا ما أَهيــمُ بِحُبِّـــهِ   من المُثُلِ العُليا ، جهاداً ومَطلبا

سمَوتُ بنفسي أن يهونَ حَياؤُهــا   فَيسحرَهــا بَرقُ المطامـــع خُلَّبــا

رضِيتُ لها ضَنكَ الحيـاةِ ، وَرُضتُها   عليــه ، فأَلِفَتْــهُ عذابــاً محَبَّبــا

رفيقانِ ، قد عاشا على خيرِ صحبةٍ   تُحوِّلُ جَدبَ العيشِ رَيّانَ مُخصِبا





قريتنا

قَرْيتُنا تَفِـيضُ بالسَّمـاحْ | تَغرَقُ في التَّقوى وفي الصَّلاحْ
لم تَغـزُ قَطُّ رملَها الرِّيـاح | ولا انْطوَى في بحرِها مَلّاح
قد نَسِيتْ كلابُها النُّبـاح | ومَعْزُها لا يَعرِفُ النِّطاح
وليلُها الوديـعُ كالصَّبّـاح | ظِلٌّ ظليـلٌ وهَـوىً مُتـاح
يجُوبُها السَّارِي بلا سِلاح | فما لِبَـابٍ دونَها مِفتـاح
حياتُها صَبرٌ على الجِراح | وعِلْمُها يَستنكرُ الجِمـاح
تَلوذُ فيها الشَّمسُ بالبِطاح | تَسأَلُ عن قطيعِهِ المُـرَاح
حتى تَراهُ مطلَـقَ السَّراح | كعهـدِهِ منـذُ غدا وراح
في قريـةٍ مَهـيضَةِ الجنـاح | تَمـرَحُ في أَديمِها الأشباح
محرومةٍ حتّى من النَّـواح | لأنَّها لا تعرفُ الكِفـاح





قلانس

لِلّهِ كم تُخفِي المَلابس ما في الضَّمائرِ من خَسائِس
الحَيُّ صائِدُ خُلْسَةٍ سِيَّانِ مُفْتَرٌّ وعابِس[1]

* * *

أَفَتَدَّعِي حُبَّ الحِسانِ ، وَلستَ بالرَّجلِ المُؤانِس ؟
لولا تَراؤُكَ لم تَجِدْ لَكَ خُلَّةً بين الأَوانس[2]
إنْ عُدَّ غيرُكَ في البُغاثِ ، فأنتَ من سَقَط الخَنافِس[3]

* * *

أَتُرى الذي اغتالَ الفَرائِسَ ، راعَهُ دَمعُ الفرائس ؟
تَعِسَ الغَنِيُّ بمالِهِ يَشتارُ من دَمِ أَلفِ بائس

* * *

ما لِلَّذي استَصفَى الغَنيمَةَ لا يَعِفُّ عن النَّفائِس ؟
لم يُبقِ من ماضي المُروءَةِ غيرَ أطلالٍ دَوارِس

* * *

(١) الخُلْسَة : الفُرْصة .
(٢) الخُلّة : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله : أي في باطنه .
(٣) البُغَاث : طائر مبَقّع اللون ، بطيء الطيران .

قد وَثَّقَ الـجَشِعُ الأثيـــ.........ـمُ عَلاقَــةً بين الفــوارس
قلنــا تَضافــرَتِ القلـــو.........بُ ، فَهالَنا مَوْجُ الدَّسائس
وارَحمَـــــةً للناعِميــــــ.........ـنَ ، أَمَضَّهُمْ لِينُ الطَّنافِس

* * *

ماذا وراءَ الأُفْقِ يا.........دُنْيــا ! فإنَّ اللَّيــلَ دامِس ؟
ذكَرُوا العَدالــةَ لاهِجيـــ.........ـنَ على المنابرِ والمَجالس
أَمِــنَ العَدالـــةِ أن تَرَى في أَلْفِ عَارٍ نصفَ لابِس ؟

* * *

أُطلــقتُ آمــالي فَعُـــ.........ـدْنَ إلَيَّ بَعْـدَ وَجىً خَوانِس[1]
مالِـــي وللــقصر المَشِيـــ.........ـدِ ، يَصُدُّني سُورٌ وَحارِس ؟

* * *

قالـوا : استــراح أبــو فلا.........نٍ ، قلتُ : من أُمل العَوانس
وأَجَـــــدَّ لي فَوْتُ الحرا.........مِ قَناعةً ، تَئِدُ الـوساوس

* * *

صاحَ البشيـــرُ : رأيتُ نُو.........رَ الفجر يَختـرقُ الحَنـادس
فتــــواثَبَ المُتَــــرَبّصو.........نَ ، وأُحكموا وَضْعَ القَلانِس
وأَدَرتُ من ثَوبِـــي عَلَـــيَّ.........وقـــلتُ : إنَّ البردَ قارِس

* * *

(١) الوجى : رقة القدم من كثرة المشي . خوانس : جمع خانس ، المتخلف ، المتواري .

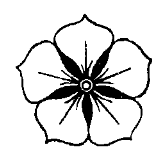
أَلْـــزَمتُ نفسي بالكَمـــــا.........لِ ، فكان وَهْماً ما أُمارِس
كَم راعنـــي قَرنُ السِّيـــا..........سَةِ للمَساجِدِ بالكنـــائِس

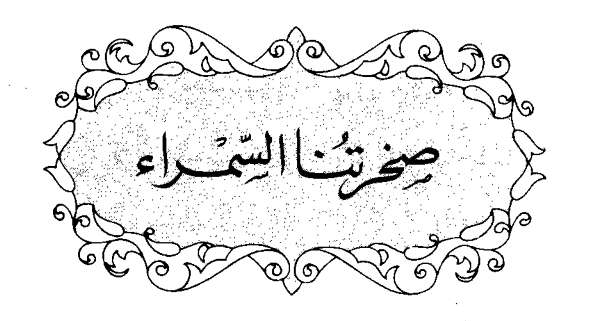
* * *

نادَى الفَقيــهُ : أَلَـيسَ في شَرَفِ الشَّهادَةِ من مُنافِس ؟
فأجابَــهُ رَجْـــعُ الصَّدَى : خَمَدَتْ بِرَهطِك نارُ فارِس
ما ثَمَّ بيـــنَ بَنـــي أبيـــــــ...........ـكَ لِشِرعَـةِ الأَجدادِ دَارِس

* * *

ليتَ الـــذي خافَ العَـــوا.........قِبَ لم يُطِع تلك الهَواجِس
ومضَى لِغايتــــــــــهِ على سُنَنِ الجَـوارِحِ والأطـابس
راجـــعتُ تاريـــخَ الحَيـــا.........ةِ ، فما قَرأتُ سِوى الفهارس





صخرتنا السمراء

مَالِـي أَتحامَـلُ مكفـوفَ الخُطـوات

وأَرودُ بِنظـراتي آمـاداً

لا تَقطَعُهـا النَّظـرات

مالي أَتطَلَّعُ حَولي .. في صمتٍ وَغباء ؟

وأُحدِّق في قَطراتِ دمي ..

صبحـاً ومساء

أأَنا في هذا الوَعر المخضوبِ بها حَجَرٌ مُلقى ؟

حَجَرٌ لا يَنطقُ .. لا يَصرَخُ .. لا يَنشُد حَقّا ؟

ماذا أُدرِك من أمري ؟ هل أُدرِك منه شيئا ؟

حتّـى الذِّكـرَى ؟

ذكرَى ماضيَّ الغارِقِ في

مَأْساةِ مصيري سِرّا

مالي لا أَدعو اللَّيلَ ؟

رفيقَ صباي

وخِـدْنَ شَبـابي ؟

أَتُـراه جريحاً مِثلي ..

مُلقى .. يَلتزمُ الصَّمتَ حزيناً لِمُصابِـي ؟

والعجـــزُ يَصُدّ خُطَـــاهُ

عن خَوضِ التّيهِ المترامـي

* * *

يا ليـلُ ! كلانـا في قَيـد

من واقِعِـــه الجبّـــار

عَبَثاً نَرتادُ طريقَ الصَّمت

ونَستــجِلي الألغـــاز

أنخوضُ البحرَ بغيرِ شِراع ؟

أو نقطعُ هذا التِّيهَ بلا أقدام ؟

كلّا يا ليـــــــلُ !

« وكـلّا » جرحٌ آخــر

جرحٌ أكبرُ من كلِّ جراحِك وجراحِــي

* * *

اِزحَـفْ يا ليـلُ إلـــيّ !

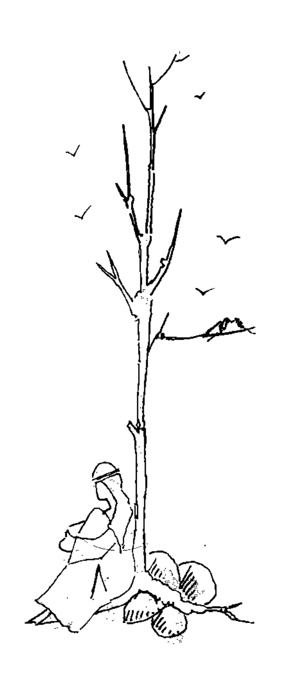
فأنا أَزحفُ يا ليلُ إليك !

والموعدُ صخرَتُنا السَّمراء

حيثُ الماضي

أَلقَـــى بعصاهُ ونَـــاء

سنكـونُ هنـاكَ حيثُ الذِّكـرى لم تَبـــرَحْ
ثَمَّ بَصِيصُ ضِيـــــــــاء
وكـلُّ بعيـــدٍ يَدنُـــو ..
ما ظَلَّ الفجـرُ يُطيـفُ بصخرتِنـا السَّمـراء
وجراحِي وجراحُك يا ليلُ
ستَغـرِسُ فيها ألـــفَ لِواء





التاريخ .. بلغة الأساطير

(١)

قَبـرٌ .. وقُبـور ..

قبرٌ يَتحرَّك .. يتكلَّم ..

ويقـولُ : أنـــا ..

مصنَعُ دِيدان .. لا تُحصَى .. عُلْيا

قبرٌ يتألَّم .. أحيانا !

أَلَمَ الأحياءِ .. الدُّنيا !

فيـــهِ الإحساسُ .

بغيـــرِ شُعـــور .

* * *

(٢)

وقبورٌ .. ساكِنَةٌ .. صامِتَـة

في ظلمَتِهـا .. مَنْسِيَّــة ..

لم يَسقُطْ في عيـد ،

من أعيادِ الطُّوفان ، عليها

خيـــطٌ من نور ..

من نورِ الذِّكــــــرَى
نثراً .. أو شِعـــــــرا
هي ماضٍ مُخْضَلّ
بِدَمِ الإيمان .. المُنْهَـــلّ
على جَنَباتِ البركانِ الخامِد
لم تَلقَ حَواَليـهِ الديـدانُ
مجالَ بقـــــــاء .
ماضٍ ناضلَ فيه الجرحُ ، طويلا
كي يبقَى جرحاً .. لا يُشفَى ..
لا يُنسى .. لا يَهـدَأُ .. أبـدا
ماضٍ .. مطــوِيٌّ . مجهــول
مذأصبحَ تاريخاً .. تَجهَلُه الدِّيدان!!
يَنـــــــــبُضُ بالآلام
ويسبَحُ في ألغازِ الإلهام
ويَطفَحُ بالآمال .. وبالأحلام
ويغرقُ في صَمتِ الإبهام ..
وفي الأشواق .. الكُبرى
الثائـــرةِ .. الناريّـــــة
ماضٍ خالـــــــد ..
في صُوَرٍ دامِيَــــــــة

لم يَخـفِضْ فيها الكِبْـرُ العمــلاق

جبينــاً للطُّوفـــان

لم يخلَـع أثــوابَ حِدَادِ الـــدَّار

لِيلـــعبَ بالقيثـــار

ويرقُصَ فوقَ المسرحِ ، للجبروت

على أحجـار السَّدّ ..

في أعيادٍ .. قَتَلتْ أعيادَ البركانِ .. المطمور

تلك الصُّوَرَ الوضَّاءة ..

الصُّوَرَ .. الآيات .. التــاريخ ..

آلـــى أن يَطمِسَهـــا . المارِد

لَمَّـــا أعجـــزَتِ الطُّوفـــان

فارتـــــاع بها ..

بثَبـــاتِ الأُطرِ المنحُوتَـــــة

من صخرٍ .. صُلْب ..

مقالِعُــــه جَنَبَـــاتُ الآل ..

وحِراءٌ ، وثَبِيرٌ .. وأُحُد .

وارتـــــاعَ بأنَّ لها

في كل بُيــــــوتِ الحيّ ،

ظلالاً .. صُوَراً .. أخـــرى ،

أكثر مما قَدَّر .

تحفَظُها الجُدرانُ السُّود .. البُكْم .

شاراتِ حِداد .. تَنشُرُهـــا .

في أعيــادِ الطُّوفـــان

لئـلا ينسَى الأطفــال

قبــورَ المَوْتَـــى ،

وجراحَ السَّدّ .. الأسطورةِ ..

المستشهِـدِ في يومِ الطُّوفَـان ..

* * *

(٣)

القبرُ .. الطِّفـلُ .. المُتَرَعْـرِع

في ظِلِّ المارد !

القبــرُ المَصنَـــع !

يقـــذِفُ بالدِّيــــدان

ألوفـــاً .. لا تُحصَى

يقذِفُ .. يُنتِجُ .. لا يَخشى الموتى

أمـا الأحيـاءُ .. فلا أَقـدامَ لهم

إلا أحـــداقَ عيـــون

كانت تُبصِــــــر ..

أعماهـا .. الدَّمــع .

وازدحـم الحيّ .. ومـــاج ..

بِشَيْءٍ .. لا يُحْصَر ..
شيءٍ .. كغُثَاءِ السَّيـل .

* * *

(٤)

وبـــدا للمـــارِدِ رَأْيٌ
في الصُّوَر .. الشَّارات .
شاراتِ حِدادِ الحَيِّ .. الحَيّ ..
عدُوٍّ الأحيـــــــاء
صديقِالأمواتِ..الشُّهداءِ..الأوغاد .
فدعـا أطفـالَ القبـرِ .. المصنَــع !
في ساحتِــه الــكبرى .
عنـــد المنبَـــــع !
وانتصبَ .. خطيباً .. قائدَ حرب
صالَ .. وجالَ .. فأَسمَع .
ضدَّ الشاراتِ السُّود .
والصُّوَرَ المنحوتَــةَ من صخـــرِ
جبـــالِ الصَّبر .
ضدَّ الأُسطــــورة ..
ضدَّ جراح السَّدّ
ضدَّ قبورٍ ساكنة .. في ظُلمَتِها مَنسِيَّة

حولَ البركانِ الخامــد

* * *

(٥)

وانطَلَقَت أولُ ذِكرى

أحجــاراً .. وترابــا

وسيوفاً خشبيَّــة ..

وخيولاً .. من لُعَبِ الأطفال

ولَغْوَ صغــارٍ .. وسِبابــا

مَرْحَى .. يا أولَ ذِكرى ..

من قبرٍ حيٍّ .. يتحرّكُ .. يتكلم .

ويقــولُ : أنــا ..

لقبورٍ ساكنَة .. صامِتَــة .

لم يسقُــطْ من قبــلُ عليها

خيــطٌ من نور ..

من نور الذِّكــرى

نثراً .. أو شِعــرا

* * *

(٦)

وابتسم الجُــرح ..

وظلَّ ينــاضِل .. في صَمْت

أياماً .. أجيـــالاً أخـــرى ..

كى يصنعَ عقــــلا .

بِرَمــــادِ البركانِ .. البــــارد .

يَستَنــبِتُ فيــه أقدامـــــا ..

بَدَلَ الأحــــــــداق

وكـي يبقـى جُرحـــا

جرحاً .. لا يُشفَى .

لا يُنسَى ..

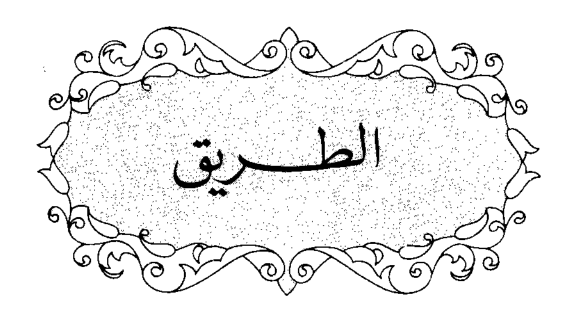
لا يَهـدَأ .. أبــدا ..

جرحاً .. يخشاه المارِد والطُّوفان .

وتجهلُه .. الدّيدان .. الصّبيان ..

★ ★ ★

١٩٥٩/١٢/٢٥ م



الطـريق

أَتَقــولُ : قد طالَ الطَّريــق ؟
نَعَـمْ : لقــد طالَ الطَّريــــق
وأيُّ شيءٍ لم يَطُـــــــــلْ
في رحلةٍ بدأتْ ، ولم تَجِدِ الخِتام ؟
الوَعـرُ .. والوَعثـاءُ .. والظَّلْمـاءُ
والأمـــلُ البعيــد
والذّكرياتُ مضى بها
عَبْرَ الفضاءِ إلى الظلام
مدًى سحيـــــق
والأينُ .. والعَثَراتُ
والزّمـــنُ العنيـــد
نَعَم .. وسخريةُ النُّجــوم بنــا
بأحـــلامِ العبيـــد
تَخُـوضُ معركـــةَ الظَّــــلام
إلى سَنَـــى الفجـــرِ الجديــــد
قلْ يا صديــــقُ

ألا تَرى في حُلْمِكَ الفجرَ الجديد ؟

أَفَــلا تُنــاضلُ يا شريــــدُ

لكـــــي تَراه ؟

أفــلستَ تَزرعُ في خيــالِك

عن هَواهُ .. وعــــن رُؤاه

وفي رُبــاهُ ألــفَ عيــد ؟

ولا تقــلْ طالَ الطريــق

فلــن يقصِّــره الكـــلام

واحمِــلْ على قَدَمَــيك

واقتحِمِ الهجيرَ .. وليس فيه ما يُجِير

سوى العَــذاب

خلالَ معركةِ السَّراب . وقلْ مِعي :

طُلْ يا عذاب !

وأيُّ شيءٍ لم يَطُــــــلْ

في رحلةِ الآمالِ .. والأحــلام

منــــذ حدا الشَّبـــاب

هُيامَــه بِرُؤَى الشَّبـــاب ؟

ما لِلرَّفيـــق يَئِـــنّ .. ؟

يَزفِــــر كالغَريـــــق ؟

ويَميلُ عن نَهج الطَّريق ... ؟

أتموتُ قِصَّتُنـــا هنـــا

عنـــدَ المَضيـــق ؟

أتموتُ أيــامُ الكفــاح ؟

وتَضيعُ أصداءُ الجراح ؟

والأُفْقُ بشَّر بالصَّبــاح ؟

أتَطِيحُ راياتُ الجهاد ؟

ويختفي حُلُمُ المَعــاد ؟

الواحةُ الخضراءُ ، ها هِيْ والصَّباح

يُضِيءُ مثلَ دمِ الشَّهيد

والجثَّةُ الملقاةُ في دَمِهــا

على ذاتِ الطَّريـــــق

وَإذَنْ ، فقط ، سَقَط الرَّفيق

وسمعتُ وَلْولَـةَ الرِّيــاح

تَزِفُّ قافلــةَ الهَـــجِير

ورأيتُ قافلــةَ الهَــجِير

تخوضُ معركـــةَ السَّراب

فعــرفتُ أنَّ الواحـــةَ الخضراء

من وَحــي العَـــذاب

ووجدتُنِي أرمي الطَّريقَ

بنظـــرتي البَلهـــاء

ماتَ على جوانِبِهـــــا سُؤال

أيـــنَ الرَّفيـــق ؟

وسمعتُ قهقهِـــةَ الطّريـــق

تَشُقُّ أجـــوازَ الـــــفضاء

وتُهيبُ بي :

ها أنتَ وحدَك في الطَّريـــق

وعلـــيكَ وحــــدَك أن تسير

إلى النهايةِ مُغــمَضَ العينيـــنِ

تَهتِـــفُ باللّـــواءِ وبالشّعـــار

وبـــدا السُّكـــونُ

كأنَّمـــا هو قصَّةٌ أخــــرى

تَطـــولُ بلا خِتـــام

وكأنَّما هو جثَّةٌ .. سَقَطت

على ذاتِ الطَّريـــــــــق

سأسيرُ وحدِي بالطَّريـــق ..

وحــــــــدي ؟

نَعَم وحدي .. فَهِـــمتُ ..

وكان حتمـــــــاً أن أسير

وأن أُجَـــدِّف للفَــــراغ

لِهُوَّةِ العُمْرِ الممزَّق .. للمَصير

وهناك .. حيثُ الواحةُ الخضراءُ ..

والفجـــرُ العتيـــــد ..

سأعـــيشُ مِلْءَ رؤايَ ..

آلافَ السِّنِين !!

بين المَلايين ، الذين مَضَوا

على ذاتِ الطّريـــــــق

مُخَلِّـــــفِين وراءَهـــــم

جُثَثَ الضَّحايا .. الأصدقاء

تَدُفُّ فوقهُـــمُ الرّيـــاح

الحالِمينَ بكـلِّ ما نَشدوه

من حريَّـة .. وسعـــادة

كان السلامُ لواءَها .. ونداءَها

وطريقُها .. هذا الطويـل

الأخـــرسُ .. القـــاسي

الـذي ابتلـع الرجـال ..

وفرَّقَ الأحلامَ .. والآمال

منطوياً على السرّ الرهيب ..

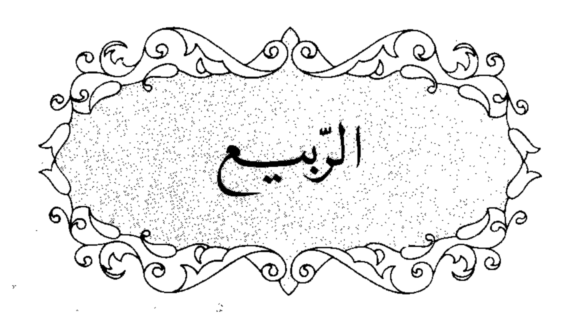
سرٍّ الغدِ المنشودِ .. والأملِ الكبير

حُلمي ، وحُلمِ الأصدقاءِ .. الأشقياء ..

الذاهبيـنَ على الطَّريـق ..

لا يَعرِفون سِواه، منذُ تحرَّكَتْ
أهدابُهـم بِسَنـى الحيـاة .
في مَعزِل عنها .. فقد كانت هناك
على الـدَّوام .. تُتابِــع السعـــداءَ
والـــــلّاهين عن مأساة
مَن وُلِدوا .. ومَن عاشوا
ومَن سَقطوا على ظَهر الطريق
سأسيــــــــرُ ملءَ قوايَ
مِلءَ اليأسِ .. من جَدوى التراجع .
والتوقّف .. والسّقوط ..
لا شيْءَ إلا أن أسيـــــرَ
وأن أشدَّ على اللِّـــــواء
يدي .. وأهتـفَ للشّعـار

★ ★ ★



الرّبيع

تَنَهَّدَ الرَّبيعُ مِلْءَ صدرِهِ
وأنَّتِ الجراح
فلفَّ بالصَّمتِ خفِيَّ سِرِّهِ
عن مُقلَةِ الصّباح
مناضلاً بروحِه عن كِبْرِه
مخضَّبَ الجَناح

* * *

الصَّبرُ يا ربيع !
شِيمةُ الكريم
والصَّمتُ يا ربيع !
شارةُ الحكيم
وأنتَ يا ربيع !
بالأسىٰ عظيم

* * *

ألا تَرى النّجوم

بسُهدِها تَرعاك ؟

والبدرَ كالمحموم

عطفاً على بَلواك ؟

والشَّمسَ في وُجوم

أسىً لِما أشجاك ؟

* * *

غداً تَلوحُ الشَّمس يا ربيع

ثَرّةَ الضِّياء

وتَسخَرُ الحقول بالصَّقيع

ساقطَ اللّواء

ويَستعيدُ أُفْقُكَ البديع

أَلَقَ الهناء

ويتلاشى الحُلُم المُريع

في فرحة اللّقاء

* * *

فارقُبْ حفيفَ الزَّهرِ في الغِيطان

إنَّه اكتشاف

بِغَدِك الواعد

وانظر رفيفَ النَّهرِ في الغُدران

إنّــه التِفَــاف

بِبـدنِكَ الصَّامـد

واسمَع عَزِيفَ الطَّيرِ في الوُديَان

إنَّــه هُتَـــاف

لمجدِك الصَّاعـــد

* * *

عرشُكَ في القلوب

بِساطُــه الحَنـــان

وتـاجُك الحبــيب

رابطــةُ الوُجــدان

وأنتَ يا ربيـــع

صانــعُ العـــروش

ومبــدِعُ التّيجــان

خالــدةَ السّلطــان

يا خالـــدَ الفتـــون

في الفنـــون

مُذْ وَدَّعَ الزَّمان

والمكـــان

فترةَ السُّكـون

فانطَلَقَ البيـان

وعَبَّر الكِيان

بقُدْرَة الفنّان

* * *

يا مُلهبَ الخيال

بالحَنينِ للكَمال

وفاتِحَ المَجال

للقلوبِ، كي تَهيمَ بالجَمال

وواهبَ الظّلال

فتنةَ الظّلال

* * *

يا مُوقِظَ الحياةِ في الحقول

من سُباتِها

ومُطْلِقَ الشُّعورِ في النُّفوس

تَجتَلِي ذواتِها

وباعثَ الرُّؤى تَرَقْرَقَ

الجمالُ في سماتِها

إليكَ من وِدادِنا

رسالةَ الإيمان

تَفيضُ من أكبادِنا

بأطهـــرِ الألحان

فأنتَ في جهادِنا

ذَخيرةُ الأمـــان

* * *

لا يُخلِفُ الرَّبيــعُ موعِــدَ الإيـــاب

ولا تُوارِي ضوءَه المأمولَ غَمرَةُ السَّحاب

ولـن تَطـولَ بالأمـاني وَحشةُ الغِيـــاب





ثمن الحرّية

أنـا حُـرٌّ .. أنـا حُـرٌّ

أنـا حُـرٌّ حقّـا ..

في بلدٍ حُرٍّ ، اِنتزعَ الحريَّة

بدَمِ الشُّهـداء ..

ونضالِ الأحياءِ الأَنضاء ..

بقايا المعركةِ الكبرى ..

تحت الأَعلامِ .. الخضراء ..

وتحت الأعلامِ .. الحمراء ..

وتحت مَزِيجٍ حُلْوٍ من ألوانٍ أُخرى

تَبقـى .. أو تتغَيَّـر .. وَفـقَ عزيمةِ

قُوَّادِي الأبطالِ .. الثُّوار .. الأُمناء ..

هي أعلامٌ .. آمنتُ بها إيماني .. بِوُجودي

وهتفتُ لها بِدَمي .. وبـأَعصابي ..

وبِفَـوْرةِ أشواقي .. وبـإيماني ..

وبكـلِّ كِيـاني ...

ووقفتُ أُدافِعُ عنها بشقائي في المَيدان ..

وبسُهدِي في الخنــدق ..
تحت النِّـــــيران ..
بزَهرةِ عُمرِي .. بأمانيِّ شبابــي ..
وبمن ماتوا .. من أهـلي .. وصِحَابي ..
قتلَى .. حَـولِي .. وأَمـامِي ..
وبمن ماتـوا منهم .. تحت الأنقاض ..
وفي أُطبـاقِ السِّجنِ .. على مَرِّ الأيـام
أعــلامٌ آمــنتُ بهـــا ..
وهتــفتُ أُدافـــع عنها ..
في مطلَع أيَّامي الأولـى ..
قبـل المعركـةِ الكـبرى ..
ضِدَّ الطُّغيــــــان ..
بعِثارِي في تيَّارِ الظُّلمة .. والإرهاب ..
بقلمــــــي .. بلساني ..
بسلاحِ الكِلْمةِ .. بالمبـدأِ .. بالأحـرار
حتَّى شَقَّ الجُهـدُ طريـقَ الفَجـر ..
وحتَّى شَقَّ الجُهـدُ طريـقَ النَّصـر ..
وحتَّى عُدتُ من المَيدانِ فخوراً بجراحي ..
وبأنّــــــي حُرٌّ ....
حُــرٌّ حَقّاً ... حقّــا ..
حتّى من ماضيَّ الضَّائع .. أحلاماً وشبابا ..

حتّـــى من بيتـــــي ..
فقد استُشهِد .. يوم استُشهِدَ أهلـي ..
خَـرَّ .. وخَـرُّوا تحتَ الأنقــاض ..
وصاروا منهــــــــــــا
وكذاك قبـورُ الشُّهـــداء ..
ذِكرى .. خالـدةٌ .. أكبرُ من كلِّ إطـار ..
ومضَيتُ أسابقُ أحــلامي ..
وأُعيــدُ نشيـدَ المَيـــدان ..

* * *

ومضتأيَّامُالعيدِ..سِراعاً..كَسِنِيِّحياتي..
وتحرَّك في نفسي شيءٌ يسأَلنـــــــي ..
مــــاذا بعـــــدُ .. ؟؟
وسمعتُ صَدَى صوتِي .. مبحوحـا ..
يلـهَثُ .. يتقطَّـــــع ..
أنـا حُـرٌّ .. أنـا حُرٌّ حقّـا ..
أَتثـاءَبُ .. أَتَسَــكَّـــع ..
أَمشـــي .. أَنظُــــر ..
أَضحــكُ .. أَبصُـــق ..
حيــث أَشَـــــاء ..
وأنـامُ .. ولكـن .. أيـنَ أنــام .. ؟؟؟

لا مَأوى .. غيرُ ظلالِ بيوتٍ لم تتهدَّم ..

يومَ تهـــدَّم بيتـــي ..

لكـنْ مالِـي والبيت .. ؟؟

فهـا أنا حُـرٌّ .. حتَّى منـه ..

ومــــن أهلــــي ..

حُـرٌّ .. حتَّى من عملي ..

من لقمــةِ عَيشــــي ..

إنْ عَزَّ .. وقـــد عَزّ ..

طعامـــــــــي ..

وإذا كلمــاتُ نشيـــدِ المَيــدان ..

نشيـــدِ الحريَّـــة ..

تتحوَّلُ ألفاظاً أُخرى .. مُبهمَةَ المعنى ..؟

مثـــلَ وجـــودي ....

وإذا الأعـلامُ الخضــراء ..

وإذا الأعـلامُ الحمـــراء ..

تبـدو في الأفـقِ أمامـــي ..

خِرَقاً .. باليـةً .. باهتـة ..

كنشيــــــدي ....

لا أدري .. لا أفهـــم ..

لا أشعــــــــر ..

كيـف أنـــا حُـــرّ .. ؟؟

ما دمتُ بلا عمل .. وبلا مأوى ..

وبغيرِ طعام ... ؟؟

وهَمَستُ بهذا داخلَ نفسي ..

ثم قذفتُ به .. كبُصاقِ المسلول

فتأذّى النَّاسُ لأنّي

شَوَّهتُ جَمال الحُرِّيَّة ..

بخيالي المتسكِّعِ .. مِثلي ..

ورأيتُ عيونَ النَّاس ..

تقولُ .. اسكتْ ..

وتشيرُ إلى جنديٍّ يتقدمُ منَّا ..

جنديٍّ من حَرَس القانون ..

حرس الحريَّة .. مَنْ خاضوها ..

بالسَّمعِ .. وخاضوها بالطَّاعة ..

بعدَ المعركةِ الكبرى ..

معركةِ الخندق .. والمَيدان ..

معركةِ الحرّية ..

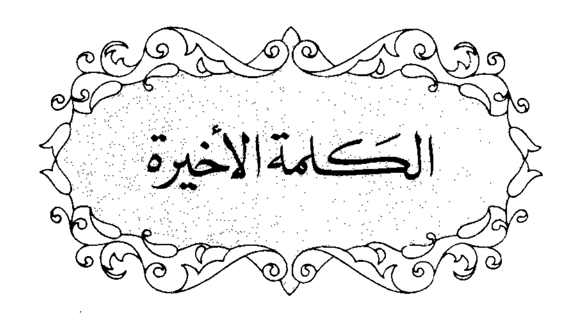
معركةِ شبابي .. وحياتي ..

معركةِ المأوى واللُّقمة ..

والخندقِ والظُّلمة ..

ونشيدُ المَيدان ..

معركةُ الألوان ....



كانتُ آمالي فيكِ
قيوداً تُثقِلُني .. وتَعوقُ خُطاي
وتَربِطُني بظَلامٍ ، لا أَعرفُ فيه مَسارِي
كانت مجهولاً أبديّا .. يَحفِلُ بالألغاز
وتَخَلّى عنّي إدراكي .. لحقيقةِ شيءٍ منها
فَمضيتُ أَسير .. أَسيرُ إلى غيرِ نهاية
وأسائِلُ نفسي . والحَيْرةُ تغمُرُها
وتُغَطّي بالعَثَراتِ طريقي :
أهنالِكَ غاية ؟
وبدا بينَ الظُّلمات .. خيالُكِ
يَخْفَى ويَلُوح .. كشارةِ ضوءٍ تُخفِيها
أمواجُ البحرِ ، يُحرّكُها التيّار
لا شيءَ .. لا شيءَ سوى . الحَيْرةِ والسَّير
وراءَ المجهولِ الأبديّ ..
لماذا كان الصَّمت
نصيبَ المتطلّع للكِلْمة .. للتّفسير ؟!

قد طالتْ مرحلةُ الإبهام
وكـرهتُ الصَّمت ..
واشتَـــــقتُ إلى كَسرِ قيـــــودي
لا أحلُـمُ بالحريَّـة .. فهــي رداءٌ برّاق
لا يَصلــح للتُّــعساء
لكنّــي أَنشُد أن أُلقـــيَ أعبـــائي
أعباءَشعوري بالغُربةِ، في دنياتقذِفُ كالبركان
حُمَماً تتلظَّى وتَفُور ..
وتطوِي في غيرِ مبالاةٍ .. أشواقاً عاش بها
ولها قلبُ الإنسان
يا سيّدتِــــــــي !
قد كان فُضولاً منّــي
أن أحملَ قلبـــــــــــي بين يَدَيّ
لِيسكبَ في أُذنـــيكِ حكايتَـــــه
في صُوَر يَنقصُهـــا الزُّخـــرف ..
لا يشفَع فيها غيرُ هَواه
بفاتنـــةٍ لا قلبَ لها
كلا يا سيّدتي .. لن تَجِديني بالباب ..
أُعيـــدُ الطَّرْقَـــة .
لأشكُـو منكِ إلـيك .

قد ودَّعتُكِ .. ومَضَيتُ

على دربي المعهـــود

أحدِّثُ دَوْحَ الغــاب

وأعــاتبُ أحلامـــي

وككلِّ غريبٍ في دنياه

أطالعُ مأساةَ حيــاتي

بثبــاتِ اليــائسِ

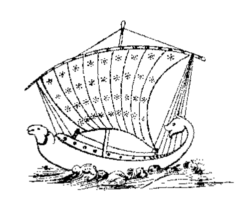
من جَدوى أيِّ نضال

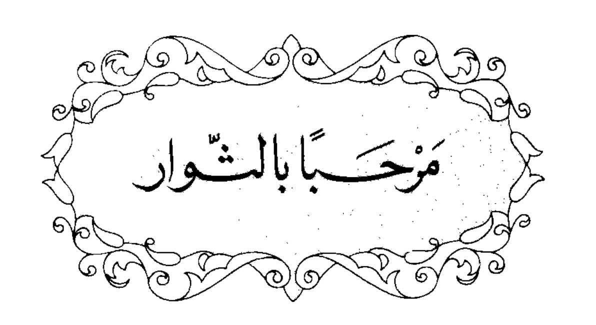
قد كانت لحظةَ وَهْـمٍ مَرَّت بحيــاتي

ومَـــــرَرتُ بها

وخَـبَت ، وانطَفَـأت ، وتــلاشَت

لم تترك .. أثراً .. حتّى أثراً للذِّكرى !!





الماضِي .. صوتٌ يَهتِــفُ بي
قَدِّمْ قُرْبــــانَكْ
والحاضِرُ سجنٌ يَصرَخُ في وجهي
انبِــذْ سجَّــانَكْ
والمستقبلُ نورٌ مطمور
في أفْــقٍ مسجــور
يَخفَــى ويَلُــوح
كما تَطفــو وتَغُــوص
رُؤى المسحـــور
وأنـا في القيــدِ أسير
جريحاً خَلــفَ السُّور
الظُّلمـةُ حولِـي مُطبِقَـةٌ
والبــيتُ رتــيب
الجُــرحُ بها يَدعــو
والجُــرحُ يُجــيب
لكنّـــــي أسمع

ماذا أسمع ؟

إنّ الصّوتَ قريب

هَمهَمَــــةُ رجـــــال

وصدَى طَرْقاتِ مَعَاوِل

وُخطَا أَقدامٍ عارِيَـــةٍ

تَزحَــــفُ وتنـــــاضل

ها هِيْ تَدنُـــــــــو

تَعلـــــــــــــو

عَجَبـــــــــــاً !

إنَّ فناءَ السِّجنِ يُضنِينِي

بلــــــــــونٍ أحمر

تَنسابُ .. خيوطٌ منه

إلى قَيْـــــــــدي

أتُــــراهُ البحــــرُ !

ولكـنْ .. كيــــف ؟

فضَوءُ الفجــرِ بَعيــد

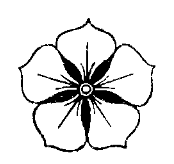
أفذاكَ شُعـاعُ جِراحي

يعكِسُ لونَ دَمِــي ؟

كــــــــــــلا

فهنــاكَ .. مشاعــــل

وهنـــالِك طَرْقٌ متـــواصِل
الأبـــوابُ تَطيـــح
على جُثَثِ الحرَّاس
والسَّجَّـــانُ الأكبر
لفظَ الرُّوحَ بِضربةِ فاس
وتوَالَى الطَّرْقُ على بابي
فتَدَاعـــى البـــاب
وأشرَقَ نورُ الشَّمس
يُرحِّبُ بالثُّـــوَّار ..





يا رياح

اصفِقي يا رياحُ ! دُونِـي بابِـي واقذِفـي في ثُقوبـهِ بالتُّـرابِ

وَاسْرِ كالنّـارِ في هَشيـمِ حُقـولي تَتَعالَى بيـنَ الثَّـرى والسَّحـابِ

وارقُصِي حولَ موقدي رقصة الرُّغـ ـبِ ، وطُوفِـي بالهَـولِ والإرهـابِ

واطمْسي الدَّربَ حولَ كوخِيَ ، لا يَخْـ ـلُصْ إليهِ الضِّيـاءُ عَبْـرَ الضَّبـابِ

وأَطِيفِي بالجُوعِ ، بالعُريِ ، بِالمَو تِ ، بِدَامي الجِراحِ ، مِلءَ إهابِي

واصنعِي لي من المواجِـعِ والحِـر مَانِ سِجناً ، وَأَمعِني في عذابِـي

لن تَرَيْنِـي مُستَسلِمـاً لِمَصيري في جهـادٍ أَبلَـيتُ فيـه شبـابي

إنَّـهُ مَوقفِـي ، نِضالاً وإصرا راً ، وَهُـزءاً بصَولـةِ الأربـابِ





مَاذا أقول ؟

ماذا أَقولُ ؟ وكم أَقولُ ؟   والقولُ من مِثْلِي فُضولُ

المالُ سَحَّارُ النّفوسِ ، وفي يَدِي منه قليلُ

والنّاسُ ، للدِّينارِ ، أَتْباعٌ ، وأَتباعي فُلُول

والحقُّ - وَيْح الحَقِّ - لِلرّاجيهِ عاقبةٌ تَهُول

والرَّأيُ في الإصلاحِ صَعْبٌ ، والفسادُ هوَ الذَّلُول

والنَّفسُ للشَّهَواتِ أطْوَعُ ، والتُّقَى جُهدٌ ثَقيل

أنا شمعةٌ ، سَخِرَ الظَّلامُ بِها ، وحَفَّ بها الذُّبول

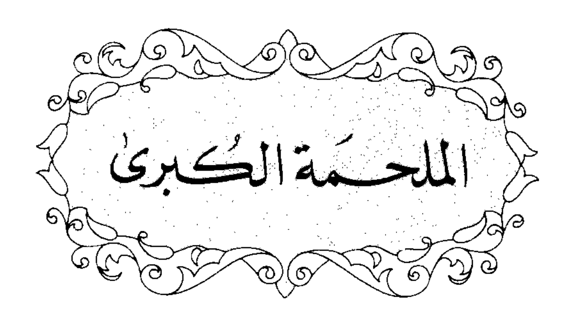
ماذا يُطيقُ وما يُنيرُ ؟ وقد وَهَى ، ضَوْءٌ ضئيل

يا ناظرينَ إلى الوَراءِ ! أَمامَكُم ذُلٌّ طويل

مَأواكُمو ، عَصَفَ الهَوانُ بِهِ ، وأَغرَقَه الدَّخيل



الملاحم



« الملحَمة الكُبرى هي المناظرةُ الشّعريَّة بين الشاعِرَينِ الرَّاحلَينِ محمد حسن عَوَّاد وحمزة شحاتَه .

اتَّخذَ كلٌّ من الرَّجلَينِ رمزاً لنفسه . فكان عوادٌ هو « أبولون »[1] ، وكان شحاته هو « الليل » . وتطور الصِّراع بين الشاعِرَينِ في صورةِ صراعٍ بين العناصر (التّراب ، والهواء ، والماء ، والنّار) .

وكانت جريدة « صوت الحجاز » سنتي ١٣٥٥ و ١٣٥٦ هجرية مسرح هذا الصّراع الشّعري الذي كان كَسباً للأدب والشعر ، ثم استحال – بكلّ أسف – إلى هجاء مُقذِع بين الشاعِرَين ، لم تَنشرهُ « صوت الحجاز » ، وإنّما نُشِرَ بعد نَسخِهِ باليد .

وحين تجاوز الأمرُ حدَّهُ ، خَشِيَ الشّاعران مَغَبَّة الأمر ، فأَقصَرا .

وقد اخترنا أن نفرد لِمَا نظمه الشّاعر في هذه المناظرة باباً خاصاً في هذا الديوان تحت عنوان « الملحمة الكبرى » ورتبناها كما بدأت ، على قَدْرِ ما تسمح به الذّاكرة ، ثم ألحَقنا بها ما ظَنَنَّا أنَّه يتَّصل بها لسببٍ من الأسباب ».

---

(١) أبولون : اسم إغريقي ، أُطلِق على ما زعموا على إلّه الموسيقى ، والشعر ، والطب ، والجمال الرجولي . وقد ورد ذكره في الأساطير « الميثولوجيا » اليونانية ، والرومانية كثيراً . ولمحمد حسن عواد كتاب بعنوان « رؤى أبولون » وكان – على ما يبدو – يعني بأبولون نفسه .



إلى أبولون

يزعمون أنَّ للشِّعرِ والشَّمس إلَهاً اسمه (أبولّون) ، نحنُ أوّلُ الكافرين به ، وقد تخيَّلناه كائناً كالأحياء الهزيلة ، وَسَخاً من هذه الأوساخ الآدميّة التي هي زُورٌ على الإنسانيّة ، كما كان أبولّون وِزراً على الألوهيّة ، فركِبناه بالسُّخر والهجاء ، وأعملنا فيه مِعولَ الهدم والتّنكيل ، زُلفَى إلى الله الواحِد ، الأحَدِ ، الذي لا نعْبُدُ إلّا إيّاه ، مخلِصِينَ له الدِّين .

هاكَهـا من سحائبـي وَطْفـاءَ ... صَيِّبـاً صيَّـرَ السَّبيـلَ غُثـاءَ [1]

وتطامَـنْ لها ، وتِيرةَ لَيثٍ ... زَأْرُهُ صيَّـر الرُّعـودَ زُقـاءَ [2]

يا أبولّـونُ ! يا إلَـهَ المجانيـنِ ، على غابـرِ اللّيـالي ، عزاءَ

لستَ إلّا خيـالَ فكـرٍ مريضٍ ... عُلّقتهُ أخنَـى القلـوبِ ، غبـاءَ

وتشهَّتْ به على النَّـفس ما أغـنَى نفـوساً ، وانصَبَّ فيها هُذاءَ [3]

هذه نكبـةٌ ، ذَرَتْكَ رمـاداً ... بعـد ما كنتَ كائنـاً يتـراءى

ولئِن عِشتَ في اعتقادِ الشَّعاريـرِ إلَهـاً ، فقـد غدَوتَ هَبـاءَ [4]

أيّها الخامـلُ الـذي ملأ الجَـوّ مُواءً طَوْراً ، وطَـوْراً عُواءَ [5]

---

(١) الصيِّب : المطر الجَوْد . الغُثاء : ما يحمله السَّيل من رغوة وأشياء أخرى . الوطفاء : السحابة الممطرة .

(٢) الزُّقاء : صياح الديك .

(٣) الهُذاء : الهذر بكلام غير مفهوم .

(٤) الشعارير : جمع شُعرور وهو غير النابه من الشعراء ، وهو فوق المتشاعر ودون الشويعر .

(٥) المواء : صوت القطة . والعواء : صوت الكلب والذئب وابن آوى .

قَدْ لَعَمري أفنيتَ في طلبِ المَجـــــد ، سِنيناً بالمخزياتِ .. رُواءَ [1]
كلَّمــا خِلتَ للظهــورِ مجالاً زادَكَ الحقُّ في العيــون خَفـاءَ
ما مَجـالُ الحيـاةِ بالهَيِّـنِ السَّائِغِ ، أَنْ رامَـه الحقيـرُ ابتغـاءِ ؟

* * *

يا أبولّـونُ ! خدعَـةٌ أنتَ ، تَستهـوي خَشَاشَ الأحياءِ ، والبلهـاءَ [2]
هم صَعاليـكُكَ الأُلَى عَبَـدُوا زورَكَ ، فاهنَـأْ بهم لِعُـودٍ لِحـاءَ [3]
أنتَ عَوَّاؤُهـم ، وهـم نَابِحُو اللَّيـلِ ، حوالَـيْكَ ، ردّدوا الأصداءَ [4]

* * *

يا أبولّـون ! لستَ للفاضلِ الحُرِّ كِفـاءً ، ولستَ إلّا لَغَـاءَ [5]
أنتَ ضَعـفٌ ، وحِطَّـةٌ ، واستِفـالٌ إستحـالت بَذاءَةً وهُـراء [6]
أيُّ فنٍّ ؟ هذا الـذي تدَّعِيـه كلَّمـا ازددتَ لَوثَـةً والتِـواءَ؟ [7]
أهْو فنُّ الحِقدِ الـذي شبَّ في صَدرِكَ ، ناراً ، وكان داءً عَيـاءَ ؟
أم هوَ الـذُّلُّ والضَّراعـةُ في عينيـكَ ، قد أَخفيا الجَـوى والشَّقـاءَ ؟
وَاهِـمٌ أنتَ ، يا أبولّـونُ ! لا تَبْلُـغُ مَجـداً ، ولا تَنـالُ ثَراءَ

* * *

(١) الرواء : الرّي من الشرب .
(٢) الخَشاش : حشرات الأرض .
(٣) اللحاء : القشر .
(٤) العوّاء : مبالغة اسم الفاعل العاوي ، وهو الكلب النابح .
(٥) اللَّغاء : سَقَط المتاع ، أو ما لا يُعتدُّ به .
(٦) الهراء : الكلام التافه الفاسد .
(٧) اللوثة : الحمق ، أو الحبسة في اللسان .

كم تَحَــدَّاكَ في مَغــاوِرِ أحــــلا......مِكَ ضِدٌّ ؟ فما أُطــقتَ اللِّقــاءَ ؟
وتهادَى إلــيكَ ، منتزِعــاً منــــ......ـكَ أزاهيــرَك الــرِّواءَ الــوِضاءَ ؟
فتخــاذَلْتَ دونَــه ، ترسلُ العَبْــ......ـرَة ، حَرَّى ، وقد فَقَدتَ الرَّجاءَ
مُستفِــزّاً من عابــديك عليـــه   يا أُبولّــــونُ ، رُزَّحــــاً أُنضاءَ [1]
كان هذا مقامَ سَعيِكَ ، يا مُقــــ......ـعَــدُ ، لو أنَّ في الفــؤادِ ذَمــاءَ [2]
عاجزٌ أنتَ ، يا أبولّونُ ! لا تَحــ......ـمــي ذِمــاراً ، ولا تَرُدُّ اعتــداءَ [3]

* * *

يا أبولّون ! أنت خُنثَى ، ولــن تلـ......ـحقَ شأْوَ الفحولِ ، إلّا ادِّعــاءَ [4]
وحسودٌ ، قد أَرَّثَ الــفشَلُ الــدَّا......ئِمُ ، في غَوْرِ صَدرِك ، البُرَحــاءَ [5]
وَيْكَ ! هلّا جرى بك الحظُّ مجرا......هُ ، ومــرَّت بك الحيــاة رُخــاءَ ؟
هُزْأَةً عِشْتَ ، يا أبولّــونُ ، للنــا......سِ ، وأُفكوهَـــةً ، تُساقُ ازدراءَ
أَخُمولٌ ، وحاجــةٌ ، وانفــرادٌ ؟   تَبَّ عَيْشاً ! بل تَبَّ هذا فِنــاءَ !! [6]
لن ينــالَ الحيـــاةَ إلا كَفافــاً   مَن قُصاراهُ أن يعـــيشَ رِيــاءَ

* * *

مُدَّعٍ أنتَ ، يا أبولّــونُ لا تَغْــ......ـلِبُ ضِدّاً ، ولا تُجــيبُ نِداءَ !
أَتَحــدَّاكَ هازئــاً ، لا أباليــ......ـكَ ، وإن كنتَ لا تَبُلُّ طَحــاءَ [7]

---

(١) الرزّح : جمع رازح وهو الهزيل الملتصق بالأرض من الضعف . الأنضاء : المهازيل .
(٢) الذَّماء : بقية الروح في المذبوح .
(٣) الذمار : ما ينبغي الدفاع عنه كالوطن والشرف .
(٤) الخنثى : المخلوق المكوّن من أمشاج الذكر وأمشاج الأنثى . - ويريد الشاعر بها هنا التحقير - .
(٥) البُرَحاء : الشدة كشدة الحمَّى .
(٦) تَبَّ : خسِر وهلك . الفِناء : ساحة الدار أو ما أحاط بها .
(٧) الطَّحاء : المنبسط من الأرض .

لستُ مِمَّـــــن إذا تَحَيَّفَهـــــم با.........غ ، تراخَـوْا عنـه ، وشَدُّوا بِطـــاءَ !
أنـا مَن أرغَـــمَ الخصومَ ، وأسقـــا.........هُمْ كؤوساً ، من الهَـــوانِ ، مِلاءَ !
غيـرَ أنّـــي أرى خصومَـــة أمثـــا.........لِكَ ، للنُّبـــلِ والسُّمُـــوِّ اجتـــواء[1]
أتُـــــراني إذا تحدَّيتُ مطعُـــــــو.........ناً ، يُمرّض فيه الحيـا والإبـــاءَ ؟
اِنطلـــــقْ سالماً ، فأنتَ هزيــــلٌ مُسْتَخـيسٌ ، لا تُمسك الحِربـــاءَ !
لستَ نِدّي ، إذا المفاخـــرُ عُدَّت ، وإذا مَجَّـــد الكـــــرامُ الوفـــــاءَ !
أنـا أغلى دَمـاً ، وأَضحـى جبيناً ، إن دَجَت ظُلمـــةٌ ، وأعلى بنـــــاءَ !
أنـا مَن أسهَـرَ العيـونَ ، ومَـن ردَّ.........قلـــوبَ الحسَّاد عنـــه ، ظِمـــــاءَ !
لستُ بالكاذبِ المُسِفِّ ، وَمَن أصـ.........ـدَقُ منّـــي ، مَوَدَّةً ، وعِـــــداءَ ؟
أنـــا مَن يَفتـــدِي المودّاتِ بالـــرُّو.........حِ ، ومَـن يَسحَـقُ العـــدوَّ مَضاءَ !
أنـا هَولٌ !! من الحقيقةِ ، يرميـــــ.........ـكِ ، بنـارٍ ، تُزيـلُ عنك الطِّـــلاءَ !
والعَـداواتُ ، يا أبولّـــونُ ، لا تر.........حَمُ ، إن مَسَّ جَمرُهـا الضّعفـــاءَ

* * *

جاحـدٌ أنتَ ، لستَ تَغفُـلُ عنّـــي لكريــــــمٍ ولا تعــــــــدُّ جَزاءَ !
كَم أظلَّتك ، من سحـــائبِ جَدوا.........يَ ، هَوَامٍ ، أَصبتَ فيها الشَّقـــاءَ؟[2]
فتناسيتَهـــا ، صنيـــعَك في كلِّ جميـــلٍ ، يُسدِي إلـــيكَ البقـــاءَ

* * *

---

(١) الاجتواء : الشيء الكريه إلى النفس .
(٢) الهَوَام : حيوانات ليلية تافهة ، جمع هامة .

صَنَـمٌ أنتَ ، حَطَّمَتْـه يدُ اللَّـــــه ، وأَصْمَتْ عبــادَهُ السُّخفــاءَ !

وإذا أنتَ للعيـــونِ قَذاهـــا جَلَّ مَن شانَ هذه السَّحنـــاءَ !

نبَـذَتكَ الحياةُ ، والنـــاسُ ، والحـــظُّ ، وأنعِـمْ به ، عقابــاً سَواءَ !

حيث تَنسَلُّ ، أسخطَ النّاسَ مرآ...كَ ، فأصلَـــوكَ نَظـــرةً شَزراءَ !

لا تُرى غيرَ قابعٍ ، مُنغِضِ الـرَّأ...سِ ، تُعانِـي من الهوان عَفَـــاءَ !

يا أبولّـــون ! إنّ فُقّاعــةَ الشّعـــرِ خليـــقٌ أن يَحمـــل الأعبــاءَ !

عش مريضاً ، أو مُت بغيضاً ، وَهَل أشْـ...بَهَ ، مَن عاشَ مِثلَك ، الأحياءَ ؟

هذه شارةُ النَّوابـــغ مِن قبـــلِك ، فافخـرْ بها وَتِـهْ خُيَـلاءَ

إنّ مَن يَجهـلُ التهكُّـمَ والسُّخـــرَ ، غَبـاءً ، يَدْعـوهما ، إطـــراءَ

* * *

يا أبولّونُ ! عاصفٌ أنا ، لا يَعْـ...بَأُ فلّاً ، ولا يخافُ سَراءَ

أنـا ليــلٌ ، يغشاك بالهولِ والظلـــمَةِ ، واللّيـلُ يُفـزِع الجُبنـــاءَ

أنــا للجارِميـــنَ موتٌ ، ولا غَرْ...وَ ، فَقِدمــاً أُوطَــأْتُكَ الــرَّمضاءَ

أنـا من زيَّــفَ الأباطيــلَ تزْييـــفَ قَديرٍ ، يَرمي السِّهـــامَ غِلاءَ

أنـا واللّيـلُ ، منـــذ كنتُ ، شبيها...نِ ، جَلالاً ، وقـــوةً ، وحيـــاءَ

نَتساقى الإلهامَ ، والشّعرَ ، والحكـــمَةَ ، والفَنَّ ، والهَـوى ، والسَّنـاءَ

في سكـونٍ أضفَـى الضّمـورُ عليـه أَلَقـــاً من نقائِـــهِ وصَفـــاءَ

لا كَمَـن حاولـوا الحيـاةَ نقيقـاً واستقلّـــوا سبيلَهـــا ضوضاءَ

فجهـــادُ المبرّزيـــنَ فِعَـــالٌ تتحـــدّى بصمتها البلغـــاءَ

ينطِقُ الدَّهـرُ ، دونَهـا ، ويَـذود الـ...ـنّقصَ عنها ، ويُرخِصُ الفحشاءَ

وسجايـــا الكـــرام غُرٌّ بَواقٍ   تتهدَّى بها النفـــوسُ ضيـــاءَ

وهجائِـيك ، يا أبولّـونُ ، أبقـا......كَ ، ولكـــن مبعثَـــراً أشلاءَ [1]

فتعهَّـــدْه بالتّـــلاوةِ والـــدَّر......سِ ، ونـافسْ برزقك اللّؤمـاءَ

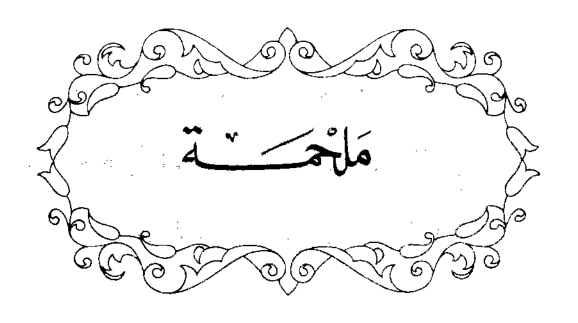
فهـو خُلـدٌ حَبَاكَـهُ حظُّك العـا......ثِرُ ، شِعـراً ، يؤجّـج البـغضاءَ

١٩ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ

٢ مارس ١٩٣٧ م



(١) وهجائيك : وهجائي إياك .



مَلْحَمَـــة

الحياة ملحَمة كبرى في شتّى مظاهرها المعنويّة والماديّة ، وهل الحياةُ حياةٌ إلا بهذا الصّراع بين الموجودات ، منظورةً ومُدْركَة ؟

فهذه القصيدة تمثّل في ثوب القصَّة .. ملحمةً تخيُّليَّة بين عناصر الكون (التراب والهواء والماء والنّار) تتمّ فيها الغلبة للعاصف رمزِ الهواءِ ، على البحرِ رمزِ الماء .

والاتّجاه الفنّي في هذه القصيدة مستمَدّ من وقائع الحياة وصميمها ، فمن ينكر أن كلَّ شيء في الوجود مسلَّط على كل شيء فيه ؟ الحياة والموت ، الشّباب والهرم ، الصّحة والمرض ، القوة والضّعف ، أليس الصراع بينهما ملحمةً تكرّ بها الأيام واللّيالي ؛ لا يخاف أيّهما اللّباب والجوهر ، إن اختلفت القشور والأعراض ؟ أليس كلّ ذلك مَظهراً للقانون الإلّهي الأسمَى في صور هذه الحياة ؟؟ (الناظم)

حدَّثَ اللَّيـلُ ، والحديث شُجونٌ ، وحــديثُ العظيــمِ لَهْــوٌ وَجِــدُّ

تتلهّـــى به نفـــوسُ الخَليّــــــين ، ويُعنَـى بِلبِّــهِ المستبِــدُّ

قال : كانت عناصرُ الكون كالأحــياءِ قِدْماً ، تَروح فيــه وتَغــدو

لم يُقيَّـــدْ كلٌّ بقانونـــه الصَّارِم ، والقيــدُ حاكــمٌ مستبِــدُّ

فتلاحت يومــاً ، وجَــدَّ بها الشَّرّ وللشّـــرّ .. ثورةٌ ما تُحَــدُّ

* * *

وادَّعَـى كلُّ عنصرٍ قصبَ السَّبــــ......ـقِ وأَدلى بحُجَّـــــة المتحـــــدِّي
قالتِ النّـار : إنّنــي عنصرُ الفَتـــ......ـكِ ، إذا أُورتِ المطامــعُ زَنــدِي
أُتلقَّـى الحديــدَ بالجاحِــم المُــو......دِي ، وأُردِي الصّلابَ إن جَدَّ جِدّي
ويُعيــدُ الأصنــامَ حَرَّى رمـــاداً   ويُنيــرُ السّبيــلَ ضوئي ويَهــدي
أنــا لِلكـــونِ بَدْءُ تاريخِــه النَّـــا......بِضِ ، مذ قلتُ : يا حياةُ ، استعِدّي !

* * *

فأجـابَ التّـرابُ : هل كان للكـــوْ......نِ وجـودٌ ، لو لم أكـن فيــه أَصلا ؟
كنت سِرَّ البنــاءِ فيــه ، فمـــا قا......مَ بنـــــاءٌ ، لولايَ ، أو مَدَّ ظلّا
وأنـا ناثرُ الحقـــولِ ، وَمَـــن أطــــ......ـلَقَ فيها الحياةَ ، حقـــلاً فحقـــلا
صِيغَ منّي الإنسانُ والـوحشُ والنَّبـــ......ـتُ ، وعـادَت إليَّ وصلاً وفصلا
أَتلقَّـــــــى أمانـــــــةَ اللهِ بالصَّو......نِ ، ومـــا زلتُ للأمانـــةِ ثِقـــــلا

* * *

وَزَهـا البحـرَ أَيْـدُهُ ، فرمـى القـــو......لَ جُزافـاً ، شأنَ السَّفيـهِ الـغَضوبِ
قال : ماذا ؟ ألستُ من يطفِئُ النّا......رَ ، إذا آذنَت بِوَشكِ شُبُـــــوبِ ؟
الــذي تسكُـــنُ العنـــاصرُ ، إن ثا......رَ ، وتَعنـو من خيفـــةٍ ووَجـــيبِ ؟
والـذي أُغـرَقَ الشَّواطِـئَ ، لو شا......ءَ ، وجـازَ الأمـداءَ غيـــرَ هَيــوبِ ؟
وطغَى ! .. فانطوَت شواطـئُ فيـــ......ـهِ ، وقـد هَمَّ مُقعَدٌ بِوثُـــوبِ !!

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : واندفـعَ البحـــ......ــرُ ، يظـنُّ الشُّطـآنَ كلَّ الوجـــودِ
فإذا اجتازَهـــا فقـــد بلَـــغَ الفَـــوْ......زَ ، وأَربَـى ، والفـــوزُ جِدُّ بعيــدِ

مَن له بالجبـالِ تَلقـاهُ بالهُـزءِ ، صنيـعَ القـويِّ بالمكـدودِ ؟
شامخاتٍ ، إذا تطامـن بحرٌ أو تَنَـزَّى به عُرام الحَقـود
راسياتٍ ، لا مِن وَنـىً أو لُغـوبٍ ، ساكنـاتٍ ، لا مِن عَنـىً أو جُمـودِ

* * *

مَن له بالنّجـومِ ، بالبـدرِ ، بالشّمـسِ ، أليست بصيرةً وهْـو أعمـى ؟
مَن له بالطّيـور تسبَـح في الجوّ خِفافـاً مَعنًّـى ، ورُوحـاً ، وجسمـا ؟
مَن له بالنَّسيم ، بالـرِّيح ، بالعـاصفِ ، تَغزو الحيـاةَ حربـاً وسِلمـا ؟
حدَّثَ اللّيلُ ، قال : واستقبـلَ العـاصفُ ، هذا الطّاغِي الجهـولَ وَهَمّـا
هَمَّ ، فارتَدَّ ، فارتَمَى ، فطوى الدّنـيا ، حيـاةً ، ومسرَحـاً ، وخِضَمّـا

* * *

ثار بالبحـرِ ثورةً ردَّدَ الكَـونُ صَداهـا ، وردَّدتْـه السّمـاءُ
جابتِ الأرضَ ، كَرَّةَ الطَّرف ، وارتَدَّتْ ، نَفـاذاً ، كما يُحَـمُّ الـقضاءُ
أخـرَستْ كلَّ ناطـقٍ ، ودَهَتْ كلَّ عَتِـيٍّ ، فَنَـاءَ منها الـفضاءُ
ألبراكيـنُ ثائـراتٌ ، أم الشُّهـبُ تهاوتْ ، أم قد أطـافَ الفنـاءُ ؟
أم تُراه صَدى الجحيم ، وقـد جُنَّـت ، به ، فيـه ، ساعـةٌ عَسراءُ !

* * *

لفـظ البحـرُ كلَّ ما اشتمـل البحـرُ ، ولاذَت شطآنُـهُ بالسُّكـونِ
وغـدا راجفـاً ، يَميـدُ به الهَـوْلُ ، فيَهْـوِي إلى قرار مَهيـنِ
وأعاصيـرُ ذلك العـاصِفِ العـاصِفِ ، تُلـوِى بمائـه والسَّفيـنِ

أيبيــع الحيـــاةَ ؟ كلّا ، ولا عا..........شَ شُجاعٌ بالعمر غيــرُ ضنيّــنِ
فلْيُسالِمْ ، ولْيُعلِنِ العجزَ ، ما عــ..........ـضَّ ، على عَجْزِه ، بنانُ الغَبيــنِ

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : واستنجدَ البحـ..........ـرُ فلانـــاً ، أو قال طَوداً أَشَمّـــا
معلِنـــاً ضعفَـــه ، وقـــد آنَسَ المو..........تَ ، عِياناً ، يدعو الضَّراعةَ حَزما
وترامـــى إليـــه ، يلتـــمِسُ العَـــو..........نَ ، وألقـــى قيـــادَه ، واستَذَمّـــا
قال : هيهاتَ ! أن يُجيرَ من العـــا..........صف طَودٌ ، يَرى غرورَك جُرمـــا
بَيـــدَ أنّـــي محاوِلٌ لك ، ما رُمـــ..........ـتَ ، ومُلقٍ على سجاياي غُرمـــا

* * *

ومشَى الطَّـــودُ ، والمروءةُ تَحـــدُو..........هُ ، إلى العاصِفِ المُشيح .. ونَادَى
هِيهِ يا صاحبي !! ومثلُك مَن لَبَّـــ..........ـى ندائي ، لقـــد بلـــغتَ المرادا
عادَ رَهواً ، ما كان من قبلُ رَهواً فعنَا المدَّعـــي ، وعـــافَ الجهـــادا
حَسبُهُ منك ، ما بلغتَ به الغـــا..........يةَ فيـــه فمـــا أطـــاقَ الزّيـــادا
ما تَراه قد استكـانَ ، فمـــا فِعْـــ..........ـلُك ، فيمن أُلقى إليكَ القِيـــادا ؟

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : ما أَكرمَ العا..........صفَ ، ما أكـرمَ القـويَّ الرَّحيمـــا
آثَـرَ العفـــوَ ، والكريـــمُ صَفـــوحٌ إن تولَّـــى عدوُّه مهزومـــــا
وسعى البحرُ ، صاغراً ، يُقصِرُ الخَطـ..........ـوَ ، ويُـغضِي ضراعـــةً وسُهومـــا
قال،بل هَمَّ أن يقـول ، فلـم يَقـــ..........ـوَ ، وهـــل يُسعِـد المقـــالُ عَديما ؟

إنَّها سَقطةٌ ، فهل ينهضُ العفــــــو ، بأمثالِها ، قويّاً سليما ؟

* * *

ورنا العاصفُ الحَطومُ إلى البحـــــر ، فألفاه مُطرِقاً إذعانا
ورأى الضَّعفَ عارياً ، يَنشُدُ الرحـــــمَةَ ، هوناً ، ويستعيدُ الأمانا
فاستحَثَّتْ قلبَ العظيم دواعيـــــه ، فلبَّى الضميرَ والإيمانا
قال : أهلاً بالسِّلمِ ، والوُدِّ ، والعِشْـــــرةِ ، صَفواً ، وبالوفاء ضمانا
لك عندي ، ما يَطلبُ الخُلُق السَّمْـــــحُ ، مَغِيباً ، أُصفِيكَهُ ، وعَيَانا

* * *

حدَّثَ اللَّيلُ ، قال : وانفتَلَ العاصــــفُ ، يَعتامُ في الطَّبيعةِ مَسرى
ومضَى البحرُ ، يَرمُقُ الأفقَ غَصّا ـــــنَ ، فتلهو به الكواكبُ سُخرا
راسفاً ، قيَّدَتْ خطاهُ قوانـــــينُ السَّوافي والضوءِ ، مدّاً وجَزْرا
فإذا وَصوَصَت عيونُ الدَّرارِي ... أو هَفَت نسمةٌ تلفَّتَ ذُعرا
ذلَّ مَن خاف ، فالحياةُ غِلابٌ فازَ فيه الأحَدُّ ناباً وظُفرا

* * *

وغفا الكونُ ، بعدَ مَلحمةِ الأمــــسِ ، وكانت على الطَّبيعة شرّا
وأفاقَ الصَّباحُ ، من حُلْمِه البا ــــسِمِ ، يَندَى هوًى ويَرفَضُّ سِحرا
وتمشَّت أنفاسُه في حواشِي الكو ــــنِ ، فاستيقظَت روابيهِ سَكْرَى
حدَّثَ اللَّيلُ قال : وانطلَق الضَّو ــــءُ منيراً دنياهُ سَهلاً ووعرا
فاستفاضَ الحديثُ عن أمسِ يُزجيـــــهِ فُضولُ الحياةِ سِرّاً وجَهرا

* * *

وحديثُ الفُضولِ يَستضحكُ اللّاهيْ ، ويَضوَى بِوَخزِهِ المَوتورُ
فهْو - إن شئتَه - مُجونٌ مثيرٌ   وإذا رُمتَه - شَماتٌ مَريرُ
حدَّث اللّيلُ ، قال : واحتمَل البحرُ مُجونَ الحياة ، وهْو عَسيرُ
مستشيطاً على الإسار فما يَفتأُ يَنزو في قيده ، ويَمورُ
فإذا أقبَلَ الظَّلامُ تَولّاهُ قطوبٌ ، لِشَجوِهِ - وفتورُ

* * *

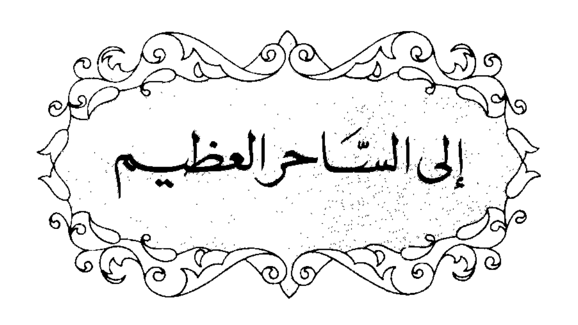
هل يطيقُ النُّهوضَ ؟ هل يملك السَّعيَ جناحٌ واهٍ ، ورُوحٌ أَسيرُ ؟
القوانينُ للعناصرِ ، يا بَحرُ ! نظامٌ عن قصدِه ما يَجورُ
والأمانيُّ ، للكُسالى ، تَعِلّاتُ عَزاءٍ ، والعيشُ وَهمٌ وزُورُ
وحُدودُ الحياةِ تفسَحُ للأَقوَى مجالاً ، لكنّها لا تُجيرُ
إن مَلِلتَ الظَّلامَ فالتَمِسِ النُّورَ ، وهل يَهتدي إليه ضَريرُ ؟

* * *

حدَّث اللَّيلُ ، قال : وانفرد البحرُ ، يُواسيه شاطِئٌ مهجورُ
أدبَرَتْ عنهما الحياةُ وأَهلُوها ، فذَا ضاحِلٌ وذا مَنزورُ[1]
قَنِعا - صاغِرَينِ - بالواقع البَخْسِ ، ويَرضَى بعيشه المكثورُ[2]
ومضى الدَّهرُ ، لا يُثقِلُ رِجلاً   تستوي عنده صَباً ودَبُورُ[3]
هازئاً بالغُرور والضَّعف والباطِلِ ، والدَّهرُ بالحياةِ بصَيرُ

---

(١) الضاحل : القليل الماء . المنزور : القليل التافه .
(٢) المكثور : المغلوب بالكثرة .
(٣) الصَّبَا : الريح التي تهب من المشرق ، والدَّبور : الريح التي تهب من المغرب .



إلى الساحر العظيم

رَدّدِي يا ريــاحُ ! سخريَــةَ الها........زل ، يَلهُو بِها الوجودُ نشيــدا
واركبي البحرَ بالمُجون ، وبالسُّخـ..........ـرِ ، صُدوراً - إذا وَنَى - ووُرودا
وأدِيــري عليـــهِ مِن جامِكِ المرِّ.........كؤوساً ، تَشوي المرائـــرَ ، سُودا
فإذا ضاقَ بالحِــراكِ ، وقــد ضَا.........ق ، فلا تَنفُسِي عليــه الرُّكــودا [1]
يقنَــعِ الخائــرُ العــزيمةِ بالهُــو.........نِ ، ويأبى الطَّمــوحُ إلّا مَزيــدا

* * *

واعبَثِي ، يا رياحُ ! بالبحرِ ، إن ثا.......رَ ، وما ثورةُ الكسيح الحَنيــقِ ؟
واذهبي فوقَ موجه ، مذهبَ الظَّا.........فِرِ ، يَلهــو بضدِّهِ المَعــــروقِ
واسخَري ، يا قيودُ ! منهُ ، إذا هَمَّ.........جِرانــاً على الإسارِ ، وضِيقــــي [2]
فَهْـو ما ثارَ ، أو تَطامَــنَ ، نِكْسٌ يتلظَّـــى بحسرةِ المَسبــــوقِ [3]
وسبيـلُ المغلــوبِ في زحمة الدُّنـــ.........يا ، على يأسِهِ ، سبيـلُ الغريــقِ

* * *

فإذا صاحَ أو تخبَّـــــطَ ، لم يَدْ.........عُ غِلاباً ، صريخُــه واضطرابُــهْ

---

(١) نَفَسه : ينفُسُه : أصابه بعين حاسدة .
(٢) الجِران : وقوف الدابة حين يطلب منها الجري مع رجوعها القهقرى .
(٣) النّكس : الرذل المقصر عن غاية النجدة والكرم .

فاحترابُ الأمواجِ ، حرَّكها العاصفُ ، فِعْلٌ لِلفاعليه انتسابُهْ
وَهْو - إنْ خِيلَ مَظهرَ البأسِ للبحر - كِذابٌ ، إنِ ادَّعاهُ عُبابُهْ
فَمتى عُدَّ سابحاً راكبُ اليمِّ ، وقد أسلم الحياةَ إهابُهْ ؟
ولقد تَدفعُ الرِّياحُ جماداً أَفيُدنِيهِ من حياةٍ وِثابُهْ ؟

* * *

إنَّما تُنسَب الفِعالُ إلى الفاعلِ ، والبحرُ للرِّياح مَقُودُ
تَتَوَّلاهُ ، كلَّما شاقَها السُّخرُ بعَصِفٍ ، تذوب فيه الرُّعودُ
ولَسُخرُ الرِّياح ، ويلٌ على البحرِ ، ثقيلٌ ، قديمُهُ والجديدُ
كم يُعاني منه ، ويا بِئسَ ما عانَى من الهَول ، مُستَضامٌ مَسودُ
شَدَّ ما آدَهُ وطامَنَ منه أن تُجيدَ الرّياحُ ما لا يُجيدُ

* * *

آدهُ أن يُعانقَ الأرضَ . والرِّيحُ عليه رُواقُها ممدودُ
ملكَتْ دونَه المسالكَ والجوَّ لَها ، لا لَهُ - العُلا والبُنودُ
ساحباتٍ أَذيالَها فوقَ هاماتِ أَواذِيِّهِ ، وهنَّ هُمودُ
وحقيقٌ بالذُّلِّ في موقف الجِدِّ وغاياتِه ، الضَّعيفُ الحسودُ
والأعاصيرُ للطَّلاقة والفَوزِ ، ولِلبحرِ ذُلُّهُ والحدودُ

* * *

إن قَسَتْ طَبَّقَتْ - ثقالاً - مدى الأُفْقِ ، وفاضَت على الزَّمان ثُبورا [1]
أو حَنَت ، ردَّتِ الحياةَ نَعيماً والجَديدَينِ شَعْرَها المنثورا

---

(١) الثّبور : الهلاك .

كامنــــاتٌ فيها قُوًى هَدَتِ العِلـــــ.........ـمَ ، وألــقَت على المساتيـــرِ نورا
زاخـراتٌ بالمعجزات ، فمـا يفـــــ.........ـتَـــأ قانـــونها الـــرَّوِيَّ الغزيـــرا
كم نضَا العلـــمُ من ستـــورٍ عليها فأَجــدَّت أعقابُهـــــن سُتـــورا

* * *

أَلِغَيــرِ الهواءِ هذا الثَّـــراءُ الجَـــــ.........ـمُّ ، في ذلك الجلالِ الكبيـــــرِ ؟
ولِمـا قد طوَى الأثيــرُ ، وناهِيــــ.........ـكَ بما فِي مُغيَّبـــاتِ الأَثيـــرِ ؟
أَلِما كان ، يا خُضارةُ من جهـــــ.........ـلِكَ تَرمِـــي أسرارَهُ بالنُّـــزورِ؟ (١)
أمْ لِما فيـه من أعاجــيبَ للخــا.........لق ، تُزْرِي بالعَيلَـم المسحـــورِ ؟
قد تمَشَّت بهنَّ آياتُـــه الـــلُّســـ.........ـنُ ، على مارِنِ الجَهول الكَفــورِ (٢)

* * *

الرِّياحُ ! الرِّياحُ ! مُذْ كُنَّ – للغَيـ.........ـثِ ، وللبحـرِ ، والنبـاتِ لواقــحْ
وَهْي فيمـا رأيتَ من قَبـلُ ، يا بحــ.........ـرُ ! غوادٍ على حَشاك ، رَوائـــحْ
سانحاتٍ طَوراً ، تُطـارِحُك اللِّيــــ.........ـنَ ، وطَوراً – وإن كرهتَ – بوارحْ (٣)
ولـدَيها من الألاعيبِ شتَّـى ، أنــ.........ـتَ منها عَيْـرٌ ، يُقـــاس بسابــحْ (٤)
بَيـدَ أنَّ العظيـــمَ يُولَـــعُ بالسُّخــــ.........ـرِ ، وكم راضَتِ الهَنـاتُ القرائـحْ (٥)

* * *

حُجَّـةُ العـــاصِفِ المُـــدَوِّمِ يا بحــ.........ـرُ ! فِعـالٌ ، تخافُهـا – ومَلاحِــمْ (٦)

---

(١) خُضارة : (بدون أل) اسم من أسماء البحر ، سمّي بذلك لخضرة مائه .
(٢) المارن : الجزء الليّن من الأنف .
(٣) السانح : الطائر المار من اليمين (وهو المتفاءل به) . البارح : الطائر المار من اليسار (وهو المتشاءم به) .
(٤) العَيْر : الحمار .
(٥) الهنات : جمع هَنَة وهي الشرور والقبائح .
(٦) المدوّم : المحلّق عالياً .

كلمـا زدتَهـا لَجاجـاً أذاقَتْـــك نَكالاً ، يَشفِي السَّخيمةَ ، جاجِمْ
سيرةٌ ما تزال تلقـاكَ بالويـــل ، غَضوباً ، وبالهوان ، مُسالِمْ
صيَّرَتْ ظهـرَك العَصِيَّ ذَلــولاً ، وتولَّتْك بالبُرَى والشَّكائم [1]
اِنتَصِفْ إن أَطقتَ ، أو فاخفِضِ الرَّأْس على ذِلَّـةٍ ، وأنفُك راغِـمْ

* * *

ما أَرى جُهدَك الجَهيـدَ على هـذا التَّسامِـي إلّا فُضولَ جَهالـهْ
وبماذا تَروم مَطلـبَك الصَّعـبَ ، وقد زادك الطِّماحُ ضَآلـهْ ؟
قد عَداكَ النَّجاحُ في المُمكنِ الدَّانِي ، فَمَسعاكَ للمُحالِ ضَلالـهْ
وإذا ضاق دونك المَسلكُ الرَّحـبُ ، فهل يَفسَحُ المَضيقُ مَجالَهْ ؟
ما غَناءُ الأحلامِ ، وَهْيَ أمانيُّ ، إذا كانتِ النُّفوُس كَلالَـه [2]

* * *

لستَ يا بحرُ ! في الحقيقـةِ إلا قَطـرةً في محيـط هذا الهواءِ
أنتَ للنَّقصِ بين جَزرٍ ومَـدٍّ وهْو – رغمَ الأنوف – للإرباءِ
ولَكَـم سامَك الهوانَ ، فأغضَيـتَ ، مريضَ الحشا ، على الأقذاءِ
تتـأسَّى ذلّاً بشطآنكَ السّوءِ ، تأسِّيْ الضَّعيـفِ بالضّعفـاءِ
تشتري العيشَ بالضّراعـةِ يا بحـرُ ! وبِئسَتْ مِن خُلّـةٍ نكـراءِ

* * *

(١) الشكائم : جمع شكيمة ، حديدة لجام الحيوان . البُرى : جمع بُرَة ، حلقة تجعل في لحم أنف الحيوان .
(٢) الكلالة : من كان عبئاً على سواه ، أو الميت الذي لا والد ولا ولد له يرثه ، بل يرثه ذو قرابته .

إنَّ نفسَ الحقيـــرِ تأنسُ بالعَـــو.........نِ ، وشأنُ العـــظيم أن يتفـــرَّدْ
وإبـــاءُ الأبـــيِّ يُركِبُـــه الوعْـــــــــ.........ـرَ ، فيلقـى الأخطـارَ غيـــرَ مُزوَّدْ
والجبـانُ الهلـــوعُ يحتمـــلُ الضَّيـــ.........ـمَ ، ويَـــرضاه للسَّلامـــة مَقعــدْ
وسبيـلُ القـويِّ أن يفـرَعَ الصّعـــــ.........ـبَ ، ولـو كانت اللَّهـازمُ مَصعَدْ [1]
رُبَّ مَوجٍ يُريكَ ظاهـــرُه البَـــأ.........سَ ، إذا هبَّ عاصفٌ يتبـــــدَّدْ

* * *

والأباطيـلُ ، يا خُضارةُ ! لا تَبـــ.........ـقى طويلاً ، إن أصبح الهزلُ جِدّا
أتَـــرَى مُرسِلَ الحقائـــقِ بيضاً مثلَ من يَقحَـم الأكاذيبَ رُبـدا ؟
والأباطيـــلُ شأنُ مثـــلِكَ ، يا بحـ.........ـرُ ! ومـا أوخَـمَ الأباطيـــلَ وِردا
والـذي يألَـف السّراديبَ لا يَرضــ.........ـى ، ولو سُمتَـه ، الطريـقَ الأسَدّا
مَنْ عَذيرى مِن كاذبٍ ، يدّعي الصّد.........قَ ، ووغـدٍ يرى المَسَبَّةَ حَمــدا؟ [2]

* * *

وضعيـفٍ يَنـزو ، إذا آنسَ الرَّحـــــ.........ـمةَ ، لكـنْ إذا تخيَّـفَ ، أكـدى [3]
وطبـاعُ اللئيـمِ تُصلِحهـــا الـــقَسـ.........ـوَةُ ، والعنـفُ بالنَّذالـــة أجـــدى
ومتـــى ضِقتَ بالجهالـــة ذَرعـــاً فسبيـــلُ الـــرّشاد أن تَستبـــدّا
رُبَّ ذي عنجهيَّـــةٍ إن رأى اللّيـــ.........ـنَ تعـــالى ، وإن أُهيـــنَ تردَّى
وإذا اعتـــلّتِ النّفـــوسُ غروراً خالتِ الأعيـــنُ الغِوايـــةَ رشدا

* * *

---

(١) فرع : طال واستعلى ، غلب . اللهازم : جمع لهزمة ، عظم ناتئ في اللَّحْي تحت الحنك .
(٢) مَن عذيري : من ينصرني ويعذرني .
(٣) نزا : ينزو : وثب ، تحرك . تخيّف : خُوّف ، وأُرعب . أكدى : تصاغر وذل .

إن أَلظَّتْكَ بالمواجع دنياك ، فغَوِّثْ بأَنَّةِ المحرومِ

ما حمتكَ الأمواجُ ، والصَّخَب الواهنُ ، لكنْ مروءةٌ من كريمِ

وقديماً ، حماك مَهلكةَ الجُوع ، فلاقيتَه بفعلِ لئيمِ

ليتَه إذْ أَسَا جراحَك لم يُمْنَ بشرٍّ ، من طبعِك المسموم

أجِنَتْ نفسُك الخبيثةُ ، يا بحرُ ! فباحت بِنَتْنِكَ المكتومِ ؟

* * *

الهواءُ الجبَّار ، أرجوحة الموتِ ، فجرّبْ ، يا بحرُ ، فيها كِفَاءَكْ [1]

وهى أخراكَ ، إن تعجَّلتَ ، أو كنتَ بطيئاً ، فما تَزُودُ فِناءَكْ

سئِمَتْ هذه النّفوس أضاليلَكَ مذ آثر الزّمانُ انطواءَكْ

وغداً ، يَشهدُ الزَّمانُ تَردِّيكَ ، وتَطوِي ذُؤابتاه حِواءَكْ

وتديرُ الشُّطآنُ بعدَك ذكراكَ ، وتجترُّ في لُغوبٍ رثاءَكْ

* * *

شِخْتَ ، يا بحرُ ، والجهالةُ تَحدوكَ ، فهل أنت للجهالة نِدُّ ؟

رُبَّ شادٍ يَزهو بمَخبرِه العقلُ ، وشيخٍ لم يَبلغِ الرّشدَ بَعدُ

والحِجى ، والحفولُ ، والعمقُ ، والقوّةُ ، والصّدق ، والمَدى الممتدُّ

تائهاتٌ بمن أذلّك ، يا بحرُ ، كما تاه بالصِّقال الفِرنْدُ

ولك الجهلُ ، والضُّحولة ، والإسفاف ، والكِذْب ، والضَّنى ، والوَهْدُ [2]

* * *

---

(١) الكِفاء : المثل ، النظير .

(٢) الوَهد : المنخفض من الأرض .

الجديدُ ، الصّحيح ، لا كلُّ ما أزجاهُ قَرضٌ ، أو جال فيه خيالُ
ولَسِرُّ الحياةِ أخفى على العقل ، ولِلعقلِ دون ذاك مجالُ
ووراءَ العِيان ، ما أعجزَ العلمَ ، فألْوَى بالزّاعميهِ الكلالُ
إنَّ في كلِّ ذرَّةٍ عالَماً حيّاً ، خَفِيلاً بسِرّه يختالُ
وستَمضي العقولُ طولاً وعرضاً وتَكُرُّ الأيّام والأجيالُ

* * *

ومَدى هذه الحياةِ ، ومعناها ، خفيَّانِ ، والمزاعمُ وَهْمُ
والذي أودعَ العناصرَ ما شاءَ ، له وحدَه ، الهدى والعِلمُ
هي مبنى الوجود ، والرّوحُ معناهُ ، ولا ريبَ ، والمقاديرُ نظمُ
فإذا أضحت العناصرُ آلافاً ، فما يَدفعُ الأهمَّ المُهِمُّ
إنّ كَوناً يَعجّ بالنّاس ، قد كانَ له والدٌ وحيدٌ وأمُّ

* * *

وثَراءُ الهواءِ تعرفُه النّارُ ، ويَعنو له الثَّرى والماءُ
وهما دونَه جمادانِ ، هذي عُنصرٌ هامدٌ ، وذاك خَواءُ
وَهْو في الماء نبضُه الدّائمُ السَّيرِ ، فإن غاب فالبحار لَغاءُ [1]
وَهْو مُزجي عُبابِها حيثما شاءت تصاريفُه ، وشاء القضاءُ
خاضعاتٍ له - على كُرهِها الأيدَ ، وهل تأنفُ الخضوعَ الإماءُ ؟

* * *

(١) لَغَاء : ما لا يعتدّ به .

إنَّ بَدْءَ الوجـود ، والخالـقُ اللّـــــــهُ ، هواءٌ مُدَوِّم ، وظــــــــلامُ

مُدلِجٌ فيهما المَدى ، حائرَ الخَطـــــــوِ ، ومـن حولـه السَّديـــمُ ركامُ [1]

حين لا بَحـــرَ ، والأديـــمُ هَبـــاءٌ لا ، ولا ضوءَ ، والجِواءُ جَهـــامُ

فسَلِ البحرَ ، أيـن كان ؟ وما كـــان ؟ تُجِبْك الفـروضُ والأوهـــامُ

من غريرٍ يَرى الجَسامـــةَ فخـــراً وهْيَ - إنْ تُخْطِئِ الرَّجاحةَ - ذامُ

* * *

صَغُرَ البحرُ ، ما الذي كانـهُ البحـــــــر ، إذِ الكـــونُ جمرةٌ تتلـــــهبْ ؟

أطفـــأتها الميـــاهُ ، وهْـــي بخارٌ حوَّلتْـه عواصفُ الـرّيح هَيْـدَبْ [2]

وتجاويفُـهُ ؟ وهـل هي ، لولا الـــــــمـــاءُ ، إلّا حفائـــرٌ في سَبسَبْ

أفكـانت تكـونُ لو تُمسِكُ الريـــــــحُ شآبيبَهـــا الغنيَّـــةَ مركَبْ ؟

وبماذا يعتَـــدُّ من عافتِ الأنـــــــفس غِشيانَه ، اصطحاباً ومَشربْ ؟

* * *

ذاك ، يا بحرُ ! مبدأُ البحر في الكَو ـــــنِ ، جماداً ، وغيهبـــــاً ، وأثيرا

كان جزءاً صُلباً من الأرض ، يُصليـــــهِ سعيـرُ الـنّيران فيها النّـــكيرا

فإذا ذاب أبـــردَ الماءُ جنبيـــــــهِ ، أهـلَّتْ به الرّيـــاح غزيـــرا

فأصابتْه بالرَّخـاوة ، والرِّخـوُ ضعيـــــفٌ ، وإن تعاظـــــــم زُورا

فَهْو - مادام - مركبٌ ليِّنُ الظَّهـــــرِ ، وإن ظنَّــه الضّعيــفُ عسيرا

* * *

---

(١) المدلج : السائر من أول الليل ، السَّديم : الضباب .

(٢) الهيدَب : خمْل الثوب .

إن حسِبتَ التيّارَ من صنعة الموج ، تحدّاك صمتُه والرّكودُ
هو للرّيح خادراً ومُضِيرا ولأمواجك الوَنَى والجمودُ
أو زعمتَ الشّطآنَ موئلَك العاصمَ ، أقذاك ركنُها المهدودُ
ذاكراً ما لقيتَ فيها وقد أسْخنَ عينيكَ ، يومُها المشهودُ
ولأحيائِك الهزيلةِ ، يا بحرُ ، بروقٌ ، زعمتَها ، ورعودُ

* * *

فتحدَّثْ عمّا وراءَك منها فَهْي ديدانُك الكبارُ الصِّغارُ
ألصَقَتْها بالقاع ملحمةُ الأمسِ ، وألْوى بلونها الإعصارُ
فإذا رنَّمتْ فذاك أنينٌ يتعالى عن خنقِهِ الجبّارُ
كم ضعيفٍ أقاله ضَعفُهُ الموتَ ، وَدُونٍ تعافُهُ الأوطارُ ؟
كنْ لها مخبَأً وقبراً ، فما تقوى على العيشِ ، هذه الأعثارُ

* * *

ضاق ذَرعاً بكَ التَّشكُّلُ يا بحرُ ! وهذا دليل ضَعف ثباتِكْ
كنتَ شمساً لولا الظّلامُ ، فبدراً ، يتمشّى الحنوُّ بين سِماتِكْ
ثمَّ بحراً ، والبحر ملعبةُ العاصفِ ، أوهَى بِهَوْلِه عزَماتِكْ
ثم ماذا ؟ يا ساحرَ الحبلِ والعُقدَةِ ! خَبْخِبْ بمعجزاتِ عَصاتِكْ [1]
أَخُواءٌ بعد الثَّقافة ، يا قَزْمَلُ ، تُرجي به ختامَ حياتِكْ ؟

* * *

---

(١) خبخَبَ : استرخى ، اضطرب .

نحنُ في دولـةِ الحقائـقِ والفكـــــــرِ ، فما تُخطيءُ العيون الحِبالا
أَلقِهـا ناشراً ضعيـفَ ألاعيــــــبِكَ ، تُضحِكْ بِسخفها الأطفالا
كلما صِحتَ يا ثعابينُ ! أو دَمــــــدَمْتَ زيفاً خَفّوا إليك عِجالا
وأجالوا في قُفّة السّاحــر القَــزمِ عيونـاً ترى المَحـال مُحالا [1]
قد تولّى الزّمانُ ، يا سِلْخُ بالسّحــــــر ، وأَلــوَى به الجديـــدُ فزالا

* * *

وطوت صرخةُ الشَّبـاب أمانيــــــك ، وما يُعجِز القويَّ الضعيفُ
دع مجال الجيـادِ للنَّفــر السُّبّــــــقِ ، وازحَف فقد عداك الوحيفُ [2]
فوق ما تستطيعُ من سحرِك الأعــــــرجِ ، سُخْرٌ تغزوك منه صنوفُ
أنتَ منها ، كما يكـونُ من الطَّــوْ ـــد المُنيفِ الذُّرى ، الهزيلُ الخفيفُ
بهلوانيةُ الحِجى غَرَضُ الحَمــــقَى ، ويَروي ظَما المُقِلِّ الطَّفيفُ

* * *

ليس إلا الحبـالُ ، يا ساحرَ العُمـــــي ! فأعـــدِدْ مُغارَهـا للبرازِ [3]
وتخيَّــرْ طُوالَهـا ، تدفَـع التُّهــــــمَة ، عنها وعـنكَ ، بالإعـوازِ
فعساها تُعَدّ ، إن أفلسَ السِّحــــــرُ ، دليلَ الخُفـولِ والإعجـازِ
لن ينالَ الثَّرثارُ ، بالطُّول والإطــــنـابِ ، شأْوَ البليـــغ بالإيجازِ
إنَّ بعضَ الإسراف يُشعِـر بالعُـــدمِ ، وبعضَ الكلام مثلُ النُّحـازِ [4]

* * *

(١) المَحال : (بفتح الميم) ، جمع المحالة : الحيلة ، لابدَّ منه . والمِحال (بكسر الميم) الكيد . والمُحال : (بضم الميم) ، المستحيل .

(٢) الوحيف : مكان بمكة كانت ترمى به الجِيف .

(٣) المُغار : الحبل المفتول فتلاً شديداً .

(٤) النُّحاز : داء يصيب الدابة بالسعال الشديد .

والقليلُ الفيَّاضُ بالحُسن والرَّوعةِ ، يَعنو له الكثيرُ الحقيرُ
إنَّما توزَن الجواهر بالمِثقالِ ، والمعدِنُ الخسيس وفيرُ
وتَزينُ الكلامَ مقدرةُ القائلِ ، يَزهو به الحِجى والشّعورُ
ولقد يؤثَرُ الصّموتُ على القولِ ، ولا يَبلغُ القليلَ الكثيرُ
ويكونُ الكثيرُ دَحضاً إذا أَرسَلَ آياتِه المِفَنُّ البصيرُ [1]

* * *

أَثَرُ الفنّ في النّفوس نداءٌ لمعانيه لا تدقّ الطّبولُ
والأُجاجُ المَرير ، وَهْو غزيرٌ ، دونَ ماءِ الغَمام ، وَهْو قليلُ
وصنيعُ الفنّان في الصّورة الصُّغرَى كبيرٌ ، رغمَ الحدود ، مَهولُ
وعسى نبرةٌ ينِدُّ بها الصَّوتُ ، وقد دَقَّ دونَها التّهليلُ
وعسى جملةٌ من اللّفظ ما يَبلُغ تأثيرَها ، الكلامُ الطّويلُ

* * *

أيُّها الساحرُ المدمدِم بالشعرِ ، هزيلاً ، وَهو القَميءُ الهزيلُ
مُدَّعو السِّحرِ والقريض كثيرٌ غيرَ أنّ المصدّقين قليلُ
ولَبعضُ الكلام والسِّحر ، يا بحرُ حُواءٌ ، وبعضُه تضليلُ
والمعاني على الجميل شُهودٌ وعلى قُدرة القديرِ دليلُ
رُبَّ سيفٍ يرتَدُّ في كفِّ ذي الجُبْن كَهاماً ، وهْو الجُرازُ الصَّقيلُ [2]

* * *

(١) المِفَنّ : كثير التفنن .

(٢) الجراز : السيف القاطع . الكَهام : السيف الكليل غير القاطع .

أنتَ من سحركَ الملفَّقِ في دنـيا خداعٍ ، وهـل يَرى المخدوعُ ؟

وعلى عرشكَ الخيالـيِّ ، مذْ أذَّ نَ داعـيك ، هُزْأةٌ مخلـوعُ [(١)]

وحوالَيك ، من خَشاش الأنـاسِـيِّ ، أصولٌ كرهتَها ، وفـروعُ

ذاك سُورٌ مهـدَّم ، أنت فيـه ، كلَّ يومٍ ، مُرزَّأٌ مفجـوعُ

كلّمـا قلتَ : قام جانِبُـه ، مال ، وخَرَّتْ على قفـاك الصُّدوعُ

* * *

كلُّ دعوى سَبْقٍ يكـذِّبها الـواقعُ ، يومَ الرِّهان ، دعوى الكسيحِ

وكـذا تَسخـر الحيـاةُ ، وتلقـاك ، إذا رُمتَها ، بوجه المُشيحِ

قد كفَتْه الكفـاحَ خيبـةُ آمـالكَ ، فيها ، وآهـةُ المقـروحِ

أيُّ غايـاتِك المقيتـةِ لم تَبـكِ عليها بعَبرة المكبـوحِ ؟

قَسَماً ما تُصيب من عيشِك المُـرِّ سوى ما تُصيب كفُّ الطَّليحِ !

* * *

تُرَّهـاتُ الأوهـام ، يا ساحرَ القُفَّـةِ ! تغـدو فضيحـةً لِذويها

وفنـونُ الجنـون كُثرٌ فهـلّا اعْـتَـمْتَ منها أدقَّهـا تمويها [(٢)]

قَدُمَت هذه الألاعيبُ ، مذ شِخـتَ ، فجـدِّدْ طِلاءَهـا لِتَـقيها

وتفتَّـقْ عن لعبـةٍ ، تخدَعُ النّـاسَ ، تكنْ بعدَهـا السَّرِيَّ - النَّبيها

وتنكَّبْ مصارعَ الجِدِّ ، فالجِـدُّ زَبـونٌ ، يَطـيش رأسُك فيها [(٣)]

* * *

---

(١) الهُزأة : الرجل يُهزأ منه .

(٢) اعتمت : من العتمة وهي الظلام .

(٣) الزبون : الشديدة الصدام .

إنَّ دون الــــذي تحاولُ ، يا لقّـــا.........قُ ، بالزَّيـــفِ والعـــزائم ، صِلّا [1]
يَلقَفُ الزَّيفَ ، والرّعونـةَ ، والبا.........طلَ ، والسّحرَ ، مكثِراً ، ومقِلّا
بين فكَّيـــه مصرعٌ فاغـــرٌ فا.........هُ ، تلاقِي فيه الرّغـائبُ ثُكـلا
ينتهي السّحر عنده ظاهرَ الضّعـ.........فِ ، وتجثـــو بهِ الخوارقُ عُزلا
ينفُض الساحرون باطلَهـم فيــ.........ـه ، ولو خُيِّروا لصانوه بُخـلا

* * *

لم يضِق بالـــنّضال ماضيـه والحا.........ضرُ ، أو أفقُه البعيـدُ الرحيبُ
شَغَلَ الناسَ صيتُه البـارزُ النّـا.........صعُ ، حبّاً ، وسَطوُه المرهـوبُ
وأفاعيلُــه بمثــلِكَ ، لا السّحْـ.........ـرُ اتّقاها ، ولا ثَناهـا اللَّهيبُ
يَرجُف الموجُ دونَها مُرعَدَ العمـ.........ـقِ ، ويَقذَى بها الفضاءُ الرّغيبُ
تلك آثـارهُ تحدَّى بها الــعُصْ.........ـمَ ، وإن كابرَ الخِصمُّ الكذوبُ [2]

* * *

صاغَها معجِزاً ، ورتّلها شِعــ.........ـراً ، تغـنَّتْ بسحـره الأيـامُ
وأصاب الجَمـالُ فيها أمانيْـ.........ـه ، رُواءً ، والفــنُّ ، والإلهامُ
مِن ينابيعهـا تدفَّـقتِ الفتـ.........ـنةُ ، سُكْراً ، ما تدّعيه المُدامُ
تَتغـذّى به النّفـوسُ ، وتستهـ.........ـدي سَناه ، القلـوبُ والأقـلامُ
كُتِبَتْ في صحائِف الخُلد ، والخلـ.........ـدُ لأشباهِهـا – وقُـلْتُ – تُوامُ

* * *

---

(١) الصّلّ : أخبث الحيات .

(٢) العُصْم : جمع عِصْم وهو المتمكن ، المعتصم بالمكان أو بغيره .

كاثَرتْ بالقليـلِ أَغنَـى المجدّيـــــ......ـنَ ، فما يفعل القَمِـيءُ المقِــلُّ
الَّـذي يزعُـم الإطالــةَ في القــو......لِ ثراءً ، وشأنُــه منــه ضَحــلُ
مَطَلَتـه الـذّرى أمانيه ، فأقــ......ـعَــى ينــوءُ طَوراً ويغلــو
قلِقــاً ، ما يَقِــرُّ ، كالموثَــق المجــ......ـهــودِ ، أَلْــوى به قويٌّ مذِلُّ
بِمَ يحتال للحيــاة ؟ وهــل يَلــ......ـقى مَجالا بين الغضافِرِ وَعْــلُ ؟[1]

* * *

مسرَحُ الأسدِ ، يا وعولُ ! على البعـ......ـدِ ، خيالٌ عذبٌ ، وحُلمٌ جميلُ
أقبلي ، أدبِري ، حوالَيه ، لا يثـ......ـنيكِ عن وِرده الرَّوِيِّ ، نُكـولُ
وأُزيحي السّتــارَ عنــه، فمــا تر......هَبُ ، ما يَحجب السّتارُ ، الوعولُ !
فإذا أيقظَـــتْكِ رائحـــةُ الأســ......ـدِ تَناءَى بكِ السَّبيــلُ الطَّويــلُ
والمَــدى بينها وبيــنكِ وعـــدٌ شهِـدَ الجبــنُ أنّــه ممطــولُ

* * *

فاصنَعي بالخيـالِ ، ما يجعلُ الــوا......قعَ كِذْبــاً ، وخِدعـــةً أو هُراءَ
أتكــونُ الحيــاةُ وَعليّـــةَ الطّعــــ......ـمِ ، إذا الحقُّ ، في دجاها ، أضاءَ ؟
ولــذا كانت الوعــولُ على الأســ......ـدِ قياماً ، ومــا تقــول افتــراءَ
أفمــا ترسلُ النّبـيبَ طويـــلاً ؟ فهْــي أقــوى من الضّواري أداءَ[2]
ذاك من منطقِ الوعـول ، وهـل تبـ......ـلــغُ منــه الليـــوثُ إلّا مِراءَ ؟

* * *

---

(١) الغضافر : جمع غضنفر وهو الأسد الكاسر .

(٢) النّبيب : صياح التيوس .

فإذا قلتَ : إن في زأرة اللَّيــــــ.........ــثِ لهيباً ، يذوب فيــه النَّبــيبُ
ودبيبــاً يمشِي له الشَّيبُ في الأنــ.........ـفسِ ، لو كانت النّفــوسُ تَشيبُ
ومعــانٍ من الصَّلافــة ، والقــوَّ.........ةِ ، والهَول ، دونَهنَّ الخطــوبُ
أنكــرتْ قولَكِ الوعــولُ ، وأدْلَت بِهُــراء يَحــار فيــه اللّبــيبُ
واستجاشَت صغارَها ، ومَضَت تُمــ.........ـعِنُ في تيهِ جهلِهــا ، وتَلــوبُ

* * *

وتعــاوَت ، يصيــحُ هذا فيتلــو.........هُ مُسِفٌّ ، أو أُرعَــنٌ مستخــفُّ
وأجــالَت أذنابَهــا في مجالِ الــ.........أمنِ ، والأمنُ للمهازِيل سِجفُ
أتَراهــــا تجولُ في مَربَض الآ.........سادِ ، حيث النّفوسُ تَهوي ، وتطفو ؟
لا ! ولكــنَّ في النبــيبِ عَزاءً فليكنْ نبعَهــا الــذي لا يَجــفُّ
هي في حُرمةٍ من الضّعف والعَجــ.........ـزِ ، ولــيثُ الشّرى قويٌّ يَعِــفّ

* * *

وهْــي في مخبــأٍ ، تُجانبُــه الأُســ.........ـدُ ، حياءً ، أو سَمِّــهِ : إبقــاءَ
أفمــا تَفْــرَقُ الوعـــولُ إذا لا.........ح خيالُ الشَّرى ، فما تَتــراءى ؟
فلهــا أن تصولَ بالقَــرن والظِّلــ.........ـفِ ، وأن تملأَ الحيـــــاةَ هُراءَ
ولكلِّ مدًى ، وقــد عرفَ النّــا.........سُ مَداهــا ، حقيقــةً وادّعــاءَ
ولِمَــن أثخــنَتْ صروفُ الليــالي فيــهِ أن يُشِبــع الصُّروفَ عِداءَ

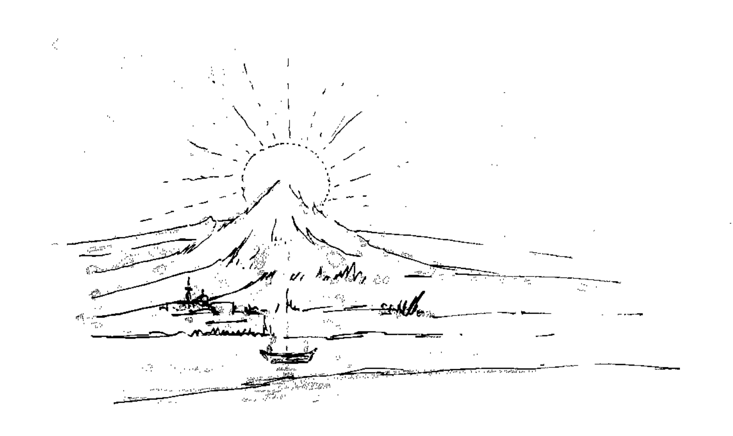
* * *

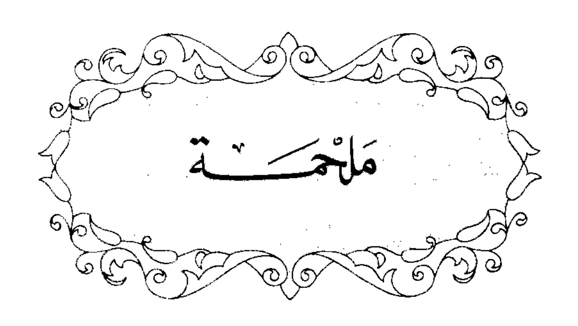
ولقد تَصمُتُ السِّباعُ ، وفي الصَّمــ.........ـتِ أداةٌ من بأسِهــا وقُواهـــا

ولقـــد تصرَخُ الوعـــولُ ، وفي ذا.........ك معـــانٍ من خوفهـــا وجَواهـــا
فإذا ما تكشَّفتْ ساعـــــــــةُ الهو.........ل حَمَت وثبـةُ السِّبـــاع شَراهـــا
وطـوَت مسرحَ الوعـولِ ، ودكَّتـــ.........ـهُ ، فأمسى بقاؤُهـــا كفَناهـــا

* * *

وانـــزوَت تُشبِـــعُ الظَّـــلامَ عُواءً   أو أنينـــاً ، فمـــا تُطيـــقُ العُـــواءَ
ولقـــــــــد يَعصِفُ الهواء بمأوا.........ها ، فيغـــــدو به الهواءُ هَبـــاءَ
فإذا أقبـــلَ النَّهـــارُ اطمـــأنّتْ   وأقـــامت عواصِفـــاً هَوْجـــاءَ
زاعمـــاتٍ قرونَهـــا أَسَلَ الطَّعـــ.........ـنِ ، وآيـــاتِ نصرِهـــا الغُلَـــواءَ





مَلْحمــــة

خير ما يُتقرَّب به إلى الله ، هدمُ الضَّلالات . وشرّ الضّلالات ما اتّصل ببواطن النفوس المطمئنة ، فمسَّ موضعَ الإيمان منها ، أو اصطاد العقائد الثابتة ، فوخز قُدْسَ الثّقةِ فيها ، متلبّساً بلباس السَّلاح والتّقوى .

وبعد ، فهذه كلمة نَذود بها عن الحقّ والدّين ، وما نطيق أن نسكتَ على أن يزعم زاعم أنّ القرآن نشيدٌ يضاهي أناشيدَ المخاليق ، وتُتلمَّس الصِّلة بينه وبين موسيقى (بتهوفن) وغناء (مَعْبَد) .

ونستمدّ العونَ من الله ، وحدَه ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

(الناظـم)

قلْ لِضاوٍ ، خافَ الصِّيال ، فعَرَّدْ لِمَ ؟ والعهـدُ بالسَّبيـل ممهَّـدْ ؟[1]

تتوارى خلفَ الكناياتِ والرَّمـز ، كما يَرسُف السَّجينُ المصفَّـد ؟

ما مديـحُ النَّبـيِّ تُقْيَـةُ مَن مُسَّ فحَامَـى ، أو استشاط ، فعَربـد

هو قدسٌ ، لا يَنتحيـه الصَّعاليـك ، وطودٌ لا يَستجيب لِمُقعَد

والجهـادُ الصَّريح شأنُ القديريـنَ ، فهلّا ! وموقفُ الجِدّ يَشهـد !

* * *

(١) الضّاوى : الشديد الهزال . الصيال : المبارزة . عرَّدَ : هرب .

يا مُسمٍّي آيَ الكتــابِ نشيــداً ومُضاهِيــــهِ بالنَّظيـــــمِ المقصَّدْ
أيُّ أعمــى بصيرةٍ قال ما قلـــــــتَ، وأجرَى (بتهوفن) فيهِ و (مَعبَد)؟[1]
أفكــان القـــرآنُ تطــريبَ شادٍ يَتغنَّـــى به لسانُ (محمَّـــد) ؟
إنّهـا عَثْرَةُ الضَّلالةِ ، والحقُّ لأمثالِهـا ، وشُهْبٌ ، بمَـرصَد
لا لَعاً ، والدفاعُ عن شِرعة الدِّيـــن جهادٌ ، إن حَقَّ لا نتردَّدْ[2]
واخترَطْنــا له براعـــةَ جبّـــارين ، خُمْسٍ ، من حاسِرٍ ومُسرَّد[3]
وهُدى الدّينِ قائدُ الفِطَرِ السَّمْــحُ ، ومَن يُخطيءُ الهدايةَ - يَجحد

* * *

أنكرَتكَ الأفهـامُ ، يا مرسِلَ الشّعــرِ ، مَتاعاً ، لا كان مُزجيه ، مُكسَد
ورأى النّـاسُ كيـف يَركب بالنّكــتةِ طبعٌ ، ظنَّ اللّـواءَ (تَمـدُّد) !
و (الكوى !) ما تكون من جُهد أبطالِ ، أهـــابت به قيـــادَةُ أحمد
لم يكـن في صِحـاب أحمَدَ رِعديـــدٌ ، دعـاهُ داعـي الجهـادِ فَعَــرَّد

---

(١) بتهوفن : (١٧٧٠ - ١٨٢٧ م) مؤلف موسيقي ألماني ، من أبرز عباقرة الموسيقى في جميع العصور ، وضع تسع سيمفونيات ، أصيب في أواخر عمره بالصمم شبه الكامل ، ولكن ذلك لم يعقه عن مواصلة الانتاج ، بل أبدع بعد عاهته أروع أثاره وبخاصة « السمفونية التاسعة » المعروفة بـ « الكورال » .

معبد : (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) مغن عربي ، كان مولى لبني مخزوم ، نشأ بالمدينة يرعى الغنم ، ثم ارتحل إلى الشام . لمع نجمه في عهد بني أمية . وضع ألحاناً عرفت بـ « مدائن معبد » ، لما أفرغ فيها من الصنعة والتجديد ، فكأن كلاً منها مدينة من المدن .

(٢) لعاً : صوت فيه معنىً الدعاء لمن تعثر قدمه و (لالعا) دعاء عليه .

(٣) اخترط : (السيفَ) استلّه . الحاسر : من لا درع له ، أو لا شيء على رأسه ، وعكسه : المسرّد : وهو لابس السّرد أي درع الحديد .

(يا كوى !) – والكوى خيال الصَّعاليـ......ـكِ ، أهـذا وَشْيُ البيـانِ المُجَـوَّد ؟
(الكوى !) هِيهِ (والتمدّد !) والرّا......يةُ ، يا صاحبَ القـــريض المجدَّد !
ليتَ مَن أَوْهَمَتْهُمُ ، فيكَ ، دَعْوا......كَ ، يَرَون المكسُوَّ كيف تَجرَّد !
وبـــدا عارِيَ القـــريحةِ والسَّوْ......ءَةِ يَلقَـى شمساً بمقلـة أرمَـــد !
غَصَّ بالسَّابـــقين ، قصَّر عن شأْ......وِ ، وأراغُـوه ، فالتظـى وتلـــدَّد [1]
ومَشَى في غبارِهـم ، ساقِطَ النَّفـــ......ـسِ ، لُغوبـــاً ، بأَخبثَيْـــهِ مُزوَّد [2]

* * *

وَيْكَ ! مازِلتَ أخرقَ الرّأيِ والخُطَّـ......ـةِ ، ذا شيبـةٍ ، وكهـلاً ، وأَمـرَد !
أنا مَن لا تَعِبْهُ إن دعا الجـ......ـدّ ، قوافيه في مَغيب ومَشهَد [3]
مصغياتٌ لها المحافلُ ، ما تا......هَ ، بِمَرْوِيِّها ، الحديثُ المردَّد
وأنـا المرسِلُ الكـلامَ شَآبيـــ......ـبَ لَهيبٍ ، تَشقَى لهنَّ وتَسهَد !
والــذى عوَّدَتْــه همَّتُــه الطَّعـــ......ـنَ ، بِداراً ، ونِعـمَ شأنُ المعـــوَّد [4]
وأنـــا السّاحـــر المعيــدُ العماليـــ......ـقَ ، قِمـاءً ، والزّيـفَ وَهماً مبـدَّد !
أنـــا هذا ، فدع نشيـــداً تلقّتـــ......ـه قلوبٌ ظمـأى ، فغارَ وأنجَـــد !
وأَلِـحْ لي بصفحـــةٍ ، ضَرب الـــذ......ـلّ عليها شِعـــــارَه وتأبَّـــــد !!
وإذا شاقك الخِطـــــار ، فلا كا......نَ يَراعٌ دعـــا الخِطـــارُ ، فبلَّـــد !

* * *

---

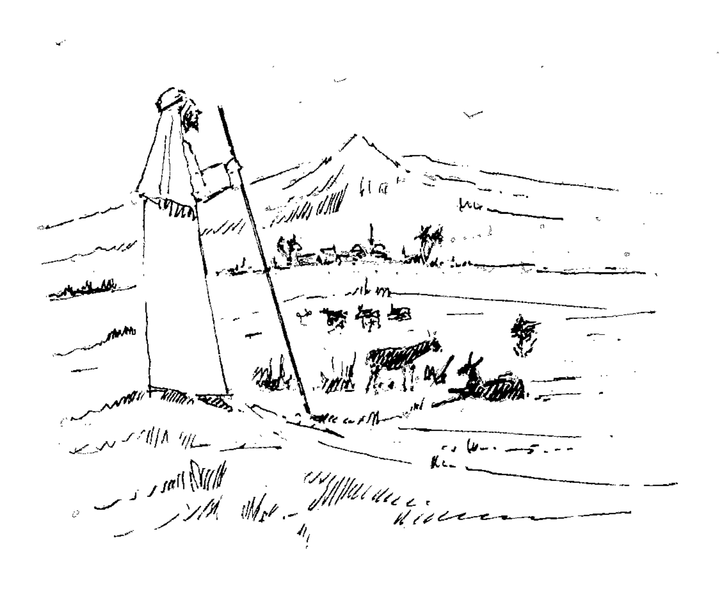
(١) تَلَدَّدَ : تلفت تحيّراً ، تبلّد .
(٢) الأخبثان : البول والغائط ، اللّغوب : التعب ، الإعياء ، الكذب للإفساد .
(٣) تعبه : تستطيع وصمه بالعيب أو التقصير .
(٤) بِداراً : مسرعاً ، مبادراً .

أيّها النّاظم الـذي يَشرَقُ القـو......لُ بفيه ، من الكلال ، فيخمَـد !
البيـانُ المضيءُ ما أشرقَت فيـ......ـه معانيـه بالفِرنْـدِ المنضَّد
والنّظيمُ الأخّاذُ ما أطلَق الفِتـ......ـنَةَ فيه ، عفوَ السّجيّة ، مفرَد
كلُّ لفـظٍ منـه هَزارٌ ، إذا نا......غاه حُسْنُ المعنى ، أجاب فغـرَّد
وثَراءُ الأفكـارِ بالـمُشرِق النّـا......صع ، تَسمو به الغُيوم وتَصعَـد
والخيالُ الممتدُّ ، في أُفُق الفكـ......ـرِ ، خِضَمٌّ أَمـداؤُه ما تُحـدَّد
تَتسامـى به رُؤى العبقريّـ......ـن ، جَمالاً طَلقاً ، وسِحراً مجرَّد
لا لُهاثـاً ، تردَّدَتْ فيـه أنفـا......سُ ضعيفٍ ، تَغيب فيه وترتـدّْ
وذُرى الفن ، للبصيريـن بالفـنّ......، مَقـامٌ على الزّمـان مخلَّـد
تتلقّى سفوحُهـا نَهْلَـةَ الـخِصـ......ـب ، فتربو ، فَوّاحـةً ، وتَـوَرَّد
والجديد الكـابي جَديبٌ ، وإن فا......ض به الغَيثُ ، ساكباً ، وتـردَّد
رُبَّ نامٍ زَكا على بسمـة الغيـ......ـثِ ، وذاوٍ إن يَبلغِ الرِّيَّ يَكمَد
وسبيلُ الحياة ، في الخِصب والجَدْ......ب ، يَراه الجهولُ لُغـزاً معقَّـد
إنّ سرّاً يخبو به الهَرِمِ الشا......ئهُ سِرٌّ في ناشئٍ يتوقَّـد
وحياةُ الزَّمْنَـى فنـاءٌ ، وإنْ ظنَّ......وجـوداً ، أو ادّعـى ، وتكبَّـد [1]
وصراعُ الحيـاة قانونُـه القـوّ......ةُ ، لا الضّعفُ ، إن وهَى أو تجلَّد
وسلاحُ النفوس ، في زحمة الكـو......ن ، سجايا ، تَشقى بهنّ وتَسعَد
وطريقُ القـويِّ ، في هذه الدّنـ......ـيا ، سواءٌ عسيـرُه والمعبَّـد
وطِماحُ القلوب يخترقُ الوعـ......ـرَ ، وُثوباً ، بعَزْمَةٍ منه أصلَد

---

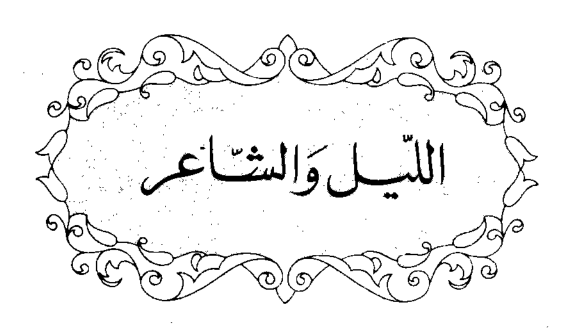
(١) الزَّمنى : جمع زَمِن ، الضعيف المتراخي من توالي مرضه المزمن .

والضّعيفُ الكليلُ ينفُثُ شكــوا.........ه ، دموعاً حَرَّى ، ويـأساً مصعَّـد
كلّمـــا هَبَّ خانــه هَرَمُ النّفـــــــ.........ـس ، فأَقعى واهيْ العزيمة ، مُجهَد
واشتكى « شجوَه » إلى « أنجم الأفْـ.........ـق » ، وأرغى على « الفَرُوق » ، وأزبَد [1]
داعيـاً « حظّـه » دعـــاءَ المهازيـــ.........ـل ، فلا اعتَــدَّ النّبـــال ، وسدّد
حافزاً « قلبَه » الرَّثيثَ ، وهل لبّـــ.........ـىْ فؤادُ المشفِــي نِداً فأسعـــــد
الكفافَ ! الكفافَ ! يا « مُشبِهَ الزَّهـ.........ـر » « بروزاً ! » والعيش مرّاً منكّد
والخجولُ المجفوُّ ! والسّخرُ ! والقلّـ.........ـةُ ! فاطمَعْ ، إذا رجَوتَ ، أوِ ازهَد
فالعماليقُ - أيّها القَــزمُ للسّبـــ.........ـق ، إذا ذلَّ ساخـــط ، أو تمرّد
وأبَـــرُّ الجهـــاد هَدمُ الضَّلالا.........تِ ، فهل يَسنَحُ الجهادُ ، ونَزهَد ؟



---

(١) الفَروق : الشديد الفزع .



اللّيل والشّاعر

مبدأُ النّزاع بين الخيرِ والشّر قديم دائم ، ما تَهدأُ ناره ، والنّفس الإنسانية مَيدانُه المزدَحِم بالضّحايا .

وهذه خواطرُ ونظراتٌ شتّى في اللّيل ، تمثّل صورةً من صوَر الصّراع بين حقائق النّفس ، وحقائق الدُّنيا – كما هي – أو بين الواقع والواجب ، فإذا أوشكَ العقل أن يَزِلَّ ، قادته بَصيرةُ الدّين الثّاقبةُ إلى الطُّمأنينة والاستقرار .

(الناظم)

يا شاعرَ الكَونِ ، وفنّانَه	وعبقريّاً ، صاغ ألحانَه !
وعاشِقاً ، أوطأَه قلبُه	مَخاطرَ الحبِّ ونيرانَه !
جافَى الهوى ، لا خائباً عندَه	وإنّما أُنكَرَ ميزانَه
لم يَسأمِ الحُسنَ ، ولا وَحيَه	ولا اجتَوى الحبَّ وأشجانَه
لكنّه ، والطُّهرُ مأمولُه	عافَ دَناياهُ وأدرانَه

* * *

يا صامِتاً ، يَشكو إلى نفسِه	آلامَ بَلْواه ، وأحزانَه !
يَرى ويُصغي مُطرقاً واعياً	لا تخطِئُ الهَمسةُ أُرْغانَه[1]
سهرانُ – والعالَمُ في حِضْنه	غافٍ – يَعقُّ النّومُ أجفانَه[2]

(١) أُرْغانه : محوَّرة عن « أُرْغُن » الآلة الموسيقية الوترية المعروفة .

(٢) يعق : يعصي .

هل غابَ آسيهِ ؟ وما خَطْبُه ؟ وهــل أضَلَّ الأَينُ نُدمانَــه ؟

* * *

يا لَيلُ ، يا رمزَ الغِنَى والجَوى يا ظامئاً ، جانَب غُدرانَــه !

مَورِدُك الحافلُ يُطفِي الظَّمــا يَغبِــــطُ وُرَّادُك جيرانَــــه

وأنتَ تأْبـــاه ؟ فيـــا لِلْغِنـــى يختـــارُ من دُنيـــاه قِنعانَــه !

* * *

يا فيلسوفاً ، أُصغَـرَتْ نفسُه مناعِــمَ العــيشِ وألوانَــه !

قد سايَــرَ الماضِيْ وأحداثَــه فكَـــرِهَ الآتِيْ وبُهتانَــــه

ورافــقَ النّـــاسَ وأهواءَهـــم فعـادَ وارِي القــلبِ غَصّانَــه

أنكَـرَ ، ما أنكـرَ مِن شأْنِه ؟ حتَّى جَفا الدُّنيـا وخُلاّنَــه ؟

هل خَبُثُوا ؟ فالطّيـنُ أصلٌ لهم نعـرِفُ في الأفعـالِ بُرهانَــه

* * *

يا آسيــاً ، ضاقَ بأوجاعِــهِ ومُسعِــداً آثَــرَ حِرمانَــه !

كَم ساخـــطٍ زايَلَــه رشدُه مُستَيئِساً أُسكَــنْتَ بُحرانَــه[1]

ومُوجَـــعٍ مُتَّقِـــدٍ قلبُـــه مَضاضَةً ، أُطفَـأْتَ بركانَــه

وبـــائسٍ ، ناداكَ ، لبَّيتَـــه والصَّبرُ - وَيْحَ الصَّبرِ - قد خانَه[2]

لا بِنعيمِ العيشِ ، بل بالرِّضى .. بل بالرِّضى حقَّق غُنيانَــه[3]

---

(١) البحران : التغير في وضع المحموم فجأة ، فيعرق ، وتهبط حرارته ، وهو من اضطراب الحمّى .

(٢) ويح : كلمة ترحم وتوجع . وقيل هي بمعنى : ويل .

(٣) الغُنيان : الحاجة ، يقال : ماله عنه غنيان ، أي : ماله عنه بُدّ .

وعــاشقٍ يخفِــــقُ في صدرِه   قلبٌ يهُــدُّ الوَجـدُ أركانَــه
بادرتَــه بالهاجــر المرتَجَــى   .. في أمــلٍ آنَسَ وُجدانــه
وأمِّ طفلٍ - أَنَّ في حِجرِهــا   تُحِسُّ كالأسهُــمِ إرنانَــــه[1]
تَرأمُـهُ .. تَلحَــظُ أنفــاسَه ..   مذعــورةً .. تَرهَبُ فِقدانَــه[2]
أهديتَــه النَّــومَ رفيقــاً به   فقَــرَّ ساجي الطَّرفِ وَسنانَه

* * *

يا ليلُ ، يا ليلَ الهَوى والرُّؤى   يا مُلتَقى الفــنِّ وديوانَــه !
ويـا شعـاعَ السِّحرِ ، يا نبعَه   ومِشعــلَ الفكــرِ ورُبّانَــه !
يا نافثَ الفِتنــــةِ رفّافَــــةً   وعَبقَــرَ الشِّعــر ودِهْقانَــه ![3]
تُلَقِّــنُ المُطــرِبَ ألحانَــــه   وتُلهِــمُ الشّاعــرَ أوزانَـــه
وِشاحُك الأسودُ مُلْقٍ على الدُّ.........نيــا رؤى الــحُسنِ وأفنانَــه

* * *

سامَرتَ (أُوتيرِبَ) على عُودِها   تَسكبُ في أُذنَــيكَ تَحنانَــه[4]
أَلـقَت (أَراتـوسُ) على وَقعِه   من شِعرِهــا البــارع فَتّانَــه[5]
يَنسى (كيوبيـــدُ) له قوسَه   ويزدَري (فويبوسُ) شيطانَه[6]
كأنَّـــــــه بين يدَيها ، إذا   تَداوَل (المِضرابُ) (دُوزانَه)[7]

---

(١) الإرنان : الصوت .
(٢) ترأمه : تحبه وتعطف عليه وتلزمه .
(٣) الدّهقان : السيد الرئيس والخبير .
(٤) أوتيرب : رمز الموسيقى في الأساطير اليونانية .
(٥) أراتوس : رمز الشعر في الأساطير اليونانية .
(٦) كيوبيد : رمز الحب في الأساطير اليونانية . فويبوس : رمز العبقرية في الأساطير ..
(٧) المضراب : آلة الضرب مثل العود وما أشبه . الدوزان : ضبط النغم .

فانطلَـــقَت أوتــارُه ، نافِثــاً من شَجــوِه ما مَلَّ كِتمانَـــه
مزمـارُ داود ، وقـد رجَّــعَتْ مواطــنُ الإحساسِ إحسانَـــه

* * *

يا ليلُ ، يا قائدَ جيشِ الدُّجى يا بطـلاً ، خلَّــدَ فُرسانَـه !
ومعجِزاً ، يَنهضُ ، ما حاولَت أفهــامُ حسّادِك نُكرانَــــه !
وآيــــــــةً للهِ ، فيها يَدٌ بيضاءُ ، جلَّ اللهُ سُبحانَــه !
ويـا حليمــاً جاعِــلاً سيفَــه أخلاقَــه الغُــرَّ وإيمانَــــه !
يا فاتِكـــاً مَلَّ ، على قُوَّةٍ ، ضَراوةَ الفــتكِ ونِشدانَــه !
وراعيــاً أَضنَكــهُ جَهـــدُه فنــاءَ ما يَحفِــل قُطعانَــه !
في صمتِك الموهوبِ ، في سطوِهِ ما أخجلَ البحرَ ! .. وشُطآنه !
خالَكَ معنَى الشَّرِ أو رمــزَه (ماني) ، فاستنفرَ أعوانَـــه[1]
وثـار يُزجي حِقــدَهُ ضَعفُــه وتُعلِــنُ الغَيْــرةُ عِصيانَـــه
وأنتَ لم تَعبــأ له مُقبِـــلاً أو مُدبِراً ، مُحتَقِــراً شانَـــه
حتّــــى إذا مَدَّ له جهلُـــه مطامــعَ الوهــمِ وأرسانَـــه
أَعلــنتَ من سِرِّكَ ما هالَـــه فارتــدَّ ما كابَــر إمكانَـــه
تسخَـــرُ ممّـــا نالَـــه نفسُه به ، فتستضحكُ أقرانَـــــه
قسوتَ ، يا ليلُ ، على مُثخَنٍ أَدبَر ، خابِي العَزمِ ، وَهْنانَـه[2]

(١) ماني : صاحب عقيدة مزعومة ، تقوم على مبدأ الثنوية ، قوامها الصراع بين الخير والشر ، أو النور والظلام ، موطنها بلاد فارس – قديماً –

(٢) الأدبر : الهارب لفساد . خابي العزم : خائر القوى . الوهنان : الشديد الضعف .

يَقبَـعُ في عُزلَتِـه مُعـوِلاً أو لاغباً ، يَجتَـرُّ أُضغانَـه[1]
ردَّدَ في أُذنَيه هَمسَ الدُّجى والخوفُ قد زعـزَع جُثمانَـه
اللّيـلُ .. إنَّ اللّيـلَ مُرُّ السَّطا يَحمِي رهيبُ الهَولِ مَيْدانَه[2]

* * *

يا ليلُ ، يا ناسِكَ هذا الدُّجى وزاهـداً ودَّع أوطانَـه !
معتـزِلاً دُنيـاه في وَحشَةٍ عُمْـرُكَ ، ما قضَّيت رَيعانَـه
وتَسأمُ العيشَ ؟ فيا لِلأسى ! نَقـراً في صَمـتِكَ عنوانَـه

* * *

يا ليلُ ، هذا سرمَدٌ ، ما يَني ، يُغِـذُّ ، ما يُمهِـلُ رُكبانَـه
الأبدُ المُمعِـنُ في سَيـرِه متـى تُرى يَقطَـعُ أشطانَـه ؟
والفـلَكُ الـدوّار مستيقظـاً هل سَئمَتْ عينـاه شُهبانَـه ؟
ونحن أسرى عالَـمٍ دائِبٍ نائمُـه أشبَـهَ يَقظانَـه
فمَـن تُرى يَمطلُـه دَينَـه ؟؟ أو مَن تُرى يَخلَـع سُلطانَـه ؟
فأنـهَض بأعبـائِك ذا قوَّةٍ ودَعْ لِنجوى الضَّعف رُهبانَه
ولْتكنِ الدّنيا على قُبحِهـا ، حُسناً يوارِي العقلُ نُقصانَه
فرُبَّ نَقصٍ في جَمـالٍ غدا نَشـيـدُهُ الحبّ ولُقيانَـه
فاضَ به الحُسنُ ، وطابَ الهوى وأيَّـدَتْ نَجـواه إعلانَـه
والنَّقصُ في الكَونِ كَمالٌ له يَحـدو إلى الغايـة أظعانَـه

* * *

(١) يقبع الرجل : يدخل رأسه في ثوبه . الأضغان : جمع ضغن ، الحقد .
(٢) السّطا : لعله يقصد السّطو ، بمعنى القهر والبطش والغلبة ، على أن مصدر سطا : سطو ، وسطوة .

يا ليلُ ، هل يغفلُ عنك الورى … نكرانَك العيشَ وهِجرانَه ؟

كلّا ! فهذا عالَمٌ جاحِدٌ … مَدِينُه يَمطُلُ دَيّانَه[1]

يا ليلُ ، هذا عالَمٌ ثائرٌ … واثبَ فيه إنسُه جانَه !

يا ليلُ ، هذا عالَمٌ أهوَجٌ … بَيدَقُه طاوَلَ فِرزانَه[2]

يا ليلُ ، هذا عالَمٌ سادِرٌ … رَشيدُه صاحبَ غَيّانَه !

ضعيفُه مفترِسٌ جهرَةً … حاكَت يدُ الطُّغيانِ أكفانَه

يا ليلُ ، ما غِشيانُنا عالَماً … كاسيهِ لا يرحَمُ عُريانَه ؟

عالَمنا – يا ليلُ – ذو قَسوَةٍ … راويهِ ما يَعبَأُ ظَمآنَه !

يا ليلُ ، لن نأمنَ في عالَمٍ … شَبعانُه سَخَّر جَوْعانَه !

إن طَلَبَ الحقَّ به فاضِلٌ … هدَّ عُرامُ الظُّلمِ بُنيانَه

أو طامَنَ الحُرُّ به نفسَه … أباحَ للطّاغين إهوانَه

والأعزلُ المدلِجُ نَهبُ القَنا … فيه ، وإنْ سالَمَ عُقبانَه

يا ليلُ ، دنياكَ سِمامُ الحِجى … أضلَّ فيه الرّوحُ سُلوانَه !

الفَتكُ فيها سنَّةٌ تُقتَفى … والفَوزُ للمُقحِم عُدوانَه

فاسبِقْ إلى الفتكِ بمن خِفتَه … تَرُدَّ على الظّالم طغيانَه

واحمِل على الآمنِ في سِربه … إن لم يكن لاقِيْكَ .. أوكانَه

فالعيشُ حرب ، سادَ فيها الهَوى … وأَسلَمَ النّاظرُ إنسانَه

* * *

(١) المدين : من كان عليه دَيْن . وعكسه : الدَّيان .

(٢) البيدق والفِرزان : من أدوات اللعب في الشطرنج .

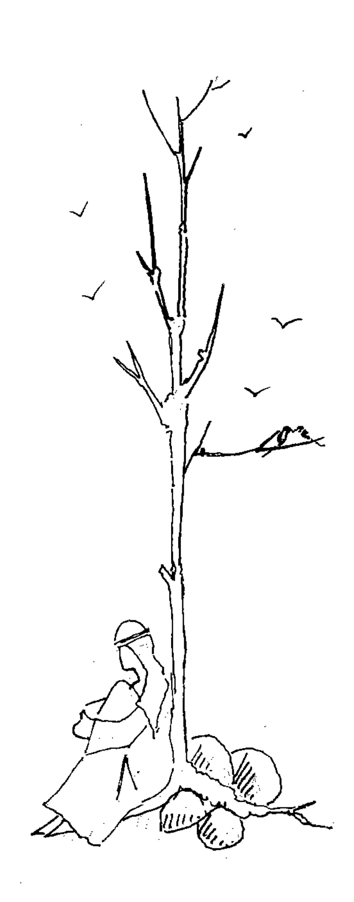
يا ليلُ .. لا ، فالدِّينُ فوق الحِجى　　فَليُعلِـــنِ الثّائـــرُ إذعانَـــــه !

بَصيرةُ الدِّيـن ، وهـل غَيرُهـا　　رَدٌّ على الحائِـــــرِ إيقانَـــــه ؟

تقودُنــا للخيــرِ في حِكمــةٍ　　تَروِي لهيفَ القــلبِ حَرّانَــه

جَلَّ عُلا اللهِ ، وقَــرَّت به　　ضمائــرٌ تُلهِــم عِرفانَــــه

فتُؤثِـــرُ الخيـــرَ على ضدِّه　　وتستميـــحُ اللهَ غُفرانَـــــه





إلى الصَّنم الخَاوي وَعُصْبَتِه

لِمَ يُعنِّي بنَقدِهِ وهجائِه ... شاعرٌ ، لا يَراه من نُظَرائِه

قال هذا المقالَ بعضُ مُريديـ ... ـه ، ورأسُ الماشينَ تحت لوائِه

فأصاخُوا إليه ، واعتَدَّ عَوّا ... دُ ، فَخوراً ، بما رأى من ذكائِه

تلك أُمنيَّةٌ يُصوِّرها الجهـ ... ـلُ ، رآها خَليقةً بِعزائِه

قال : حَسْبي ذُيوع صيتي ، وقد يَنْـ ... ـبُهُ صيتُ الأديبِ بعدَ خفائِه

وأحاطَت به الخَفافيشُ تُوليـ ... ـه مديحاً ، يَزيد في خُيلائِه

مَنطِقٌ صانَهُ التَّكتُّمُ حِيناً ... ثمّ لَجَّ الغَباءُ في إفشائِه

ودَليلٌ ، تُقِيمُه غفلَةُ الجهـ ... ـل ، وتَعمَى عن زَيفه والتِوائِه

إيهِ ! يا زُمرةَ التَّقهقُرِ والعَجـ ... ـز ، ويا عُصبةَ (الخَنَا) واشتِهائِه !

ما عَدَدنا زعيمَ أمرِكِ كُفْئاً ... لا ، ولا راعَنا بَغيضُ عُوائِه

غَيرَ أنّا نَرى التَّنادُرَ فَرضاً ... بأديبٍ ، مُسَخَّفِ العقلِ ، تائِه

فنشَرنا تاريخَه بين عَينَيـ ... ـهِ ، ولمَّا نَجِدَّ في استقصائِه

هُو درسٌ ، تعجَّلَتْه يَدُ الفـ ... ـنّ أَليمٌ بصدقِه وجَلائِه

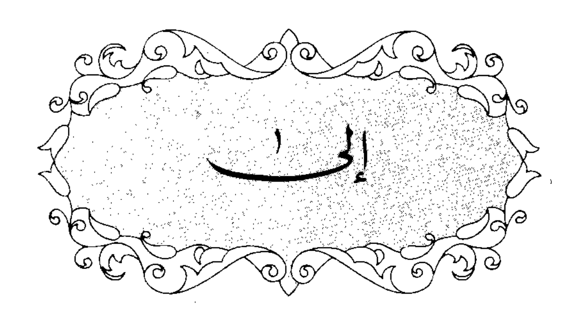
فاحفظِيهِ ، وردِّدِيه ، فقد أظـ ... ـهَرَ عَوّادَ بعدَ طول انزوائِه

وحَباهُ فَضِيحةً خلَّدَته ... ومشى خِزيهُا إلى خُلَطائِه

دفعوه ، وشجَّعوه ، وآلَوْا ... بأباطيلِ وُدِّهِم وإخائِه

أنّــه الشّاعـــرُ المُبـــرِّزُ ، واستشـ.........ـهَــدَ فَذْمٌ منهم ببـــعض هُرائِـــه
فتَصَدّى بنظمــه الفِـــجُّ للدَّغـــــ.........ـكَـــةِ ، طارت بِرُشدِه ومَضائِـــه
وإذا بالسّلاح يَنبُـــو ، وبـــــالشّا.........عر يَكبو ، والسَّهــمُ في أحشائِــه
فترامـــى بعينِــه ، يطــلبُ النّجـــ.........ـدة ، والياسُ ماثـــلٌ في رَجائِــه
فرآهـــم قد أسلَمــوه ، وولَّـــوا ، أذهــلَتهم نَجاتُهـــم عن ندائِـــه
أفهــذا ، يا زمـــرةَ الأدب الميّـــــ.........ـتِ ، ما يَرتجيـــه من أوليائِـــه ؟
زُمرةٌ أنتُمُو ، ومُصلِيكُمُــو النّـــا.........رَ وحَيــدٌ في هَدمـــه وبنائِـــه
يتحدّاكُـــــمُ بكـــــلّ ازدراءٍ ومن العـــار جُبنُكُـم عن لقائِـــه
إيـهِ ! يا عُصبةَ الغَثاثــة والــمَسْـ.........ـخ ، ويـــا سارقي نِتـــاج البَدائِـــه !
قد رأيتم نهايـــــةَ الصَّنـــــم الخا.........وي ، رمـــاه الغـــرُور من عَليائِـــه
وشَهدتُـم آمالَكـــم يَعصِفُ الفـــنّ.........بها ماضيـــــاً على غُلَوائِـــــه
وسمعتم مقالـــةَ النّـــاسِ في عَجـــ.........ـز أبي قاسم ، وفي أصفيائِـــــه
ورأيتم إفـــــلاسَه ، وتلاشيـــــــ.........ـه ، ومـــا كان من أليم انكِفائِـــه
فأقيلــوه غمـــرةَ القَـــدَر العـــا.........تي ، استكَـنّ الفَنــاءُ في أطوائِـــه

* * *



إلى

إلى طَلَـلٍ ، جَرَّ العَفـاءُ ذيولَـه ... عليه ، وعقَّته الرِّيـاح السَّواخـرُ
فأصبح مَجفُوّاً ، يَجول به البِلى ... كأَنْ لم تكن فيه حيـاةٌ وسامـرُ
إلى الصَّنم الهاوي ، وقد ثُلَّ عرشَه ... زمـانٌ على هَدم الضَّلالاتِ قادرُ
يَطوف به هَزلَى رَزاحٍ ، تهافتـوا ... عليـه ، تُمـنِّيهم نفـوسٌ فَواتِـرُ[1]
أناطُـوا بهِ آمالَهـم ، فتعثَّـرَت ، ... وعاجَلَهـم من مُتَّقِـى الهولِ فاغِـرُ
إلى الباطـلِ المَهـزومِ بعد افتضاحِه ... وقـد سئمَتْـه أنـفسٌ وضمائـرُ
أراحَ مجالاً للظُّهـور ، فرامَـه ، ... وهـا هُو ، قد دارت عليه الدّوائرُ
إلى العيشِ جَشْباً ، ما يُبَلُّ به ظَما ... ويَقـذَى ببلـواه النُّهـى والنَّواظـرُ[2]
تُجافِيـه أسبـابُ الحيـاة تَرفُّعـاً ... ويُسْلِمُـه للـذُّل ماضٍ وحـاضرُ
ويَجتـازُه خَطـوُ الزّمـان وأهلُـه ... كما اجتـازَ مرتـادَ النَّجـاسة طاهـرُ
إلى كبريـاءٍ ، حَطَّـم الحقُّ ركنَهـا ... وعاجَلَهـا بالموت رامٍ مُحـاذِرُ
تَكَشَّفَ عنها باطـنٌ مُتَجَهِّـمٌ ... يُسانِـدُه من سَكـرَة الطَّيش ظاهـرُ
فصالَت ، وهل تَرضى الصِّيالَ هزيلةٌ ... يقـودُ خُطاهـا أَخرقُ الـرَّأيِ سادرُ ؟
فألْزَمهـا غارَ الجمـود مظفَّـرٌ ... ونِغْـمَ مجالُ المُدبِريـن المَغـاوِرُ

---

(١) الرّزاح : الهزال الشديد حتى لا يقوى صاحبها على النهوض . فواتر : جمع فاتر ، الضعيف المتراخي .
(٢) العيش الجشب : الطعام الذي لا إدام فيه ولا غذاء .

إلى الزَّيف مَدحوراً ، ومُزجيه عارياً … أهاضَ جناحَيه الكسيرَين قاهرُ

تَطول أمانيه ، ويَقصرُ سَعيُه … فهِمَّتُه في مأزِق الجِدِّ عاقرُ

لئِن كان وَهماً ، شيّدَ الجهلُ صرحَه … فقد كان وَهماً بدَّدته الصَّراصرُ

إلى عِظَة الدّنيا بمن قاده الهوى … فأرداه ، ما تَندَى عليه المحاجرُ

يُردِّدها التّاريخُ ذِكرى كَليلةً … وتَلعنُها أشباهُها والنَّظائرُ

إلى العُمُر الممتدِّ ، لم يَجنِ طولُه … وقاراً ، ولم يَكبَح زِمامَيه زاجرُ

تولَّت غَوايات الصِّغار قيادَه … وهل فاز مَن قادت هواه الصَّغائرُ ؟

إلى المهجة الحَرَّى أسىً وغضاضةً … تَداوَلَها حَرُّ الظَّما والهواجرُ

إلى النَّظرة الحَيرى تَلَمَّسُ مُنقِذاً … يَهيم بها ليلٌ من اليأس حائرُ

إلى الأمل الذَّاوي ، إلى حُلْم عُصبة … تَزايَلَ عنه المدَّعي والمكابرُ

إلى جيفةٍ ألقى بها اليَمُّ جانقاً … فشاهَت بها شُطآنُه والكواسرُ

إلى بومةٍ ملَّ الخرابُ نَعيقَها … يَضيق بها مُغفٍ ، ويُبلِسُ ساهرُ[1]

إلى شاعرٍ رِخوِ البيانِ أذاقَه … من الويل ألوانَ المهانة شاعرُ

وعَرّاه من أسمالِه فتنادَرت … بِسَوْءَتِه أريافُنا ، والحواضرُ

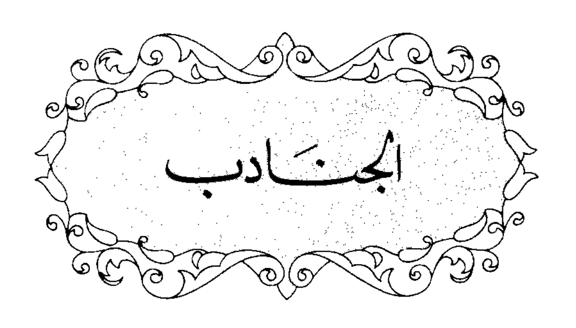
وسارت بِبَلواه الأحاديثُ ثَرَّةً … مشَت بصَداها المستفيضِ النّوادرُ

سهامُ هجاءٍ راشَها كفُّ ماهرٍ … يؤيِّدُه من عزمه الصَّلدِ باترُ[2]

---

(١) مغف : اسم فاعل من أغفى ، إذا نام . أبلس : سكت بعد انقطاع حجته .

(٢) راش السَّهمَ : ركب فيه الريش .



طُيوفُ مَعانٍ ما تَبينُ لِرائي ... ونَجوى دَفينٌ أغرِمَت ببقاءِ
حَداها الذي يَحدو الجَنادِبَ في الدُّجى ... إلى الجُهد ، في دنيا عَمىً وخَفاءِ
فإنْ قيل : كانت ثَورةَ اليائِسِ آنثَنى ... صَداها بها ، معنَى بُكا ورثاءِ
فكَمْ من خَشاشٍ في الحياة نَصيبُه ... من الكَدح أُدنى مَرقَدٍ وغذاءِ
وما عَيشُه فيها بمُعطيه منزلاً ... سِوى منزلِ الأشباه والنُّظَراءِ
ومَن ضاقَت الدّنيا به فعَزاؤه ... مُتاحٌ ، وإن لم يتَّصِل بِرَجاءِ
وما مَنَع العانِي أنيناً فَحسْبُه ... به ، إن أطاف الدَّهرُ بالبُرَحاءِ
فرُبَّ شَكاةٍ أَطفأَت وَقدَةَ الجَوى ... وأَرخَت زمامَ العيشِ للبُلَهاءِ
ورُبَّ جَبانٍ يَدَّعِي البأسَ مدبِراً ... ولا يَستَحي من شِيمة الجبناءِ
وفي النّاس أمثالُ الجنادِبِ بَأسُهُم ... صَرِيرُ هَوانٍ أو خُفوتُ عَناءِ
فإنْ سَكَتوا ، رانَ الخُمولُ عليهِمُ ... وإن نَأَموا ، لم يرجِعوا بجَزاءِ

* * *

ومُضطَغِنٍ ضاقت مذاهبُ عَيشِه ... فعرَّض بالعَوراء للكُرَماءِ
وما هو عند البأس إلا ذُبابةٌ ... ولو جَهَدتْ - ليست بِذاتِ غَناءِ
تَذرَّعَ بالزُّلفَى لِنَيل طِلابِه ... غَرِيرٌ ، وما الزُّلفَى دليلُ إباءِ

ورامَ المُنى من حظِّه ، لا غِلابَه ... وما الحظُّ إلا طِلْبَةُ الضُّعفاءِ

إذا الحظُّ لم يُبلِغْكَ صَرحاً أقامَه ... لكَ الحَسَبُ الوَضّاحُ ، دون رِياءِ

فما القَول مَسموحٌ ، ولا الجُهدُ نافِذٌ ... لكلِّ وَضيعِ الخَلَّتَينِ مُرائي

ولِي من ظُنون السّوءِ ما يَستَحِقُّه ... سِوايَ ، من الأَوْشابِ والبُلَداءِ

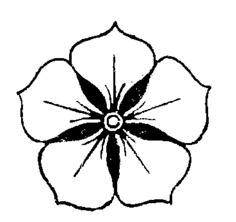
يَدُسّ زُعافَ السُّمِّ في عَذْبِ حُبِّه ... ويُخفي الجَوى في شيمَةِ الخُلَصاءِ

ويرتجِلُ الدَّعوى تقمَّصَها الهَوى ... من الزُّورِ ، لا عن خيفَةٍ وحَياءِ

وإنّي لَدارِيها ، ولكنْ من النُّهى ... صراعُ الأفاعي في دَدٍ وإناءِ[1]

رَجاءٌ ، ولا دَعوى ، وحقٌّ ، ولا هَوى ... ورُبَّ رجاءٍ شَفَّ عن بُرَحاءِ

ورُبَّ مُنًى في الحقِّ أيقَظها الهَوى ... إلى لَهَفٍ بالحقِّ ، لَهَفَ رجاءِ



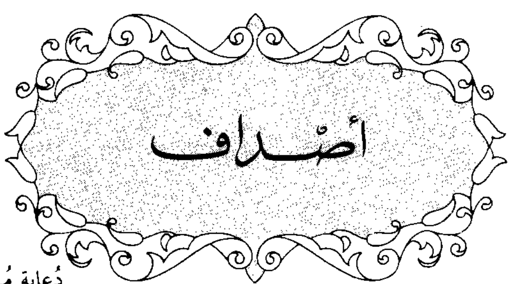
---

(١) الدَّد : اللهو ، اللعب . الأناء : التمهل ، عدم التسرع .



المتنوعات





دُعابة مُهداة إلى الشّاعر الصّديق
حسين سرحان .. تحيةً له

أفبعدَ ماسنحَ الخيالُ ووافَى ... ودَّعْنَ سَرْحَكَ وانطلَقْنَ خِفافا ؟

وعَدَتْ سَوابقُ ودِّهِنَّ ذواهِباً ... بالبُرءِ ، ليس وراءَهنَّ مُعافى

من كلِّ نافِرةِ الهَوى لم تَقضِها ... حقّاً ، فكيف تُميلُها استِعطافا ؟

سمِعَتْكَ تَهضِبُ بالقريضِ فشاقها ... الإيطاءُ ، حين تخيَّلَتْه زِحافا[1]

فمضَت بما ظنَّتْه فيكَ مَشوقةً ... ومضيتَ تُضمِرُ للمُرادِ خِلافا

أفذاكَ همُّكَ بالحِسان زعمتَه ... جَنَفاً طلبتَ لِدفعِه الإنصافا ؟

فإليكَهُنَّ نوافراً .. دَعّاءةً ... نظراتُهن .. تطرَّحَتْ إلحافا[2]

وإليكَهُنَّ هوًى تجسَّد صورةً ... فيما بدا منهنَّ .. لا أوصافا

ما دونَهنَّ سِوى السُّتورِ ، وقد وهَتْ ... وتعلَّقَتْ بالعابرين هُتافا

فاعزِم على مَيسُورِ أمرِكَ واعتصِر ... ممّا حبَتكَ كُرومُهنّ سُلافا[3]

فالعيشُ عَيشُ العازمينَ ، وما أرى ... لكَ ، ما أَمِنتَ العجزَ ، أن تتجافى

---

(١) هَضَب بالشعر : سحّ به سحّاً ، الإيطاء : عيب من عيوب القافية ، وهو إعادة ذكر كلمة الرّويّ بلفظها ومعناها مرة ثانية في القصيدة ، من غير أن يفصل بين الكلمتين المذكورتين سبعة أبيات . الزحاف : تغيير يعتري الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل (وتفصيله في كتب العروض) . (والإيطاء والزحاف – هنا – على غير مرادهما اللغويّ) .

(٢) الإلحاف : الإلحاح .

(٣) السّلاف : أفضل الخمر وأخلصها .

رَوَّى الحَيا عهداً عرَفنا أهلَــه ... أَحمَى على غَمزِ الهَوى آنافــا
وغـدا برحمة ربِّـه مُتطـلِّبٌ ... وَصْلَ الحِسانِ ، رأى الحِسانَ فخافا

* * *

يا أنتِ ! إنَّ فتـاكِ أُهيَـةُ حالم ... هاب العِيانَ ، فصاول الأطيافــا
فتقبَّلِيـه على الجُنـوح كريمةً ... رَضِيَتْ بما حصَد القريضُ كَفافا
فلقـد تبلِّـغُكِ القناعـةُ غايـةً ... فاضَ الخيالُ بمثِلها استخفافــا
والصَّبرُ أَعوَنُ مَنهجَيْكِ على السُّرى ... وأرقُّ في عَميائـه أَسدافــا

* * *

يا أنتِ ! لا يَحزُنْكِ أنَّكِ زورقٌ ... لم يَلقَ في عُرضِ المحيط مَطافــا
مَلّاحُه أشفـى لِدفّتـه ، هوَت ... فطوى الشِّراعَ ، وأَسلمَ المجدافا
هي تلك أسبابُ الهوى وشِباكُه ... شِعرٌ أطـافَ بقائليـه فطافــا
ولَربَّما أجدى الكلامُ ، وإن تكنْ ... مِنـحُ الحيـاةِ مطالبـاً تتكافـا
فزِني بِميزانِ العَروض رُؤى الهَوى ... ومصيـرَهُ ، وعُبابَـهُ الرَّجّافــا
وهَبِي بما تُعطِيـنَ قَصداً يُرتَضَى ... ويُطـاقُ ، لا بُخـلاً ولا إسرافـا

* * *

يا أنتِ ! ما كلُّ الغيومِ تحمَّلَتْ ... مطراً ، فَشيمي العـارضَ الوَكّافا
فعَسَيتِ لاقيةً سوانـحَ فيضِها ... إن لم تُصبْكِ أَدَرُّهـا أخلافــا
صِرنـا إلى زمـنٍ يُنـازع قاعـدٌ ... فيـه الفَخـارَ الرَّاحـلَ الطوّافـا
ليت الـذي خلق المطامعَ كالَها ... للحالِميـنَ - كما تُراد - جُزافــا

أو ليتَ ملتــمِسَ السَّلامــةِ نالها   عَرَضاً ، كما تُجنَى الزّهـور قِطافا

* * *

يا لَلْعقـولِ من السِّنين ، تَساوقت   سُوداً ، مثقَّلةَ الظّهــور عِجافــا
حُسنُ الحسانِ بهنَّ وعـدٌ يُرتَجـى   بخلائــقٍ ، تتعجَّـــل الإخلافــا
الدّاعيـاتِ إلى الحِفـاظِ ، وليتَــه   منهنَّ كان وفــاً لنـــا وعَفافــا
الشّائبـاتِ وِصالَهــنَّ لِمـــن وَفى   وحَمـى ، وشدَّ بِناءَهـن زُعافــا
الذّارفـاتِ الدمــعَ حيث أُرِدنَــه   سِحـــراً يردُّ الأقويـــاءَ ضِعافــا
المولَعـــاتِ بكـــلِّ لحظٍ جارِمٍ   لم ينتَـــفضنَ لِوَقعـــه استنكافــا
التّـاركاتِ حِمى الكرامـةِ نُهبَــةً   للشَّكِّ زلـزلَ صرحَـــه إرجافــا
واهـاً لأفئـــدةٍ هنــاك خضيبـــةٍ   عاشت لهنّ على الأسى أهدافــا

* * *

قل للـذي امتلأت رُؤاه لاكِثــاً   ألـقَت عليـــه شعاعَهـــا الرفّافــا[1]
صارعتُ أعماقَ البحار فلم أجـد   – ورؤاكَ – إلّا هذه الأصدافــا
وذهبتُ أفتقـدُ العيـونَ فلا أرى   فيهنَّ ذاك العالَـــم الشَّفافــا

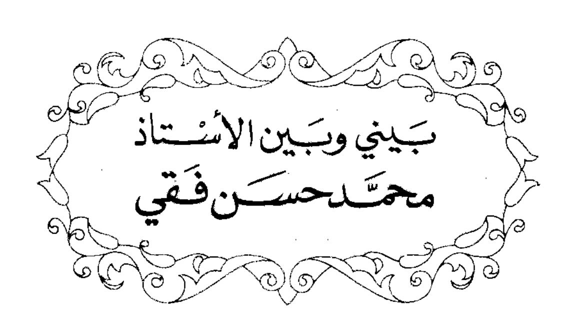
* * *

إنّي لأَستعـدِي الزّمـانَ على الهوى   فأراه أضيـــقَ بالمُنـــى أكنافــا

★ ★ ★

---

(١) اللاكث : الضارب بيديه ، أو من التصق بالقذى والشوائب .



بيني وبين الأستاذ محمّد حسن فقي

صَوتُ المودَّةِ لا جَرَمْ والسَّبــقُ من دَأْبِ الكــرمْ

أهــلاً بِداعيــةِ الإخــا.........ءِ ، جَلا مفاتنَهــا القلــمْ

فأتَت بمأثــورِ الوفــا.........ءِ ، جرى بمَروِيِّ النَّغــمْ

تَسرِي به بِدَعُ العــرو.........ض ، على السَّجيَّة من أممْ

بَينــاه يمرَحُ في السُّفــو.........ح ، إذا به فرَعَ القِمــمْ[1]

فَوضى الطّبيعـةِ ، لا نِظـا.........مَ ، فلا ضيـاءَ ، ولا عَتَمْ

لكنّــه فنُّ البليــ.........غ ، على قوالبها انسجــمْ

وسجيَّــةُ الطَّبــع القَــوِيِّ.........إذا ترفَّــقَ واحتــدمْ

ولكَــمْ يؤلِّــفُ قادرٌ بين الـمَسَرَّة والألــمْ

ما الـحُسنُ أعضاءٌ تُوا.........ئمُهـا القَرابـةُ في الـقِسَمْ

فلقــد يكــونُ على تآلُـ.........ـفِ هذه روحــاً يُذَمّ

وعلى تنافُرهــا جَمــا.........لاً ، لا يُحَسُّ له سَأَمْ

ولَمِثــلُ شأْوِكَ لا يُنــا.........لُ ، إذا تناظَـرت القِيَــمْ

ماذا تركتَ لمُقتفِيــ.........ـكَ ، ودون همَّتِك الهِمـمْ ؟

ماذا يُريــغُ وراءَ أقــ.........ـرَنَ ، في ضرابِهمـا أَجَــمْ ؟

(١) فَرَع القمة : بلغها واعتلاها .

أنــــــا ذلك المبهورُ ، دو.........نكَ ، إن تطاولت اللِّمَــــمْ
لَظلمتَنِـي ، والظُّلــمُ أَقـــ.........ـتَلُ ، إنْ أصابكَ من حَكَمْ

* * *

يا صاحبي ، وخَــلاك ذَمّ.........لا كنتَ فِيَّ المتَّهَــــــــمْ
مَن أرسل العُتبــــى توُجُّ.........كما فعــلتَ ، فقــد ظَلَــمْ
أتُـراك تَعــبثُ ، أم تَجِــدُّ.........وقــد تخيَّــرتَ التُّهــمْ ؟
أم تلك نازيـــةُ الجَمـــا.........ل ، إذا تعسَّفَ فانتقـــمْ ؟[1]
أثخَــنتَ قَلبــي بالجِــرا.........ح ، وجُرحُ دَلِّكَ ما التَـأَمْ
أَوَّاهُ ! من جَنَــفِ الجَمــا.........ل ، إذا تعــتَّب واحتكــمْ !
أفضاعَ عنــدك ما ادَّخــر.........تُ ، ومـا بنيتُ قد انهَـدمْ ؟
فلقيتَنــــي بعـــــد الصُّدو.........ف بما قذَفتَ من الحُمَــمْ
لَقضَتْ علينــا بالهَــــوا.........ن قيودُ حُسنِكَ والشِّيَــمْ
أنـا من عفـا حتَّـى استــرا.........ب ، ومَن وَفى حتّى انحطَمْ
أَقــــــذى المودَّةِ ما أرا.........ب ، وشرُّ عَتبِك ما وَصمْ

* * *

أتَـــرى المودَّةَ كالحيـــا.........ة ، على غرائبِهـــا ، قِسَمْ ؟
هي تلك فَلسفــةُ الحيـــا.........ة على الطّفولــــة والهرمْ
ما في الحيــاة إذا سَعيـــــ.........ـتَ ، بغير حظّ ، مقتحَــمْ
الحظُّ يعلـــو بالقُـــرو.........د على غضافِـــرة الأَجَمْ[2]

---

(١) نازية الجمال : بادِرَته وحدته .

(٢) الغضافر : جمع غضنفر ، الأسد . الأجم : جمع أجمة ، الغابة ، الشجر الكثيف الممتد .

ويُطيـــحُ بالسّادات معـــــــ.........ـتسِفاً ، ويصطنِعُ الخَـدمْ

أتُـــرى مقاديـــرُ الرجـــــا.........ل على يديه ، سوى زُلَـمْ؟[1]

ويقـــال بعـــدُ - ألا يقـــا.........لُ ؟ : لكلِّ ساعٍ ما اعتَزَمْ ؟

بِمَ نالَها الوغـــدُ الكسيـــ.........ـحُ ، وفاتَتِ البطـلَ الحُطَـمْ؟[2]

ما سعْـيُ مرهـوبِ الخُطى   من سَعـي مكفـوفِ القَـدَمْ ؟

ما سَعـيُ مرتـــقِبِ السَّنـــا   من سَعْـي مرتـقِبِ الظَّلَـــمْ ؟

لو كان بالسَّعـــي النَّجــــا.........حُ ، لما تشامَـــخَتِ الأُكَمْ

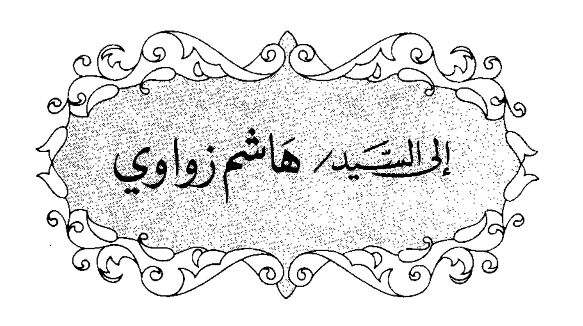
لكنّهـــــا دنيـــــا الشّذو.........ذ ، فلا مَلامَ ، ولا نَدمْ

رُحنـــا بوَعثـــاءِ الطِّـــــلا.........بِ ، وراح قومٌ بالنّعــــمْ



(١) الزّلم : السهام .

(٢) الحُطَم : القاسي الشديد .



متى يَعودُ الموعدُ الهاربُ ... فيستريحَ العاشقُ اللّاغِبُ ؟

أم أنتَ عن أمريَ في غفلةٍ ... قد نام عنها رشدُك العازبُ ؟

ما لِلّذِي يَروَى به غيرُنا ... مأملُنا في وَصلِه ناضبُ ؟

أوّاه ! ما كانت سِوى حيلةٍ ... أَجَرّها للصّاحبِ ، الصّاحبُ

أين لَيالٍ مدَّ فيها الهوى ... شباكَه ، فاقتنَص السّاربُ ؟

حِذرتُها حيناً ، ولكنّما ... لا يَتفادى حَينَه الهاربُ

وأين قولٌ ، أكّدَتْ صدقَه ... عيناك ، والقَبضةُ ، والحاجبُ

هيهاتَ ! لا يعطفُ ذو نعمةٍ ... على شَقِيٍّ ، عيشُه شاحبُ

هشّمتَ آمالي ، فكن هاشِماً ... لليأس ، يَسعَدْ قلبيَ الواجبُ

مَن لك مثلي ، إن بدا عارضٌ ... وُقيتَ شرّاً .. أو دعا واجبُ ؟

أنا الذي تعرِف خطْواتِه ... في الجِدّ،وَهْوَ اللّاعب الصاخبُ

لو كنتَ فيما قلتَه صادقاً ... لم يَتجنَّب بيتَنا الغائبُ (١)

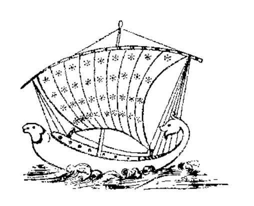
ولا مضى يُمعِن في بُعدِه ... يَتبعُه مأملُنا الخائبُ

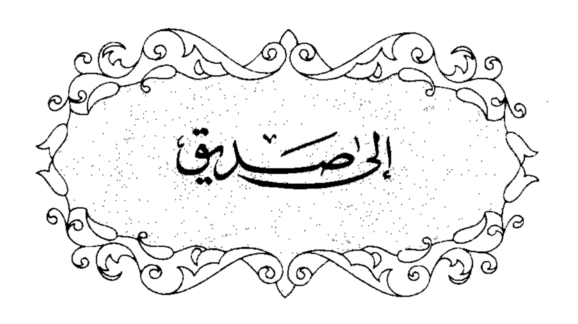
ولا مشى عصراً ، يَحُثُّ الخُطا ... كأنّه المستعجِل الرّاكبُ

لم يبتسم ، لم يَرْنُ ، لم يَتّئِدْ ... كما يكون المحنَقُ النّاضبُ

(١) في البيت إشارة إلى أحداث تاريخية ، فرقت الأسرة ، وجعلت فريقاً منها يقيم بعيداً .

أكان كِبراً منه ، أم جفوةً ؟   أم ارتوى من وِرْدِه الرّاغبُ ؟
أم كان ثأراً غُصِبَتْ مهجتي   فيـه ، كما شاء لها الغـاصبُ ؟
أم انتقاماً ، سُلِبَتْ راحتـي   فيه ، ليرضِي حقدَه السالبُ ؟
ليلي ، ألا تسألُ عنه ؟ جَوىً   شأنِيَ فيه الوَصَب الـواصبُ
تَشغَله الذّكرى ، فيُلـوي به   فَرْطُ الجَوى ، والأملُ الذّائبُ
ما لُمتُ ، واللَّومُ على لَذعه   ضرورةٌ – لكنَّنـــي عاتبُ





مِن ذاكِرِ العهدِ ، إلى ذاكِرِ ... تحيَّـةَ الشّاعـر ، للشّاعـرِ

فيها الهوى الماضي بآثـاره ... مكتومِها ! المطوِيِّ ، والظّاهـرِ

والودُّ ، والصِّدقُ ، وذِكرى المُنى ... في يومنا ، أو أمسِنا الغابـرِ

والفجرُ قَيْدَ اثنينِ ضاقا به ... صبراً بنفسِ العاجز القـادرِ

والعقـلُ مغلوبـاً على أمـره ... مرتطِمـاً بالواقـع القاهـرِ

والقـلبُ مسلوبـاً عُلالاتِـه ... من سالبٍ قاسٍ ، ومن زاجرِ

والعيشُ حربـاً شَنَّهـا دارعٌ ... مستكمِلٌ ، خَتْلاً ، على حاسرِ

تحيَّـةَ المُدلِـجِ مَلَّ السُّرى ... ونـاءَ تحت الفَـلَك الدّائـرِ

ظمآنَ ، والـرِّيُّ مُبـاحٌ له ... يُجيل فيـه نِظـرةَ النَّاكـرِ

طاوٍ على وَفـرة مَطعومـه ... تَحفِـزُه إعـراضَةُ السَّاخـرِ

* * *

تحيَّةَ الباكـي على ما مضى ... والهازِئِ الكافـرِ بالحاضرِ

تَؤودُه أعبـاءُ إحساسه ... بمـا يَرى في كونـه السّادرِ

من صُوَر العـيش وأسرارِه ... أَعيَتْ على القائـف ، والزّاجـرِ

مكـرورةً في أبـدِ آبـدِ ... مَطوِيـةً في لُجّـه الزّاخـرِ

من أين ؟ لا تدري ، وحتى متى ؟ ... وأيـن مُرْسى فُلكِهـا الحائـر ؟

ما هِيَ ؟ ما الغايةُ من قَذْفِها   على متـون الثَّبَـج الثائـر ؟
في ظلمـةٍ مفزعـةٍ أطبَـقَت   موصولـةَ الأوَّلِ بالآخرِ
معركـةُ العقـل تَساوى بها   الظّافـرُ المحسودُ بالخاسرِ

* * *

تحيَّـةَ الحيِّ جَنـى حظَّـه   من عيشِكَ الكـالح والنّـاضرِ
جَنَى عُجولَ الغَيْظِ عاشت على   ماءٍ وعشبٍ ، في المَدى العابرِ
وأُثقِـلَت بالنِّيـرِ أعناقُهـا   جاهـدةً في قبضةِ الآسرِ
تَحرُث لا تملِك من شأنِهـا   غيرَ عنـاءِ الكـادح الصَّابـرِ
فإنْ وَنَتْ عاجَلَهـا بالـعصا   حَتّاً، هَوَى مُطعِمِها الجائـرِ

* * *

تحيَّـةَ المفجـوع في قلبـه   وفكـرِه ، وحـظِّهِ العاثـرِ
عاف الهوى والحُسنَ ، مذ جافيا   إيمانَـه بالخُلُـق الطّاهـرِ
وجـانبَ النّاسَ لِمَـا هالَـه   من شَبَـهِ الفـاضل بالفاجـرِ
وطـلبَ الحقَّ هُيامـاً به   فقـد رآه لعبـةَ السّاخـرِ
وحجَّـةَ الكـاذب ، والمعتـدِي   والعفِّ ، والصَّادِق ، والدَّاعرِ

* * *

تحيَّـةَ الخابـطِ في ظُلمـةٍ   من يأسه أو عَزمـه الخائـرِ
أثخَنَـه الأيـنُ وألقـى به   في لَهَـوات المنتهى الفاغـرِ

* * *

تحيَّــةَ الشَّاكِــي إلى مثلـــه		والسَّاهرِ المكــدود للسّاهــرِ

عاشا على ضَنْكٍ سواءً فمــا		هانــا لمُستَغْــلٍ ولا هاجــرِ

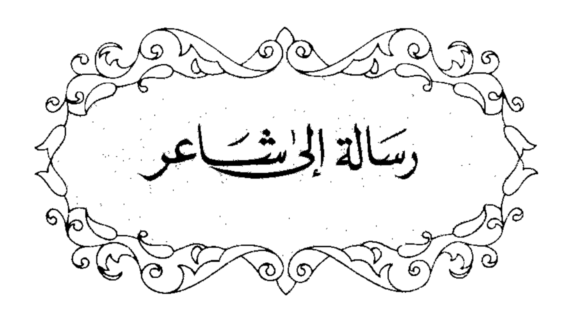
حالاهما حالٌ على سُوئِهـــا		خَليقــةٌ بالفخــرِ من فاخِــرِ

وحلّقــا في الجوّ لم يعبَـــآ		بجارح ينـــــقَضُّ أو كاسِرِ

* * *

تحيَّــةَ المشتــاقِ تدنــــو به		علَى النَّــوى نوازعُ الخاطــرِ





رسالة إلى شاعر

ماذا وقوفُكَ بالأطـلالِ والدِّمَــنِ ... مُوَزَّعَ النَّفسِ بين الشِّعر والشّجَنِ

يَرمي بكَ الوَجدُ في صحراءَ مجدِبةٍ ... طَوَت حياتَك طَيَّ البحر للسُّفنِ

تَهيم فيها شَريــــداً لا قرارَ له ... وتُـرسلُ الدمـعَ مدراراً بلا ثمن

مزّقتَ عُمْرَكَ لا الأحبابُ منكَ دَنَوْا ... ولا بلغتَ مكاناً في ذَوِي الفِطَن

الكاسبينَ ملايينـاً ، ومـا كدَحـوا ... وأنتَ في قفَصٍ من عقـلِك الزَّمِـنِ [1]

تَمَرْجَلــوا واستغلّــوا كلَّ سانحةٍ ... من المصالح في سِرٍّ وفي عَلَــنِ [2]

وقُدْتَ أنتَ رعيـلَ الفنِّ متّكئــاً ... على مبـادئِ سقـراطٍ وأَهْرِمَــنِ [3]

ورُحتَ فيها مقايـيساً وأخيلـــةً ... لم تَحْـمِ قَدرَك في مِسْلاتَـةِ الإِخَنِ [4]

وكان درسُك فيها لو فَطِـنْتَ له ... درساً تُفيـقُ به من سَكْـرَة الـوَسَنِ

إذْ قام يَصرَخُ والمِلقــاطُ في يَده ... كالسَّيف يَهتزُّ في كف ابنِ ذي يَزَنِ

وجاء من « كَرَكُونِ » الرَّيْعِ ضابطُهُ ... على الزعيق وحشدٌ من ذوَي حَسَنِ [5]

---

(١) الزَّمِن : الضعيف الواهي المريض .

(٢) تمرجلوا : ادعوا الرّجولة .

(٣) سقراط : فيلسوف يوناني كان زعيم مدرسة المشائين (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) . أهْرِمَنْ : الشيطان ، أو روح الشر في الديانة الزرادشتية ، ويقابله « أهورا مَزْدا » وهو روح الخير .

(٤) مسلاتة الإخن : موقد الضغائن .

(٥) كركون : كلمة تركية معناها « مخفر الشرطة » . ذوي حسن : أي بني حسن ، وهي أسرة كبيرة مشهورة بمكة المكرمة .

وكان يومـاً تشاطَرْنـاه بَهْدَلَـةً ... وكنتُ وحدِيَ فيه دافعَ الثَّمنِ

كيومِ وقعَتِنا بعد الغَـدَاءِ على ... قِرشَينِ لم يُدفَعا في « مطعم البُيَن » [1]

خرجتَ فيه بلوحِ الكِتْفِ منخلعاً ... ورُحتُ خلفَك فيه وارِمَ الأذنِ

تجاربٌ وَحْشَةٌ خُضنا معاركَها ... وكان شِعرُكَ فيه مصدرَ المِحَنِ

أما لنا غيرَ قَرض الشِّعر مَشغَلةٌ ... نَقضِي بها فَضْلَ عُمرَيْنا على سَنَنِ

ألا وظيفةَ نرجوها ولو صَغُرَت ... نقضي بها دَينَ راعي العيش واللَّبن [2]

ونستردّ بها في النّاس سُمعَتَنا ... بعد الضَّياع - بلا شِعر - ولا سُفُنِ [3]

وحَسْبُنا ما لقينا من بَهادِلِها ... وأنَّها مِهنَةٌ من أخسرِ المِهنِ

تقضي العداة ولا تُقضَى لها عِدَةٌ ... بلقمةِ العيشِ ، في ثوبٍ من السَّتَن

وَهَبْكَ أصدرتَ ديوانَيْ « مَهَىً ورُؤىً » ... فطار صيتُك من نجدٍ إلى عَدَنِ

فهل تَرى بهما ما نال من مِنَحٍ ... ذُوو السَّوابقِ في إغفاءَةِ الزَّمنِ [4]

فتلك في لَمَحات الغيبِ خاطفةٌ ... من البروق تَحدَّت ظلمةَ الزَّمَنِ

مضَت بمأثور جَدواها فما صَدَحت ... إلّا بذكراه ورقاءٌ على فَنَنِ

فالشِّعر شمسٌ ، هداك الله ، قد أَفَلَتْ ... فعِشْ إذا شئتَ منه سالمَ البَدنِ

واهرب بجلدِك من أَهلِيه مبتهلاً ... كيلا تُلَزَّ مع الشيطان في قَرَنِ [5]

فما وراءَك إلّا النّحسُ ملتطِمَ الـ........أمواجِ ، دَهْمَلَ أرطالاً ودَهْمَلَني [6]

---

(١) مطعم البُيَن : مطعم جاوي في منطقة « أجياد » بمكة المكرمة .

(٢) راعي العيش : أي مالك الخبز وصاحبه ، وكلمة « راعي » تعني « مالِك » .

(٣) سفن : لعله يقصد المعنى البعيد العامي لكلمة (السفينة) وقد تكون بمعنى (الورقة) .

(٤) ذوو السوابق : أصحاب الجرائم السابقة من قتلة ومجرمين وحكم عليهم بالسجن والعقوبات .

(٥) القَرَن : الحبل الذي يربط به البعيران .

(٦) دهمل : أضرَّ ، وترادف بالعامية « بَهْدَلَ » .

(وايهْ لُزوم كلامي مَنْتَ عارفُه) مُذ ضاع عمــرُك بين الشَّام واليمن ؟[1]

ودابَ ظهــرُك بين الآخذيــنَ به رَقْعاً تمثَّلتَ فيــه لعبــةَ الإنِــنِ [2]

قد شِدتَهـا من صميم الفنِّ أبنيــةً فهـل بَنيتَ بها حَوْشاً من اللَّبِــنِ ؟[3]

بل نِمتَ في دكَّةِ الزَّيـدانِ منطرِحـاً على البِلاط طَوال الصَّيـف كالـوَرِن [4]

لا أنتَ ضيفٌ فيُرجَى يومُ رحلتـه ولآنتَ في نفقات البيت ذا شَطَـنِ [5]

وزُغتَ من « فندق التيسير » لا هَرَباً من نامِسِ اللَّيلِ بل من أجرة السَّكَنِ [6]

باظَت حياتُك ، ماضيها وحاضرُهـا مادام شِعرُك فيها عُقـدةَ الكَفَــنِ [7]

وخُضتَ من غمَرات الصَّبرِ أحلَكَها في « قهوةِ السُّدّ » أو في « مقعد اللَّبني » [8]

* * *

(١) وايه لزوم كلامي منت عارفه : لغة عامية مصرية ، وكلمة « ايه » تعني الاستفهام ، و « منت » : ألست .

(٢) لعبة الانن : لعبة شعبية يغمض فيها أحد اللاعبين عينيه ، ويضربه أحد اللاعبين حوله ، وعليه أن يمسك اليد التي صفعته ، أو على الأقل يميزها ، فإن اهتدى إليه حلّ الضارب محله ، وإذا فتح المضروب عينينه هذّ الجميع أياديهم وصاحوا : إنن .. (أعلام الحجاز للمغربي ١٥٨/٢) .

(٣) اللَّبن : المضروب بالطين ينى به ، دون أن يطبخ . الحوش : أرض الدار .

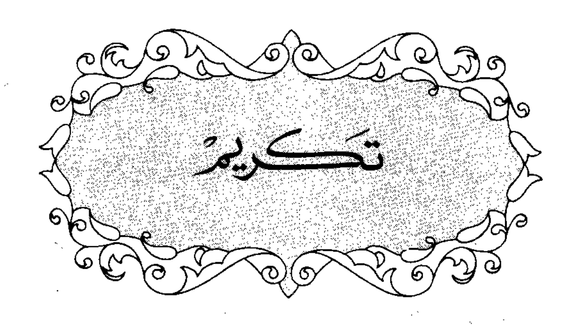
(٤) دكَّة الزيدان : مجلس كان يقام في منزل الأديب محمد حسين زيدان بالطائف . الوَرِن : الممتلىء شحماً .

(٥) الشطن : الحبل الطويل .

(٦) فندق التيسير : أحد فنادق مكة المكرمة .

(٧) باظت حياتك : خربت ، وذهبت هدراً .

(٨) قهوة السُّدّ : مقهى في منطقة أجياد بمكة المكرمة . مقعد اللَّبني : مجلس لأسرة اللّبني في « الفَلَق » من منطقة الشامية بمكة المكرمة .



تكريم

أنتَ ناغمتَـه النّشيـدَ فغنّـا ......كَ وألهمتَـه البيـانَ فقـالا

فإذا فاضَ بالثّناءِ فمـن فَيـ ......ضكَ إحسانُه : رؤىً وظـلالا

كنتَ في نفسه ، ومازلتَ ، شِعراً ......وشعوراً .. وفتنـةً .. وجَمـالا

فمعانيكَ في معانيـه سحـرٌ   يتجلّـى .. ونغمـةٌ تتعـالى

ويجول الجوادُ في الملعب الرَّحْـ ......ـب طليقاً .. وكنتَ هذا المجالا

أنتَ ملءُ العيونِ خَلْقاً وخُلْقاً   وسجايـا كريمةً .. وفِعـالا

أنتَ ملءُ الأسماع ذِكراً سَرِيّاً   ومَدىً صار للخيال خيـالا

أنت ملءُ النّفوسِ ودّاً وحبّاً   شَمَلا منك هيبـةً وجَـلالا

فتفرَّدْ بالسَّبق في حَلْبـة المجـ ......ـد بمجدٍ قد أعجزَ الأبطـالا

وارقَ ما شئتَ من معارجك الشمّ ......وفاخـرْ بيَـومك الأجيـالا

أنتَ رمزُ النّضال في الوطن الغا ......لي فعشْ للـنّضال مِثـالا

وتقـدمْ صفوفَه ظافر الخطـ ......ـو تُحقّـقْ لقـومك الآمالا

فالـذي قاد من أمانيـه ما قُدْ ......تَ جديرٌ بأن يَقـودَ الرِّجـالا

والرَّعيـلُ الـذي وراءَك مازا ......ل على عهدِه ، فما صُلْتَ صالا

١٣٧٦ هـ



رسالة إلى أبودلش

قِف بالطُّلولِ ، وأَرسِل دمعةَ الأسفِ ... واطرَح همومَك من ياءٍ إلى أَلِـــفِ

وآشْكُ الزَّمـانَ وأهلِيـه ومـا جَلَبـا ... من وَقفةِ الحال ، بعد العزِّ والتّرفِ

فربَّمـا خفَّ حَمْلٌ فوق صاحِبِـه ... إذا تَزَحـزح عن ظَهـر إلى كَتِـفِ

والبَوحُ بالهَمِّ إن لم يَشفِ ، خَفَّفَه ... كالعَطس في زَكمَةٍ ، والهَرْشِ من قَشَفِ [1]

وآقرَ السّلامَ على ماضيكَ فهْو هنا ... ذِكرَى تعيش بها وَهماً على النَّشَفِ

والذّكريـاتُ حِسابٌ لا يراجعـه ... إلاّ فتـىً عَزَّزَ الأوهـامَ بالخَـرَفِ

وإن تكن لِلّذي راحَت عليه رُؤىً ... من العزاءِ ، تُشيعُ الدّفءَ في اللُّحُفِ

فإنّهـا في ظلام العـيش مَسرَجَـةٌ ... ضئيلةُ الضَّوْءِ ، لا تُغنيك في السَّدَفِ

والآن ، لابـدَّ من حَلٍّ نُدَبِّـرُهُ ... ولـو سكـنتَ به في أضيـق الغرفِ

فآنـزِل على واقـع الدّنيـا ومنطقِهـا ... وآقبَلـه منتصِفـاً أو غيـرَ منـتصِفِ

واخشَ الصَّلابةَ في حقٍّ وكن مَرِنـاً ... إن فاتكَ التَّمرُ ، لا تُضرِبْ عن الحَشَفِ

ولا تَقِـفْ في ثنايـا الصَّفّ منتظراً ... حسناءَ ، لن تَتَخطَّى ألفَ مختَطِـفِ

فآدفع وزاحِم ، وعَنْقِل كلَّ مَن سَبقَت ... رجلاهُ رجليَكَ ، مِن شِقٍّ ومن طَرَفِ [2]

ولا تَرُدَّك عن أمـر هَمَـمتَ به ... مقالـةُ النّـاس : باعَ الحقَّ بالعَلَـفِ

---

(١) الهرش : – هنا – الحكّ الشديد . القَشَف : وسخ وخشونة تصيب الجلد ، ولاسيما شتاء .

(٢) عَنقِل : ضع رجلك بين رجليه ليسقط .

أإنْ بُلِيتَ بِبِكرٍ لا أمانَ لها ... أدرتَ ظهرَك كالقرْفانِ للنَّصَفِ ؟[١]

فرُبَّ ذي نِعمةٍ مال الزّمانُ به ... وضامَه ، هَجَرَ السِّيجَانَ للكُنُفِ [٢]

وكلُّهم أنت فيما أنتَ فاعِلُه ... والفوزُ بالقَصد يُنسِي لعنةَ الجَدَفِ [٣]

وإنّما الحقّ في دنياكَ مهزَلَةٌ ... ضاعَت بعُمْرك بين القَصد والسَّرفِ

فآسمعْ كلامي ، ونفِّذْ ما أَشرتُ به ... يابنَ الحلال ، وشلِّحْ غيرَ منكَسِفِ

إن الحياءَ رصيدٌ لا اعتبارَ له ... وعزّةَ النّفس « شِيكٌ » غيرُ منصَرِفِ

وإن واقعَنا المنكودَ : أنّ غِنى الـ ... أنذالِ سَوَّدَ منهم كلَّ منحرِفِ

فإنْ أَطَقْتَ فخُضْ في الوحل تَلقَ به ... أرطالَ قومِكَ من جانٍ ومقتَرِفِ [٤]

ولا تقل : كيف أرضى الوحلَ عاقبةً ... فالجوعُ يرضِي أسود الغاب بالجِيَفِ

« مَنْتا اللِّي » ضيَّعْتَ أيام الشّبابِ سُدى ... في الفَنّ والحبّ بين الغَيّ والشَّغَفِ ؟[٥]

وخاب ظنُّك بالأصحابِ حين أَتَوْا ... على قروشِك في دوّامةِ السَّلَفِ [٦]

ورُحتَ تُنفِق ما حَوَّشْتَ فَنجَرَةً ... على النِّساءِ ، وما أَعقَبْنَ من خَلَفِ [٧]

وأشبَعَتْكَ قضاياهُنَّ بَهْدَلَةً ... بين المحاكم من مصرٍ إلى النَّجَفِ

حجزاً ، ونقضاً ، وإبراماً ، وَطفْحَ دم ... بَلَغتَ بالعمرِ فيها غايةَ القَرَفِ [٨]

وعاد ماضيك أشباحاً تسامرها ... على همومك في رِفق وفي عُنُفِ

---

(١) النَّصَف : المرأة التي تجاوزت مرحلة الشباب الزاهي . القرفان : الكاره .

(٢) السّيجان : نوع فاخر من أسماك البحر الأحمر . الكنف : الجانب .

(٣) الجَدَف : ما رمي به عن الشراب من زبد أو قذى .

(٤) أرطال القوم : حمقاهم . مفردها : رِطل .

(٥) منتا اللي : ألست الذي (في لهجة عامة مصر) .

(٦) السَّلَف : القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه .

(٧) حوَّش : جمع وادّخر . « الفنجرة » : التباهي ، السَّفه .

(٨) الحجز ، النقض ، الإبرام : من ألفاظ المحاكم في دعاوي الناس ، ولكل منها معنى محدّد .

وأنتَ في بحرِها أو فوق ساحلِها عُريانُ ، تُشبِه صياداً بلا لَعَفِ [1]
فاليوم لو رُمتَ قِرشاً ما ظفرتَ به من ناكرٍ دَيْنَكَ الماضي ومعتَرِفِ
ولو تَصَرمَحْتَ ساعاتٍ بلا كَلَلٍ من الرُّغامَةِ حتى مسجِدِ الحَنَفي [2]
لقد نصحتُك ، فانهضْ غيرَ متَّئِدٍ فَطُولَةُ البال قد تُفضِي إلى التَّلَفِ
وذاك آخِرُ ما عندي ، فإن صَعُبَتْ عليك نفسُك ، فالزَم عِيشة الشَّظَفِ
واهربْ إلى الشّعر مثلي ، كلَّما غَثِيَتْ بالحزن نفسُك ، واملأْ أَنهُرَ الصُّحفِ [3]
فالشّعر أصل البلاوِي ، وهْو كاشفُها متى تخيَّرتَ أن تحيا بلا هدفِ
والشّعر كالفقر في إرضاء صاحبه بقطعة الخبز ، في كوخ ، على خَصَفِ [4]
وإنما هو محرابٌ يلوذ به مَن فاتَه حظُّه من سُنَّة السَّلَفِ
والكِذْب في الشّعر لا يُزرِي بقائله وسارقُ الشّعر لم يُقذَف إلى جُرُفِ [5]
وليس يَخلو مجالُ الشّعر من فُرَصٍ عُلْيا تَدُرُّ عليك المالَ بالقُفَفِ
فقد تصيبُ عِصاميّاً تؤرِّقه أحلامُه في ادّعاءِ المجد ، فَازدَلِفِ [6]
وامدَحْه ، واصنَعْ له تاريخَ أسرته بما تيسَّر من دُرٍّ ومن صَدَفِ
وصُغْ له من فنون المدح مُفترياً ما صاغه المتنبي في أبي دُلَفِ [7]

---

(١) اللَّعف : الزاد .
(٢) الرّغامة : محطة في جدة ، على طريق مكة المكرمة . مسجد الحنفي : مسجد كبير في جدة قريب من سوق الذهب
تصرمحت : سرت على غير هدى .
(٣) غثيت نفسه : جاشت ، وتهيأت للقيء .
(٤) الخَصَف : الثوب الغليظ الخشن .
(٥) الجُرُف : شِق الوادي إذا حفر الماء في أسفله .
(٦) ازدلف : تقدم ، تقرب .
(٧) أبو دلف : اسمه أبو دلف بن كنداج ، كان سجّان والي حمص ، في عهد أبي الطيب المتنبي ، وقد مدحه المتنبي وهو في السجن بعدة أبيات تزلفاً وقال في جملتها : « والجوع يرضي الأسود بالجيف » .

فرُبَّ مجدٍ بنـــاه المالُ من ذهب ورُبَّ مجدٍ بناه الشّعر من شُقَفِ

ولا يُهِمَّكَ علـمُ العـارفين به همساً على الأرض ، أو جهراً على الطُّنُفِ [١]

فما يَعيبُ غنيّاً سوءُ سيرتـه كما تَعيبُ المغنّـي غُنَّـةُ الخَنَـفِ [٢]

وإنَّهـم قِلَّـة لا يُستساغ لها قولٌ ، وهل عيبَ حسنُ البدر بالكَلَف ؟

والرّكْ عَ الحظّ إن أعطاك تَذكَرَةً فقد وصلت إلى اليَنبوع ، فاغتَرِفِ

* * *

يا رائدَ الجِيل في فنٍّ وفلسفـة سَلْ عن مصيرِهما في أسوَإ الخَلَفِ

فإنّ زهـرَك لم يفـرح بمقتَطِـف وإنّ كأسَك لم تَهتِـف لمرتشِفِ

قد كنتَ للجيل ميزاناً يُحكِّمُـه فرَدَّك الفقـر مِيزانـاً بلا كِفَـفِ [٣]

فاركَب إلى العيش ، واشدُدْ كلَّ راحلة وآصبُبْ على جانِبَيْها سوطَ معتَسِفِ

فما تَديـنُ المنـى إلا لِمقتَحِـم ماضي العزيمة في عدل ، وفي جَنَفِ

وشرُّ عهدَيْكَ ، عَبْرَ العيش ، خيرُهما متى حلَـلْتَ به في دارة الشَّرَفِ

عهدُ الهواية ولّـى يا أبـا دُلَش فاخلعْ ومزّقْ رداءَ الفنِّ ، واحترِفِ

★ ★ ★

---

(١) الطُّنُف : البارز من البناء كالإفريز وسواه .

(٢) الخَنَف : التواء الأنف مما يحدث صوتاً غير واضح .

(٣) الكِفف : جمع كفة وهي طرف الميزان .



حظوظ

أقصَرتُ من همِّي ومن تَشمِيري | ورضيتُ من دنيايَ بالمَيْسُورِ
ومضَيتُ أمتدِح القناعةَ بعدما | سبقَتْ جيادُ الرّاكبين حَمِيري
وأقولُ : آثَرتُ السّلامَة من هَوى الدّ......نيا الدَّنِيَّة ، أو أرَحتُ ضميري
وغرامُها مِلءُ الفؤادِ ، وإنَّما | دَعوى الزَّهادَة حُجَّة التَّقصيرِ
ولو آنّ لي بين العمائم عِمَّةً | رسمِيَّةً لم أَرْضَ « بالطُّرطورِ »[1]
لكنَّ مَن جَعَلوا الوظائفَ قيمةَ الـ......إخلاص لم يُطرِبْهُمو طُنْبُوري
فحملتُ بين البارزينَ ، وكلُّهم | دوني ، وقَلَّ من الرجال نَظيري
والنُّجحُ معيارُ المزايا ، والغِنَى | ميزانُها المُغنِي عن التّقديرِ
لِبسَ اللّصوصُ به ثيابَ ذوي التُّقى | وحَمَى جرائِمَهم من التَّعزيرِ[2]
وتناهَبوا الأمجادَ باهرةَ السَّنَى | مَوْصولةَ المشهودِ بالمأثورِ

* * *

قالوا : حَذِقْتَ الشّعرَ وهْو رسالةُ الـ......أحرارِ . كلّا ، يا شهودَ الزُّورِ
لو صَحَّ ما قلتُم لما خاضَ الدُّجى | شعراؤكم ، ونَعِمتُمو بالنّورِ
المالُ مِعيارُ الحياة ، ومُشتَرِي | رِقِّ الرّجالِ بها ، وزَنْدُ المُورِي

---

(١) الطرطور : لباس قميء يوضع على الرأس .
(٢) التعزير : العقاب .

وذَوُوهُ أصنــامٌ تُؤَلَّــــهُ جَهْـــرةً زَكّى عبادَتَها ترابُ « المِيــرِي »[1]

هي قصَّةٌ قام الخِـــــداعُ بِدَوْرِه فيها ، ومَسرَحُها قَفَـا الجُهمـــورِ

* * *

وإذا سألتَ النَّاس عنّــي لم تَجِــدْ لأخيكَ غيــرَ سَفــاسِفٍ وقُشورِ

ما شئتَ من شِعرٍ ونثــرٍ مونِـــقٍ ومشاركاتِ حِجىً وفيضِ شُعورِ

والعِلمُ آفتُــه الغُــرورُ ، وربّمــا عَصَفَ العَمى بالعالِــم النِّحريــرِ

فرأى الثَّــراءَ مع الهوانِ حقــارةً فاختــار أن يحيــا بلا « تَزْفِيــرِ »[2]

وأنا المَلُومُ ، فلو سَلَكتُ سُلوكَهُم لَمَلأتُ من ذَهَبٍ حُمولةَ « لُورِي »[3]

وصِراع صُوفِي تُجُوهِــــــلَ قَدْرُهُ بين الرِّجالِ ، فعاشَ « كالخُنْشُورِ »[4]

يَمشِي وقد ركِب « الكَدَالِكَ » غَيرُهُ في الحَرِّ ، يَرشَحُ لاهثــاً كالزِّيــرِ[5]

لا يستطيعُ ، وقـد تضاءَلَ دَخْلُــه أن يَهجُرَ الأوتوبيسَ « للحَنْطورِ »[6]

فتراه في سوق الخضار مُقسِّمَ الــــ ......ـقرشَينِ بين العَــيْش والجَرْجيــرِ

عَرَضوا عليــه وظائفــاً مشبوهـــة فأبى ، وردَّدَ : يا دوائرُ ، دُوري

وأطــالَ في بعض الأمــور لِسانَــه فأُصيبَ بعد الحَــبسِ بالتَّسفيــرِ

وإذا اشتَهَت « سيخَ الكَبَابِ » « مراتُهُ » في كلّ تِسعــة أشهـــرٍ وكُسورِ[7]

ومضَت تطالِب بالطَّــلاق لغُلبِهــا من راجِــل مُتَنَطِّـــعٍ دَبّـــورِ[8]

---

(١) الميري : ما يتبع الدولة الرسمية .

(٢) بلا تزفير : كناية عن عدم التعب .

(٣) اللوري : الحافلة الصغيرة المعدّة للحمولة .

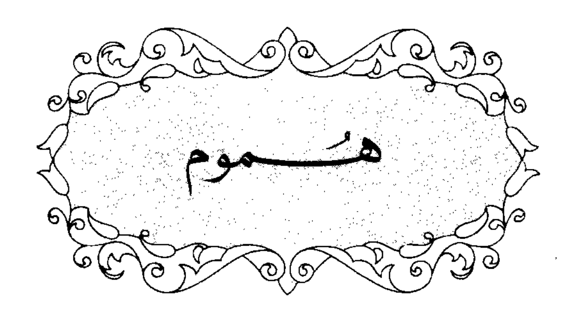
(٤) الخُنْشُور : التافه من الرجال .

(٥) الكدالك : جمع كاديلاك ، نوع فاخر من السيارات الأمريكية .

(٦) الأوتوبيس : الحافلة التي تنقل الناس . الحنطور : العربة التي تجرها الخيل أو الحمير .

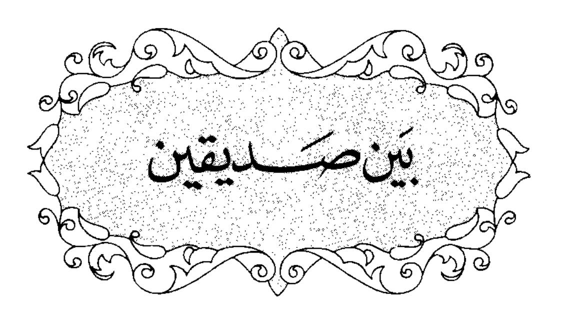
(٧) سيخ الكباب : العود الذي يُوضع عليه اللحم المفروم ويشوى على النار. مراته : زوجته .

(٨) دبّور : ألعبان ، مفلس .



(أَقِلّي اللَّـوْمَ عاذلَ والعِتابـا   وقُولي إنْ أَصبتُ : لقد أصابا)
فحَسْبِي منكِ مَعْيَـــرةٌ وذمٌّ   فإنَّ لكـلِّ ذي أجـلٍ كتابـا
وكَـوْني لستُ أوَّلَ مستقيـل   تَنَطَّـعَ في وظيفتِــه فخابـــا
دليـــلٌ أنّ للأرزاقِ عُمْــــراً   وأنَّ لكـلّ مرتحِـــل مآبـــا
وأنّ لطاعة الـرؤساءِ سِحـراً   يُبَلّغُ مَن يُطيفُ به السَّحابا
وما أخطأتُ إذْ ألزمتُ نفسي   كرامَتَها ، وآثـرتُ الصَّوابا
فإنَّ الحقَّ أجـــدرُ باتّبـــاع   ولـو كانت عواقبُه هُبابـــا
وما حُمِدَتْ لصاحِبها المخازي   فأَسلُكَهـا إلى الغايـات بابـا
وإنَّ الفقـرَ خيـــرٌ من ثَراءٍ   يكونُ مصيرُ صاحبـه عَذابـا
ولكـنَّ الغَوايــــةَ قد تَفَشَّت   فقامَـرَ كلُّ مقتَـــرِف ورابى
وجاهـرَ بالمفـاسد كلُّ نَذْلٍ   وخـاضَ إلى منابِعهـا العُبابـا
وأصبحَتِ الوظائفُ كِيمِيـاءً   تُبَدِّل عَدْسَ عارِفِها « كَبَابا »

* * *



بين صديقين

أمير الشعراء شوقي بك يخاطب صديقه غاندي ،
ويتشوق إليه ، ويشكو محن الدهر .

سَلامُ النِّيلِ « يا غَنْدِي »　　وهذا الزَّهرُ من عِندي

ولو ساعَفَني الدَّهْرُ　　لَقابلتُك في الهندِ

ولكنّي كما تدري　　فقيرٌ عارِيُ الجِلدِ

أضعتُ البيتَ والقرشيـ ... ـن في التَّهليس والجِدّ (١)

وبعتُ العنزةَ الكبرى　　على صاحِبِنا السِّنّدي (٢)

وأمّا سائرُ العَفشِ　　فقد صادَرَهُ وَجْدِي (٣)

فمَنْ لى اليوم بالنَّوْلِ　　وما في قبضتي أُرْدِي (٤)

لِألقاكَ على الكَنْجِ　　زميلاً صادقَ العهدِ (٥)

فقد أوحَشْتَني جِدّاً　　وما لَك سلوةٌ بَعدي

كِلانا مخفِقُ المَسعى　　وبَرْبَنْدُكَ بَرْبَنْدِي (٦)

فأَرثيكَ وتَرثيني　　لعلّ رثاءَنا يُجدِي

---

(١) التهليس : الحديث الذي لا تحقق فيه ، العَبَث .
(٢) السندي : لقب لرجل ، قد تكون القافية اضطرت إليه .
(٣) العفش : المتاع .
(٤) أُردي : وحدة عملة هندية .
(٥) الكنج : نهر الغانج في الهند .
(٦) بربندي : مدينة هندية .

وقد ضيَّعَنِي قَومِــي   وقِدْماً أنكـروا جُهـدي

ومـا بدَّدتُ من وقتٍ   ومــا فرَّقتُ من نَقــدِ

وهـل في أمَّة يَشْقَـى   بها الأحــرارُ من رُشد ؟

ولما طقَّنِــي الفقــرُ   وأضحَت أمَّتي ضِدّي (١)

توكّلْتُ على المَــولى   وعــوَّلتُ على زَنــدي

أبيـعُ الفـولَ والحِلْبَــ.........ـةَ وَالفُصْفُصَ والمَنْدِي (٢)

فطَــوْراً ألتقــي أكلي   وطـوراً أطفَـحُ الـدُّرْدِي (٣)

وكان الحالُ مستــوراً   وأشغــــالي على قَدّي

ولي جارٌ رفيــقُ الحا.........ل يُدْعَى الحاجَ خُوجَنْدِي (٤)

رَكَنْتُ إليـه من غُلْبِي   فجــــازاني على وُدّي

بأن رشَّحنــي يومــاً   لدى التَّعدين في المَهـدِ (٥)

فرُحْتُ ، وكنت مِرْطاناً   أسَمّي النّورَ ، نُورمَنْدي (٦)

فرقّــاني المديــرُ إلى   وظيفـةِ كاتبِ الجَــرْدِ

وزوَّدَ راتبـي عِشريــ.........ـن مِرْيــــالاً بلا كَدِّ (٧)

وخَصَّصَ لي من البَسْكُو.........تِ كيلويــنِ بالزُّبــدِ

وكان إذا رآني قا.........ل (قود مورننق أو فرنِد) (٨)

---

(١) طقني : أصابني .

(٢) الحلبة : نبات يطبخ ويؤكل . الفصفص : نوى البطيخ . المندي : رأس الخروف المشوي في المنداة .

(٣) الدردي : الطعام السيّئ .

(٤) خوجندي : اسم اضطرت القافية إليه .

(٥) المهد : منجم الذهب في المملكة العربية السعودية .

(٦) نورمندي : مقاطعة في فرنسا (والشاعر يريدها كلمتين) .

(٧) مريال : تصريف (ريال) في معجم الشاعر حمزة شحاته .

(٨) قود مورننق أو فرند : صباح الخير ياصديقى (بالإنكليزية) .

فلمّـــا ثارتِ الحربُ وجرَّ الويلَ هتلــردي

أقالـــــوني ، وردُّوني وصَحَّ الجَمْعُ في جُعْدي [1]

وناهــيكَ بحُـــرٍّ نا......م في البرد بلا دُقْــدِي [2]

تمنّـــى ستـــرةَ الحال فلم يعثُر على صَلْدِي [3]

ولـــو أنصَفَتِ الأيّـــا......م لَحَابَتْه بأُوكلَنْـــدي [4]

وخلّتــهُ كفُـــوردٍ أو كرُوكْفِلّـــرْ وروتشِلْـــدِ [5]

ولـــو أنَّ شرورَ الحر......بِ قد كانت على حَدّي

لَمَـــا أنشدتُهاحزنـــاً من المَهـد إلى اللّحـــدِ

* * *

فمـا رأيُك في أمـــري إذا جئـــتُك والقنـــدي؟ [6]

وهل عندك ما يكفـي من الشّاوُلِ والهَـــرْدِ؟ [7]

وهـل نلقـاكَ مرتاحـــاً إلينـا أَوْ شَلُـو جِلْـــدي؟ [8]

فقد أغـرى بنـا الفقـر لئامـا من بنـــي سعـــدِ

وقد يَعدُو كلابُ الحيّ من جهـــلٍ على الأُسدِ

وإن أدبَـــرَتِ الدّنيـــا تساوَى الشّهـمُ بالوَغـدِ

---

(١) جغدي : الفك ، الحنك .

(٢) دقدي : اختصار كلمة (دقديق) : البطانية .

(٣) صَلد : أصغر عملة هندية .

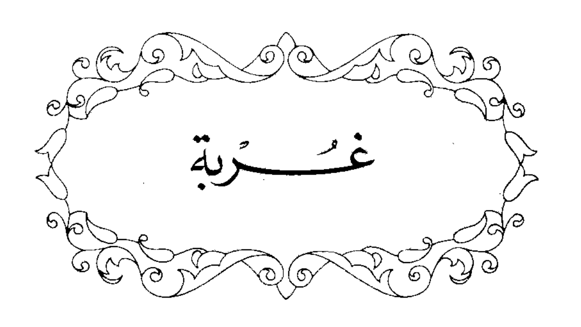
(٤) أوكلندي : معدن من معادن الهند .

(٥) فورد : صاحب معمل السيارات الأمريكية المعروفة . روكفلر : من أغنياء العالم . روتشلد : من أغنياء العالم (يهودي) .

(٦) القندي : سكر أحمر هندي شديد الحلاوة .

(٧) الشاول : نوع من التوابل ، يأتي من الهند . الهرد : نوع من التوابل ، يأتي من الهند .

(٨) شَلُوجلدي : كلمة هندية تعني : انصرف عنا .



غُـربة

(سلامٌ من صَبَا بردى أَرَقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكَفُ يا دمشقُ)

وأشواقٌ تَضيقُ بها صدورٌ ... يُخَشخِشُ في مسالكها البَهَنقُ [1]

وأسئلةٌ عن الأحوال طالت ... تَحمَّلَها إلى مغناك خَلقُ

وليس سوى سُكاتِك من جواب ... تكاد عليه من زَعَل تَطُقّ [2]

فماذا عنك بعد فِراق عامٍ ... وأين به صريخُك والمِشَقّ [3]

وأين رسائلُ الأشواقِ تُرجَى ... وبعضُ الشّوقِ للأحباب حَقُّ

فنحن هنا بلا وطنٍ وأهلٍ ... نعيش سُدًى على حالٍ تَشُقّ

فلا شغلٌ يَجيبُ لنا فلوسا ... ولا دَخلٌ يَطولُ عليه عُنُقُ

وقد مُنِعَتْ حوالةُ كلّ شهرٍ ... وكان المنعُ مشكلةً تَدِقّ

وقالوا : المنعُ أيامٌ قصارٌ ... فطالت ، والمَطالبُ لا تَرِقّ

يُظَنّ بنا الغِنى والحالُ زِفتٌ ... وخيرُ طعامنا عيشٌ ودَقّو [4]

ألا يا بنتَ يَعرُبَ خبّرينا ... متى تصفو المواردُ وهي رَنْقُ؟ [5]

---

(١) يخشخش : يصوت بالخشاخيش . البهنق : محرفة عن (الهَبَنَّك) وهو الأحمق ، أو النّمام .

(٢) السُّكات : لعله أراد السكوت .

(٣) المشق : المغني الذي يرفع صوته بالغناء .

(٤) دقو : لعله يعني (الدقة) وهي ملح وفلفل وتوابل .

(٥) الرنق : الماء الذي فيه تراب ، الكدر .

وماذا تبتغـي الأسواقُ منّـا ... ونحنُ بها عبيـدٌ تُستَـرَقّ ؟

كأنّا والتُّجَـارَ خصومُ حربٍ ... على الأقواتِ أو غَربٌ وشَرقُ

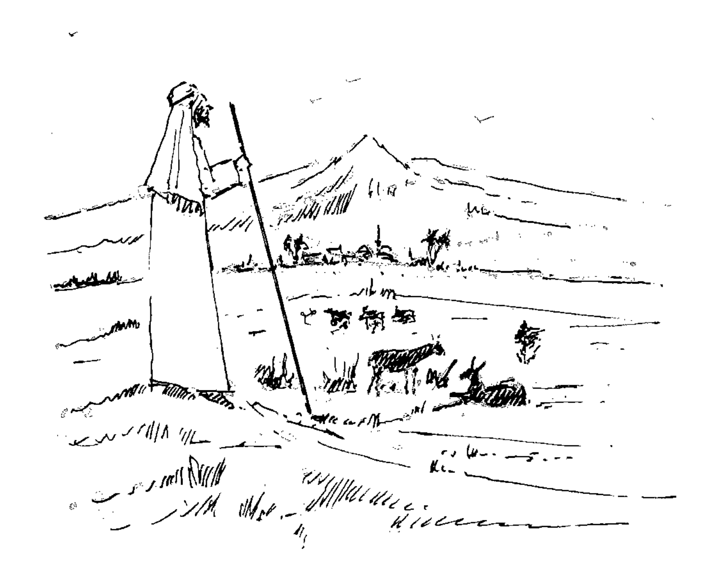
ولـولا سُتـرةُ المولى شَحَتْنـا ... وطال بنا على الأبواب دَقّ [1]

ولكنّ الإقامـةَ ليس تُعطَـى ... لشحـاتٍ له في مصرَ زَنْـقُ [2]

فما نَفـعُ الغـريبِ بغير مالٍ ... ولـيس وراءَه للقُطـرِ رزقُ

وتـلك سيـاسةٌ للحـقِّ فيها ... مزاميـرٌ وطيرانٌ تدقّ

فليت رجالَنا فطنـوا إليها [3]



(١) شحتنا ـ : شحذنا .

(٢) الزنق : المكان الضيق (الزنقة) .

(٣) القصيدة هكذا وردت غير كاملة .



صُورَة

لي صديقٌ دعَتْه داعيةُ العَيْـــشِ ، على ضَعفِه المُبين ، فجَدّا
ضاق بالإنزِواء ذَرْعاً ، وفي الوثـــبِ عزاءٌ للمُقعَدِيـــن ، فشَدّا
واقتفى السَّائريـنَ في سُبُل الفِكـــر وُثُوباً ، فارتدّ بُهْراً وأكْدَى[1]
وانثَنى لاهثاً ، يَعيبُ على النّاجح دَعوى نجاحِـه ، فتـردّى
لم يزل ذاك شأنَ مُفتقِدِ النُّجـــح ، ورمزَ الإخفاق ، عكساً وطَرْدا
فإذا ضاع مَطلَبٌ ، عزّتِ النفـــس فتاها بحكمـةٍ ، فتَهدّى[2]

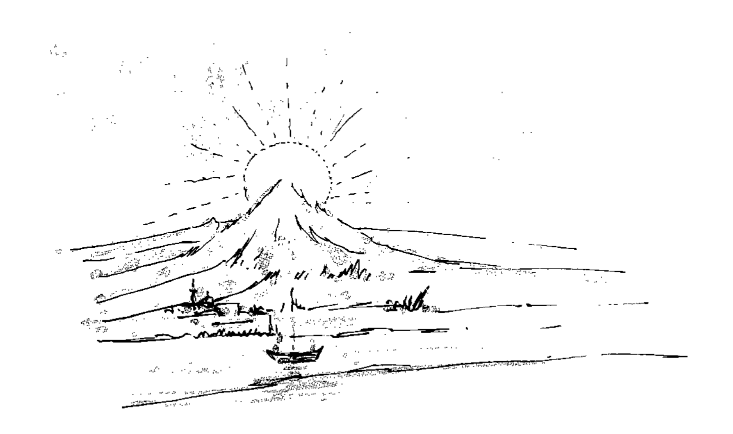
* * *

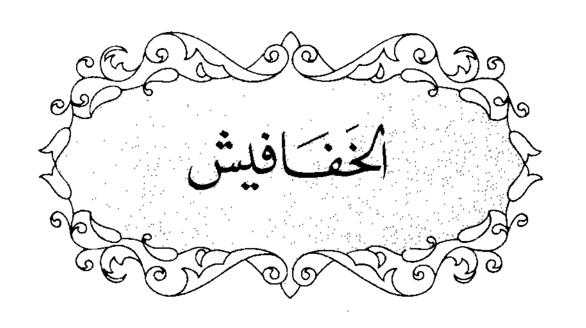
وصديقي الحكيمُ ، كان أديبـاً أو كذا كان يَرتَجي ، فاستَعدّا
ورأى النّاسَ يكتبونَ ، فظنَّ الـــأمرَ سهلاً ، فحاول الأمرَ جِدّا
ورآهم يُصوِّرونَ رُؤى الفِكـــر جَمالاً طَلْقا ، ولَحْناً ، ووَرْداً
فانثنى قائلاً : وما خَطَرُ التّصـــويرِ ؟ إنّ الإبداعَ بالفحلِ أَجْدى
فلأكُنْ مبدِعاً ، تُقيمُ تصاويـــرُ يَراعي لِفتنة الفنّ مَجْدا
قالها ، واحتبى على قِمَّة التّـــلِّ يُواري زَنداً ، لِيَقدَحَ زَنْدا

* * *

(١) بُهراً : مُجهَداً . أكدى : افتقر بعد غنى .
(٢) عزّت النفس فتاها : قدمت إليه العزاء والسّلوى .

قال : شأنُ الأديبِ أن يُبدِعَ الصُّورةَ ، ما للأديبِ عن ذاك مَعْدَى
أو فهذا شأني إذا عَجَز النّاسُ ، وَلِمْ لا أكونُ في النّاس فَرْدا ؟
أتلقّاهُمُو ببدعٍ جديدٍ من صنيعي وما أُحاول إدّا
وتراءت أمامَه صُوَرُ الكَونِ تِباعاً ، بِيضاً وسُوداً ، ورُبْدا
فانتقَى خيرَها ، كما ارتجَل الإمكانُ ، لا خيرَها اختياراً ونقدا





الخفافيش

أَطَلْنا .. وأوجَزْنا سُدىً في عِتابِها ... فهل نَتراخَى بعدَ ذا عن عِقابِها
صَمَتْنا .. فأعطيْنا المروءةَ حَقَّها ... حِفاظاً على آدابها وارْتِقاً بِها
فإن ركبتْ بالأمن تِيهَ غرورِها ... فقد سقطتْ في هُوّةٍ من مُصابِها
خفافيشُ عاشت في الظلام ، ورفرفَت ... بأجنحةٍ لم تَنطلِق من حِجابها
وفاقتْ نُسُورَ الجوِّ كِبْراً وسُرعةً ... وقادت زِمامَ الضَّوْءِ من خَلفِ بابِها
أَلَيسَت تَرى في الليل دربَ ذَهابها ؟ ... أليست تَرى فيه سَبيلَ مآبِها ؟
أليس على أوكارِها النَّدُّ والنَّدى ... سحائبَ في تهويمها وانسكابِها ؟
أليسَت إلى أعلى المرامي تطلَّعَت ؟ ... فكلُّ مَرامي الكونِ مِلكُ رِكابها
بلى .. وخيوطُ النُّورِ تَشهدُ أنَّها ... غَزَت ظلماتِ الكونِ بعد ضَبابِها
كذا هيَ في عُرْفِ الخفافيشِ رُتبةً ... تَحارُ اعتزاماتُ الوَرى في طِلابِها
بَلى ، يابُغاثَ الطَّير .. بل يا خِشَاشَةً ... تَمَشَّى على سطح الدُّنا كذُبابِها
رأيتُ بكِ الدّنيا تَمُوجُ كأنَّها ... تَقُصُّ على المفجوعِ سِرَّ انقلابِها
أما رُزِئَتْ في الفِكر أدهى رَزِيَّةٍ ؟ ... بِزحفِ بُغاثِ الطّيرِ فوق ترابِها
تَهيمُ ولا تدري إلى أينَ تَنتهي ... سوى أنها مَوْكولةٌ لانصيابِها
خفافيشُ عُمْيٌ إن تَرى الفَجر أنكَرت ... سَناهُ ، كما لو كان موتاً مُجابِها
هَلُمّي إلينا يا خفافيشُ كي نَرى ... ونسمعَ عن دنياكِ فَصْلَ خطابِها

ونأخـذَ منكِ الفكـرَ والشّعـرَ والغِنا قشوراً سَتُغنينـا بِفَـيْضِ لِبابِهـا
مَراقِ حُرِمناهـا شُيوخـاً وفتيـةً وعِشنا حَيارى في فسيح رِحابِها
لقد فاتنا سَعيُ الخفافيشِ في الدُّجى وحِكمتُها في دَرسِها وانكبابِها
فها نحنُ بعدَ الجهلِ تحت لوائِها نُشَيّـدُ أوكارَ المُنـى في جَنابِها
ونَنهلُ من عِلم الخفافـيشِ كلَّ ما جَهلناه عن دِيوانِها .. وكتابِها
وعِشنا نَروضُ الشّعرَ بعد جِماحِهِ فتطلعُ شمسُ الشّعر بعد احتجابِها
وتغدو خفافـيشاً تَهيـمُ بظُلمَـةٍ سَرَى بِرؤاها شاعرٌ وحَـدَا بِها
أحِيـنَ اكتَهلنا يا خَفافيشُ مَسَّنا بفضلِ الأذى والشرّ ذَرْقُ شبابِها
فما رمَّـدت في مَوقِـدِ العَـزْمِ جَمرَةٌ ولكـنّ عُوراً أخطـأت في حِسابِها
ويا رُبَّ .. خفّـاشٍ أطالت بقاءَه حقارتُـه ، لم يَلـقَ في النّاس آبِها
تباركتَ يا عِلـم الخفافيشِ لم تَدَع لأُسدِ الشَّرى حتى مساتيرَ غابِها
أحـطتَ بأسرارِ الطّبيعـة والـوَرَى وأصبحتَ قاضيْ سَهلِها وشِعابِها
ولَمْلَمتَ أرسانَ الفُنونِ ورُضْتَها كما شِئتَ لم يُعْجِزك طولُ غلابِها
فها أنتَ تحت التّاج أسطورةٌ دَوَّى بها الكونُ أو أُحدوثةٌ قد سَمَا بِها
ركبتَ بها للشّمسِ ، واللّيلُ نائمٌ بُراقـاً تغطّـي وجهَها بنقابِها
فما نوَّرتْ من بعدُ وَكراً ولا بدَت ومات أديمُ الأرضِ بعد غِيابها
وكم معجزاتٍ للخفافـيش غيرُها يَضِلُّ الحِجى في صِدقها وكِذابِها
لأنَّ خيالاتِ الخفافـيش وحدَها دعائمُ ، تكفي للهُدى بانتصابِها
أليست بنابيعَ الفنون على المَدى وفي غاية استقرارِها واضطرابِها
إذاً ، فهي قانونُ الخفافيش ، لا الحِجَى ، وما حزمت أوكارَها في احتطابِها

وليس إذنْ للنّاسِ شعرٌ وشاعرٌ   وغاصت بحوراً قصّروا عن عُبابِها

وما ذاع من أنبائِهم فَهْو باطلٌ   وأرديةٌ قد أجرموا باستلابِها

سوى شاعرٍ أرضَى الخفافيشَ قُدرةً   وفلسفةٌ طارت بكلّ صوابِها

أصابته عدوى الذَّرْقِ فانحلَّ صُلبُه   فشاطرها المَيدانَ بعد اصطحابِها

وسارت له بين الخفافيش شهرةٌ   تَحيَّرَ بالسّاعين أمرُ اجتلابِها

ويا خُسْرَ من تُعلي الخفافيشُ قَدْرَه   فعاش على ما آدَه من ثوابِها

وكان غنيَّ الآدميّةِ قبلَها   فها هو يَجلو وجهه بخِضابِها

عواقبُ ما تنفكّ سَاخِرَةً بنا   تَفرَّقُ ألْبابُ الورى في عُجابِها

وتُركِيبُنا أقدارُنا شرَّ وِجهةٍ   وليست لنا من حيلةٍ في اجتنابِها

رأيتُ لأوكارِ الخفافيش حُرمةً   من الضَّعف لم تنهَض بجُهد اكتسابِها

ولكنَّ رأياً للخفافيش قائلاً :   قضى سادِراً في غَيِّه بخرابِها

متى أطلق الخفاشُ في اللّيل فِرْيَةً   سيفضح ضوءُ الصبح سرَّ آنتسابِها

وكتَّم خفاشٌ فظاعةَ نتْنِه   فكرَّت عليه لعنةٌ في انصبابِها

كذلك أوكار الخفافيشِ لم تزل   تغالبُ تَيّارَ الحياة بعابِها

ترى العيشَ ذرقاً لا يكفُّ وظلمةً   يَغول السَّنا فيها نباحُ كلابِها

ورُبَّ نفوسٍ أعربَت عن يقينها   فأفشت بما أبدت خفيَّ آرتيابِها

وبارُبَّ لاهٍ عَاب بالقول وادَّعى   فأشقى معانِيهِ به واكتوى بِها

فعاد يُوَلّي وجهَه حِجرَ أمّه   ولم يَدْرِ ما غصَّت به من عذابِها

فقد فُجعتْ فيه صبيّاً ويافِعاً   وكهلاً تَجلَّى فيه رمزُ اكتئابِها

وأُغرقَ في ذرقِ الخفافيش بيتُها   فهاج اطرادُ الذَّرق داءَ عُصابِها

وسَرَّ بغاثَ الطير ماساءَ أمَّه ... فراح به في مَعرِض الذِّكْر نابِها

يهزّ إذا ما ضمَّه الوَكرُ ذيلَه ... ومنقارُه في ذرقه قد رمى بِها

أما نَجَّسَ الدّنيا فما آحتجّ ناكرٌ ... لِفعلتِه في رملها وهضابِها ؟

أما قاد أرتالَ الخفافيش خلفَه ؟ ... وشيَّد للأوكارِ أسمَى قبابِها ؟

أما قال ما شاءت سَماديرُ حِلمه ... أما شقَّ للدنيا مجاري سَرابِها ؟

إذاً ، فهو سلطانُ الخفافيش ، ما جرَتْ ... على شَرطه ، في سَعيِها ورقابِها

وما النّاسُ إلّا كالخفافيش مِلّةً ... متى عُقِلَتْ في بُعدها واقترابِها ؟

وما الشّعرُ إلّا من عطاياه وحدَه ... تأبَّطها مخبوءةً في جِرابِها

فيعطي ، ولا يُعطَى ، مُشيحاً ومُقبلاً ... على ظهر عَشواءَ جَرَت وجرى بها

ويَرتجِلُ التّاريخَ كالشّعر محدَثاً ... فيصنعُ للدّنيا جديدَ إهابِها

ويُلغي مساعِيها تَليداً وطارفاً ... وما أثمرتْ في أمنِها واحترابِها

وما اقتاتَ إلّا من بقايا طعامِها ... ولا عاش إلّا من فضول شرابِها

ولكنَّه ذَرْقُ الخفافيشِ لم يزل ... ينازعُها ميراثَها والمَشابِها

وما هو إلّا الذّرقُ ، والذَّرقُ وحدَه ... تراكَم في أوكارها وعِيابِها

وما هو إلّا لُوثَةٌ ضاع بابُها ... ومفتاحُه إذْ أحدثتْ في ثيابِها

فإن أخطأتْ في سيرها وتَعَثَّرتْ ... فقد كان هذا السُّمُّ من صُنع نابِها

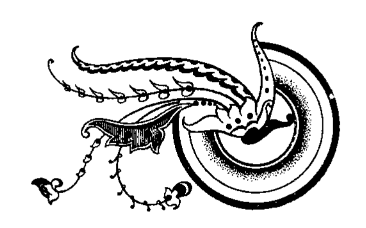
ألا ليتَ أوكار الخفافيشِ عَلَّمتْ ... نُسورَ الحِمى ما فاتها في انتهابِها

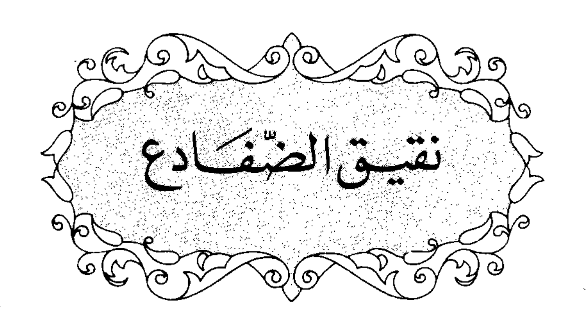
فتلك يقيناً للهياثِمِ غايةٌ ... من السَّبق لم تَنهضْ لإدراك قابِها

تعالَوْا إلى دنيا الخفافيش ، وانظروا ... كؤوساً خَلَت من خمرها وحَبابِها

وروضاً بلا وَردٍ ، ووَرْداً بلا شَذاً ... ومسرحَ زهرٍ غُيِّبتْ في سَحابِها

لَغَاضَ الحِجَى والفنُّ والذّوقُ والهوى إذا ساد في الدّنيا نعـيبُ غرابِهـا
وهـانَتْ مراقي الصّاعديـن إلى العُلى إذا أُنكر اللّاهـون ضوءَ شِهابِهـا
مهـازلُ هذا الدَّهر كُثْـرٌ وشرُّهـا صغائرُ لا يُسليكَ خوضُ صعابِها
وقـد بدأ الخفـاشُ بالـذّرقِ قِصَّةً تعجَّلَـه مَقـدُورُه فانتهى بها
وجَلَّ الذي أُوْلَى الخفافيشَ كلَّ ما أقـام لدنياهـا مَضاءَ حِرابِهـا
إلى حيث لا تُنْجِي السّلامةُ راضِخاً لِما أعقبتْـه من تَجَـرُّعِ صابِهـا





لولا بقايا « مزاميرٍ » و « ألـواحِ ** لم تَبقَ « ريمةُ » يوماً بعد « مِشْكاح »[1]

فَلْتَهْـنَ بالإرث يَستبقِـي بذِكـرِهما ** جهـادَ كُفئَيـنِ ضرّاطٍ وسَلاّحِ

وبـوركَتْ حلقـاتُ الذِّكر بينهمـا ** نقشاً على الماءِ يَستعصِي على الماحي

من أينَ يا شطحاتِ السُّكْرِ جئتِ بها ** شعـراً ، تحيَّـرَ منه منطقُ الصّاحـي ؟

نقَّتْ ضفـادعُ غَيْـلٍ فاستطـارَ لها ** فيمـا رأت بعَماها ، ألـفُ تِمساحِ

سبحانَ واهبِ هذا الضَّعفِ سَطوَتَـه ** في غائصٍ من فُضولِ الماء ضَحضاحِ



---

(١) ريمة ومشكاح : ثنائي هزلي .. زوج وزوجة .



جُوزيف

جوزيفُ ، هل خابَ الفتى أم أصابْ   وفاتَـه ، أم نال شرطَ الـنِّصابْ ؟

وخاضَهـا معركـةً ، أخصبَتْ   أم أجـدَبَتْ ، لم يَكُ منها مآبْ ؟

غابت رُؤى الـحُسنِ وأحلامُـه   منـذ رأى السَّبـاحُ تلكَ الشِّعـابْ

سيَّـانِ مَن يَغـرق في رملهـا   مستأنيـاً ، أو يَستقـلّ السَّحـابْ

هِمْنـا بأسرارِ الهوى ، والهَـوى   ضلالـةٌ من دونها ألـفُ بابْ

والحبّ وَهْـمٌ لا يراه الـذي   يَنشُدُه من بعدِ خَلـع الثّيـابْ

وقـد عَلَت سِنُّكَ ، يا صاحبـي   وإنْ تَقُلْ : ما زلتُ غَضَّ الإهابْ

فالدّرسُ عِبْءٌ ، والحِجى عَثْرةٌ   والدَّربُ وعرٌ ، والأمانـيْ كِذَابْ

* * *

جوزيـفُ ، عِشْ وآنهضْ بأثقالِهـا   معمعةً ، يُفصَل فيها الخِطـابْ

واحمِلْ على رِجلَـيْكَ كلتيهمـا   وقـلْ لنـا : ماذا وراءَ السَّرابْ ؟

فقـد قضَينـا العمـرَ في غفلـةٍ   رمَت بنـا في ظلُمات الـعُصابْ

البـيتُ ، والأولادُ ، والمنتهَـى   نهايـةٌ مُثقَلـةٌ بالعـذابْ

والسُّهدُ ، والجَهدُ ، وضَنْكُ السُّرى   إلى قشورٍ ، ليس فيها لِبـابْ

« لكنّهـا يَغْنُـو لها الـــصّاحِي ، كما يَعنو صريعُ الشَّرابْ »(١)

---

(١) التفعيلات ناقصة .

قد أذعـــنَ النّـــاس لها قبلَنـــــا خطيئـةٌ ، قد ضاع فيها العِتــابْ
فَرِحتَ في يومِك ، لكنّنِـــــــــي شعَـرتُ بالعقــل كبيـــرَ المصابْ
عَسَاكَ إذْ هِمتَ بها غايــــــــةً راعــيتَ فيها سنَّــةَ الإنتخــابْ

* * *

جوزيفُ ، قد أصبـحتَ ذا أسرةٍ فاجعل (لِزَنبيلِكَ) فَصْلَ الخِطابْ
واحرِص على صُلبك لا يَنثني ، وادعَمْه ، وآرْفِدْه بمَضْغِ السَّذَابْ[1]
واحـــذرْ من الهمّ « وأسبابِـــه » فإنّهـــا تنمـــــو نموَّ الذّبــــابْ
ودَعْ دراساتِك ، واقـــــذِفْ بها من جالـقٍ ، فَهْـي نذيـرُ الخرابْ
وأحـرِقِ الكـــتْبَ ، فإنْ بِعتَهـــا فلا تَدَعْ في البيت منها كِتــابْ

* * *

جوزيـفُ ، ماذا يَبتغـي طامــعٌ من سعيِه بعـد الهوى والشّبـابْ ؟
ها أنتَ من بيـــتك في جَنّـــــةٍ تَزينُهـــا جِنيَّـــةٌ ذات (كابْ)[2]
تُنسيك عِهـداً مُجدِبــاً عِشتَـــه في وَقدة الحِرمـان بين الصِّحـابْ
تَجــــول في الأسواق تجتاحُهـــا في نظرةٍ تَنْقَضُّ مثـلَ العُقـــابْ
خلـفَ الصّبايا يتـدِرْنَ الخُطــى مثـلَ ظِبـاءٍ نفـــرَت من ذئـــابْ
وأنت تنسلُّ جريءَ الخُطــــــى وقـد بدا في شفتـيك اللّعـــابْ

* * *

جُوزيفُ ، هل أمضِي إلى غايتـي من قصَّة الماضي مدًى لا يُجـابْ ؟
أم أكتفــــي منها بما سُقتُـــــه مَبـاذلاً زحـــزَحْتُ عنها النّقــاب ؟

---

(١) السَّذاب : نبتٌ طيب الرائحة .

(٢) كاب : معطف طويل تلبسه المرأة فوق ثيابها .

جوزيفُ ، ما أحلى المُنى لو وَفَتْ — صدقاً ، وما أسمى الهوى لو أثابْ

كنتَ ، ومــازلتَ صديقــاً له — بين أحاسيسٍ صدًى مُستَجابْ

فادفـع إلى اليُمنِ مطايا الهُــدى — وعُـدْ بما ترجـو مَليءَ الوِطـابْ[1]

* * *

جوزيـفُ ، ما غايـةُ هذا السُّرى — طاحت به أحلامُنـا في يَبـاب ؟

إلى متــى نسعــى ولا نهتــدي — وفيـمَ نَسترضي الرِّيّاحَ الغِضاب ؟

وظلمـةُ اللّيــلِ متــى تنتهي — والفجرُ لا يُدنِيه منّا ارتقـابْ ؟

أبَتْ مساري الأينِ أنْ تنـقضي — ونحنُ فيها هدفٌ للعِقـابْ

لَعنـةُ (سيزيـفَ) أطافت بنـا — وصوتُـه الوانِـي بنـا قد أهـابْ[2]

وقصَّةُ الصخـرة لا تَبْلـغُ القمَّـ........ـةَ إلّا انحدَرَت للتّـرابْ

قِصتُّنـا ، في عَيْشِنـا ، ذاتُهـا — بين مرامي جُهدِنـا والطِّلابْ

تحدو بنـا الآمالُ نحو الـذُّرى — حتـى إذا ما آذنَت باقتـرابْ

هَوَت بنـا الأقـدارُ غلّابـةً — إلى سفـوحٍ تستعيـد الغِـلابْ

* * *

جوزيـفُ ، إنّ العـيش دُوّامَـةٌ — تخبَّـطَ السبَّـاحُ فيها ، فغـابْ

ما الحيُّ فيها غيــرُ فُقّاعــةٍ — تَذوبُ في لحظتها كالحَبـابْ

هل هي مَلهـاةٌ نَعِمْنَـا بها ؟ — أم هي مأساةٌ تَفـيضُ اكتئـابْ ؟

---

(١) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن ، ويصنع من جلد ، والمراد به هنا الجعبة .

(٢) سيزيف : اسم لرجل حلّت عليه اللعنة في الأساطير الإغريقية ، وحكم عليه بنقل صخرة من أسفل الوادي إلى أعلى الجبل ، فهو يحملها على ظهره بصعوبة . يصعد بها ، حتى إذا كاد يبلغ القمة هوت الصخرة إلى الوادي ، وعاد من جديد يحملها ويصعد بها ، إلى يوم الدين .

صِراعُنا بينهما دائبٌ ضاقت به أقدامُنا .. والرِّقابْ

* * *

جوزيفُ ، ما أُسهبتُ لكنّها ثرثرةُ اللّاهي إذا ما استطابْ

أو إنها قصَّةُ (لا مُنْتَمٍ) تجنَّبَ الناسَ ، وصافَى الكلابْ[1]

وعاد من رحلته خاسراً يَنعَب من آثارها ، كالغرابْ

فراحَ في إثْرِ صديقٍ له فاصطاده بعدَ طويل الغيابْ

فانهالَ بالقول على رأسه كأنّه عاصفةٌ فوق غابْ

* * *

جوزيفُ ، إن ضِقتَ بها فاحتمِلْ حظَّكَ منها ، فَهْي بعضُ الثَّوابْ

فطالما أثخنتَ فينا ضُحىً إلى مغيبِ الشمس ظُفْراً ونابْ

كنّا ضحاياكَ سِنيناً مضَتْ وكان في وُسعِك ألّا تُصابْ

وقد تَصيَّدَتكَ ، في ليلةٍ جاد بها قيدُك خلف الحِجابْ

لا انفكَّ عنك القَيدُ حتى ترى الـ.........أولادَ من حولك ملءَ العِيابْ

مشتغِلاً عنّا بهم ، راسباً أو طافياً فوق متونِ العُبابْ

* * *

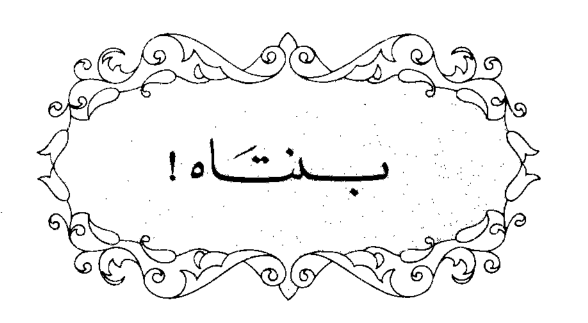
جوزيفُ ، قد صِرتَ إلى غايةٍ تُشبِهُ فيها جُرَذاً ، في جِرابْ

تأبى انطلاقاً ، فإذا رُمتَه جَرَّتْكَ من ذيلِك كفُّ الرَّبابْ

فعُدتَ رهنَ القيدِ ، لا تَرتَجي منه خلاصاً قبلَ يومِ الحسابْ

---

(١) اللامنتمي : رواية كتبها « كولن ولسون » ونالت شهرة عالمية ، وترجمت إلى كثير من لغات العالم ، والشاعر هنا يشرح خلاصتها .



يا بنتاهُ : أديري رأسَكِ

في أُفُق الأحلام

وانتظري - مثلي

أن يتحقَّق - حُلمٌ منها

سيطولُ الليل .. نَعَم سيطول

ولكنْ ليس إلى غيرِ نهاية

لم يَمُتِ الفجرُ

والنّور وَلُود

والصّمتُ المطبِقُ ينسُجُ في بطءٍ

أكفانَ الظلمةِ بألوفِ الأيدي

يَغزِلُ راياتٍ .. تحملُ شاراتِ الإصرار

والصَّمتُ عنيدٌ يا بنتاهُ

والصّبرُ رمادٌ تكمُن فيه النّار

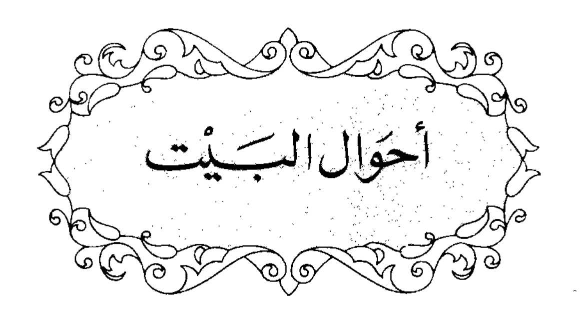
وسكونُ القرية مفتاحُ الأملِ الموعود

ما زالَ يُلجلجُ في الأقفالِ الصَّدِئة

ويحرّكُها من نومٍ طال

وطاحَ بها عَبْرَ الأجيال
بِنتاهُ : سيعلو الهمسُ رويداً
ويقـــودُ السَّيــــــلَ
ويجرِف أغلالَ الأوهام
وسيغسِلُ كلَّ دروب القرية ويطهِّرها
وتُغنّي للأطفال نشيـدَ العيـد





أحوال البيت

وكما تركتِ البيتَ مازالا   قَلَقاً ، وأعباءً ، وأطفالا

و « معاركاً » بين الصّغار غَدَا   حُلُم النّظام بهنَّ أطلالا

* * *

أخَذَتْ كتابي . ضَيَّعَتْ قلمي   شدَّتْ يدي ، قَفَزَتْ على ظهري

ذاتُ الحياة .. وربّما اختلفتْ   عما كرهتِ ، ونحن لا ندري

* * *

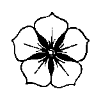
فإذا الصّباحُ أطلَّ خضناها   حرباً يكون وَقودَها أختي

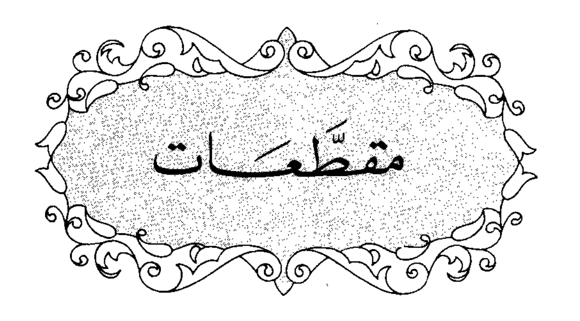
هدى تقول : حذاؤها ضاعا   زُلفى تسائلُ : أين مَرْيَلَتي ؟

وسهامُ تبحث عن حَقيبَتِها   وتصيحُ ليلى : لم أجدْ قلمي

فتجـــيبها نجلا بدمـــعتها   وأنا صحوتُ فلم أجد كتبي

فإذا انصرَفْنَ تقوم معركة   ويَجِدُّ أهل البيت في الطَّلَب





مقطّعات

يا ربّةَ البيتِ ، ماذا خلفَ رَونَقِهِ آلـ ـبادي من النّقصِ والتّنقيص والقَذَرِ ؟

جَلّتكِ أمُّك للبعلِ الذي اجتذَبت   مرضيّةَ الحُسن والأخلاقِ والبَصرِ

وكاتَمَتْه على عِلم بحاجتـه   ما تحتَ ظاهرِك المجلوِّ من غَرَرِ

حتّى تكشّفتِ عن نُكرٍ تخوّفه   مذْ كان يخبط بين الخُبْر والخَبَرِ

فإن أطاقَكِ أحنى العبْءُ كاهلَه   وإن أراقَك لم يَسلم من الهَذَرِ

يا لِلحياةِ ، أراغَ الصَّفوَ ناشدُها   فلم تَقُد خطوَه إلا إلى الكدَرِ

لا يتّقي عاقلٌ محتومَ غايتِه   بما تعوَّدَ من خوفٍ ومن حذَرِ

* * *

يا خاطبَ الظّبيةِ الحسناءِ محتقِباً   عنها الأحاديثَ ، ماذا خلفَ ظاهرِها ؟

لا تطلبِ الحسنَ تجلوه مفاتنُها   واطلبْه حُسنَ خَلاقٍ في معاشرِها

فربَّ فاتنةٍ يُخفي مقابحَها   عن نظرة المتمنّي وشيُ مئزرِها

الحسنُ مطلبُ أيامٍ يقصّرها   عَجْزُ المليحةِ عن إشباع ساترِها

ويا بقيّةَ حزمٍ كنتُ أذخَرُها   مضى بها ، غيرَ ساعٍ ، حظُّ قامرِها

ماذا عليكَ ، وشرُّ الخَطوِ أعجلُه   لو اتّأدْتَ قليلاً في بوادرِها

كانت نشيدةَ ملتاحٍ تعجّلها   وراح يحمل إصراً من جرائرِها

* * *

وقالوا : تزوّجْ غيرَ ذاتِ جهالةٍ ... تفُزْ بهواها خُلَّةً ومُشاكلا

فجاءتْ كما شاء النَّصيحُ أريبةً ... وزادت فكانت خَلّةً ومَشاكلا

مَلِلْتُ هواها زينةً وصَباحةً ... لئن ضِقتُ ذرعاً بالطَّوى وشمائلا

لقد كان شرّاً أن طلبتُ عشيرةً ... ورأياً على طول التردّد قائلا

يلوم على أني تشاءمتُ صاحبي ... ولو أمكن الخطوُ الكسيحَ تَفاءلا

ألا شَدَّ ما يوهي قُواكَ مبغَّضٌ ... تَراهُ ، وقد أوليتَه الصَّرمَ واصلا

* * *

على أيّ حالَينا من العيش نلتقي ... زهادةِ سالٍ ، أم نهايةِ مخفِق ؟

وأيَّ ضلالات العواقب يَرتجي ... سَؤومٌ متى عاطيتَه الودَّ يَصْعَقِ

عثرتَ ، وما كان اختيارُكِ فطنةً ... فيالكِ من خرقاءَ سِيقتْ لأخرقِ

بأيِّ ملاذٍ من عَنائكِ أحتمي ... وأيَّ سجاياكِ البغيضةِ أتّقي ؟

فما كنتِ إلا صفقةَ الغبنِ باطناً ... على ظاهرٍ مما اصطنعتِ مُزوَّقِ

* * *

تُباهينَ جهلاً بالجَمال ، وإنّه ... ذخيرةُ لهوٍ لا تَدوم لمنفقِ

وما الحُسنُ عندي غيرُ ملهاةِ عابثٍ ... إذا لم يَزِنْه طِيبُ مَسعًى ومنطقِ

وما حُسنُ أنثى جانبَ البعلُ بيتَها ... وجافاه ، لم يحفِل ، ولم يتشوّقِ ؟

لَشَرُّ الذي ألقاه منكِ ودادةٌ ... تنازِعُني أشلاءَ صبرٍ ممزَّقِ

تَهيمين بي ؟ لو كنتِ ماءً لِعفتُه ... على ظمأٍ ، والموتُ يُلوي بمخنقي

رُوَيْدَكِ ، ما أُجزيكِ بالحبّ صَبوةً ... وما هيَ إلّا رحمةُ المتصدّقِ

ألا ليت يوماً لاظَني بكِ لم يكن فما أنتِ إلّا الدّاءُ حاقَ بمحلقِ

* * *

كلا اثنيهما فيما أباديكِ مُرمِضي جهامةُ آلٍ ، أم عداوةُ مبغضِ

وما صبرُ مثلي عند بلهاءَ يستوي لديها سروري طافحاً ، وتقبّضي

لها منزلٌ عافته نفسي قذارةً تحوّلَ عنه كالحاً كلُّ أبيضِ

وما عرفتْ من شأنها فيه غيرَ ما تُزَيّنُهُ من مُذهَبٍ ومُفضَّضِ

للكِ الويلُ ما تحلو عروسٌ بثوبها لدى بعلِها فيما تَنِدّ وتنتضي

ولكن بأخلاق ومسعاةِ ناشطٍ لعيدٍ بلبسِ العيش ريانَ ، فانهضي

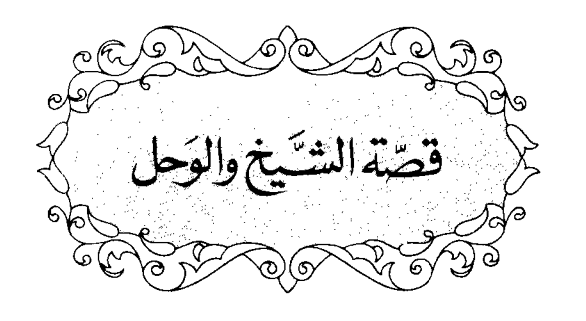
جزيتُكِ بالحبِّ الذي تزعمينَه إشاحةَ مغبونٍ ونُفرةَ مُعرِضِ

فما فيكِ لِلمُلتاجِ رِيٌّ يُسيغُه وقد غضَّ إلا آهة المتمرض

فأيَّ أمانيِّ الهوى فيكِ أقتضي وأيَّ مرازي طبعِكِ الكَزِّ أرتضي ؟

لقد كان رأيي في اختيارِكِ عثرةً فمَن لي وقد خارت قُواي بمُنهِضِ ؟





قصّة الشّـيخ والوَحل

طرقتُ – فما أذِنَتْ – بابَها   ولـمَّتْ على العَهـرِ جِلبابَهـا

فدُرْتُ برأسيَ عَبرَ الـــفضاءِ   أذكّـــــرُ نفسِي بما رابَها

وقـال أبـــو واصِلٍ : إنَّهـــا   مراسيـلُ ، تعرب ركّابَهـــا

ودانت له مصعَباتُ الكـلام   فأُنسَى الجماعـــةَ نُدّابَهـــا

وأثخَـــنَ في مخطِئِـــي دَربِـــه   إلى « قصّة » كان بَوّابَها

وأيقـنتُ أنّ حيـــاءَ الكـــريم   رذيلتُـه ، عنـد مَن عابَهـــا

ومـا صحَّ عنـــد أبي واصل   خلا رحلةٍ في الدجى جابَها

فصار بها من ليوثِ الشَّرى   وزاد ، فنازعهـــا غابَهـــا

ولم يجهـلِ الشّيـــخُ أسبابَهـــا   فهل يعرِفُ الشيخُ إعرابَهـا ؟

أمـا خاضهـا بعدُ في درعـه   فعـــاد يكابـــر أوصابَهـــا ؟

وفي ذيلـــه قطعـــةٌ لم تَعُـــد   فهـل عِلِـم النـاسُ ما نابَهـا ؟

قد انتزعَتْهـــــا يدا ناشئٍ   غريـرٍ ، فرجَّـــل هَدَّابَهـــا

وهيّـــأ منها له ، لحيَـــةً   تُطاوِلُ في المَعْزِ أترابَهـــا

وألصقَهـــــــا بأبي واصل   حصانـاً تطـارد ، طلّابَهـــا

فمـا ظفـرتْ بالـذي ناوشَت   ولا لحقتْ بالـــذي هابَها

وظـلّتْ تقـــود أبـــا واصل   إلى وِجهـة أخطـآ قابَهـــا

* * *

ألا يا أبـا واصِلٍ إنّهـا مشاربُ تقتـل شُرَّابها
وإنّ الفضائلَ ليست طِلىً تُعاطيكَ دنيـاكَ أكوابَهـا
ولكنّهـا قِمـمٌ ما سَمَت ليبلغَ جُهـدُك ، محرابَهـا
فأنتَ لحانـاتِك الراويـاتِ تَفـيءُ ، وتَلثُـم أعتابَهـا
فتَجزيكَ عبثاً على أخدَعَيْك مآثـمُ ، تشرب أنخابَهـا
وما أنتَ فيها ، ولا أنتَ منها سوى حَوْبَة خاب من حابَها[1]
وقد أخلفَتْك حقولُ المنى فكيـف تَوقّـيكَ أجدابَهـا ؟

* * *

حِسانُ المعالي ، أبا واصل ، شُكـولٌ ، تماثِلُ أضرابَهـا
وتُضرِبُ عن شبُهات الهوى ولـو أنكرَ النـاسُ إضرابَها
ولـو سَفِـهَ المالُ والأغنيـاءُ وفلسفـةُ الشيـخ أترابَهـا
وأنّ العفـافَ وطهرَ النفـوس فضائـلُ تُضنِـيكَ أربابهـا
وتعرفُ في الفقر .. في كِبره وإنكـارِه الآثِمِ – خطّابَهـا
بلى ، إنّهـا يا أبـا واصل مصاعـيبُ تُرهِب أقتابَهـا
وأنّ الحيـاةَ التي أخطـأتْك وأخطَأْتَهـا ، سمَّرت بابَهـا
زحـفتَ إليها ، على ركبتيك وأعـدَدتَ للقـوس نُشّابَهـا
فهـا أنتَ في وحلهـا . حيّـةٌ على جسمهـا سلّطتْ نابَهـا
خسرتَ الشّيوخة ، بعد الشباب وكم خزيـةٍ كنت كسّابَهـا

* * *

(١) الحوبة : الإثم .

دواعي الهوى ، يا دواعي الهوى　　جَفَوْنا ، ولم نألُ ، أصحابَها
أيرقصُ شيخُكِ بين الظباء　　نديماً ، يعاقرُ أسرابَها ؟
ويُسرِجُ فروتَه للصّغار　　ليغسِلَ بالمال ما شابَها ؟
تخيَّرَ غايتَه ، وانتهى　　إليها ، فكحَّلَ أهدابَها
وقدَّمها هِبةً تُشتَهى　　وأثقلَ بالخير .. أوطابَها
وما الخيرُ عند أبي واصل　　سوى نعجةٍ .. كان حَلّابَها
ففاءتْ إليه ، وقد أنجبتْ　　فقاسمها الشّيخُ إنجابَها

* * *

هَلَا بقفاكَ أبا واصل　　لدنيا ، تُواكِبُ أقطابَها
ومرحَى لأيامك الباقياتِ　　تَهزُّ المَواطِرُ ميزابَها
ذممتَ لماضيكَ إيجازَها　　فها أنتَ تحمَدُ إطنابَها

* * *

عرفْنا بطونَ الهوى والحرام　　فما نُنكِرُ ، الغدَ ، إخصابَها
وأعراقُها فيك أعرافُها　　ذيولٌ توشّح أنسابَها
وتسري بها في تخوم (البلاد)　　نواصبَ ، تكفر أنصابَها

* * *

ألا عاشَ فينا أبو واصل　　حياةَ ذوي الفضل أوشابَها
يعاطي العشيرةَ أيامَها　　ويَروي المضاربَ آدابَها ؟
ويكشفُ للنّجم عن إبطِه　　إذا نافر النجمَ ، أو نابَها ؟

فيُـــخلي الهواءُ له دربَـــــه	وتَحني الشوامخُ أصلابَها ؟
فيَـــمضي لِطيّتـــه راشداً	جهيرَ العقيرة ، خلّابَهــا
يقُـــود الطبيعـــةَ من ذيلهـــا	قويَّ العـــزيمة ، غلّابَهـــا
فما قادهـا في غبـار الزمان	غنـــيٌّ ، تحسَّسَ أبوابَهـــا
كما كان في فقـره حيث كان	يدافعُ عن ذقنـه ، عابَهـــا
ولكنّــه زمـــنٌ كافـــرٌ	يراجـع في توبـةٍ تابَهـــا

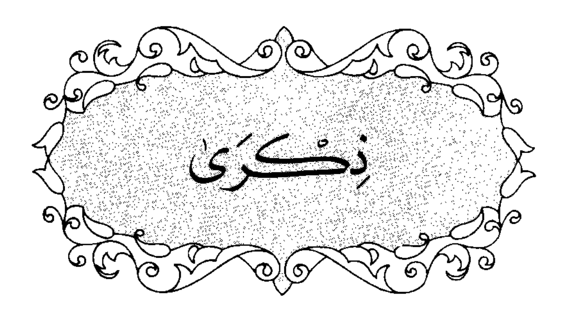
* * *

هَيَا مُلهياتِ الغِنـىَ والشّراب	حَسِبْنَ المعـارِكَ أسلابَهـــا
إذا هَزَأَ المجدُ بالأدعيــــاء	وأنكـرَتِ الأرضُ أوشابَهـــا
وقامت على مشهدِ الضاحكين	بطـونٌ تغامِـزُ أعقابَهـــا
أَلِكْــنَ أبـا واصل مَربِطـاً	يَقيـه الحيـاةَ وآرابَهـــا
فما كان مذهبُـــه يومَ راح	إلى بُغيـةٍ لَمَّ أسبابَهَـــا
ولم تكُ أوبتُـه حيـنَ آبَ	سوى خيبةٍ عاقرٍ خابَهـــا
على أنّها خطـوةٌ في الظّلام	أدارت ، على اللصّ ، أثوابَها
فإنْ سَتَـرَ اللّيـلُ آثارَهـا	فقـد فضحَ الصّبحُ جلّابَها
ويا ليتَها لطُفَتْ في العِقاب	بِلحيتِه .. والـذي انتابَهـا
وحسْبُك مزرأةً في اللّحـى	ذقـونٌ تُسوّدُ أذنابَهـــا
وأنّ رؤوساً أدلّت بها	تَدوسُ – لتشبعَ – ألبابَها

* * *

نعم ، إنّها وثَبـاتُ الهوانِ تَشَمُّ ، فتعرفُ ، وثّابَهـا
فيا قصةَ الوحل أين الختامُ بديلٌ لمن جُرِّعوا صابَهـا
أليس سوى أنّ تلك اللّحى تعيشُ لتعرضَ ألعابَهَـا ؟
أسى العقلِ في رَوْحَةٍ راحَها أسى العقل في أَوْبَةٍ آبَهـا





ذِكْرَى

سألتُ اللّيلَ عن عهدِ التي أهوى وذِكراها

وعن مَسْراه عَبْرَ الصَّمت ، مبتهلاً لِمسراها

وعن نَجواه في نجوايَ ، ترتقبانِ مَرآها

وعن أعيادِنا احتفلت ، مفاتنُها بلُقياها

وعن مَسرى خُطاها في الطّريق تدورُ عيناها

روَاها الرَّمل بالشّاطىء للموج ، فغنّاها

تساجَلَ حولَها النّسماتُ ، أسماعاً وأفواها

وأطرقَ – لا يجيبُ اللّيل . في مأساتِه تاها

وقال الصَّمتُ ، ما أشجَتْ به الكلماتُ معناها

بلى يا ليلُ ، إنَّ الحبَّ أشقانا وأشقاها

وعاقت خَطوَها الأقدارُ عن محراب مغناها

تُضيء بظلّهِ الصّلواتُ مشرقةً محيّاها

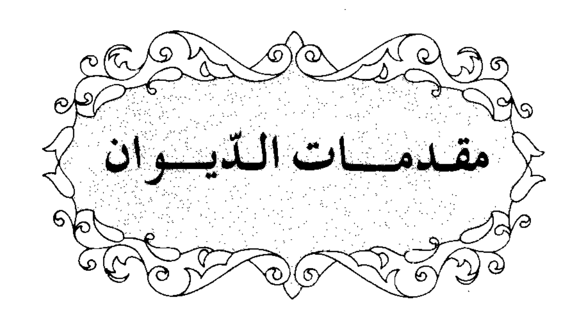
وتُفعِم جوَّه القدسيَّ بالترتيل عيناها

وتَفرِشُ أرضَه بالزّهر في الأسحار خدّاها

لقد ذهبَتْ ، وقام الصَّمتُ يُجْهِشُ في مُصلّاها

* * *





مقدمات الدّيوان

الغزل

عنوان القصيدة	مطلـــع القصيـــدة	الصفحة

عنوان القصيدة	مطلع القصيدة	الصفحة
الربيع الدائم	لا تقولي : مضى الربيع وولّى	٧٩
القلب الخائف	قلبي يحدثني ، ويا لمرارة الذكرى	٨٠
قصيدة لم تتمّ	كلّ قلب مقيَّد بهواه	٨٣
سمراء	الحب في عينيك ، يا سمراء ، عاصفةٌ تَروع	٨٤
نهاية	لا تقل كانت ظنونا	٨٦
الماضي الحائل	سِرتُ في ذات مساء شاحب	٨٧
كفّارة	حبيبتي قلنا .. وأكثرنا	٨٩
أنتِ	أنتِ التي أيقظتِ قلبي	٩٠
مأساة	لستُ أشكو منكِ	٩٢
اذرفي الدّمع	اذرفي الدمعَ على ماضيك ، فالدمع عقاب	٩٤
عَودة	عدتِ بعد النّأي الطويل .. نعم عدتِ	٩٥
يا حِسَان	العمر ساعاته ثوان	٩٨
صَحْوة	أمّا أنا فقد انتهيتُ	٩٩
رحلة بلا رفيق	سعاد .. يا أنشودةَ الربيع	١٠٢
العتاب المرّ	اختلفنا .. واتفقنا	١٠٧
لقاء الغرباء	التقينا .. وافترقنا	١١٠
لقاء .. في لقاء	أنتِ ؟ ورانَ الشّك على نفسي	١١٥
مُحال	تعبتُ ، يا حبيبتي ، تعبتُ	١١٨
فَراش .. وجليد	هاجرتي ! لو كنت تسمعين	١٢٠
حبيبتي ! حَنان	حبيبتي ! حنان ! هل بلغ الصّمتُ بنا	١٢٤
عندما تتكلم		
الجِراح	هل قلتِ : أنتَ ؟ ومن أنا ؟	١٢٥
إيزيس	إيزيس ! يا أسطورة الخيال	١٢٧
كبرياء	متى كنّا هنا ؟ قولي متى كنّا ؟	١٣٠

عنوان القصيدة	مطلع القصيدة	الصفحة
الدنيا	لغايةِ أمره يَمضي القَنوع	١٧٩
ليت العقولَ سَواء	كِلا طرفيها في الغموض سواء	١٧٩
نهايات	علّلتُ عجزي بأنّه الوَرَع	١٨٠
رؤى	ألا حبّذا كأسُ المدامة لو تسلي	١٨٤
أحلام	ومضَينا نَنشد الحقَّ فأوهانا الطّلاب	١٨٥
أبيس	ما اصطباري على الأسى وثَوائي	١٨٦
هذا العيد	هذا هلال العيد أشرَقَ فاغتبط	٢٠٠
بين الكهولة والصبا	شقيتُ بها بين الكهولة والصِّبا	٢٠١
ماذا تقول شجرة لأختها	أكذا نحن ، حيث نحن ، مقيمان على الخسف	٢٠٣
قريتنا	قريتنا تفيض بالسَّماح	٢٠٧
قلانس	للهِ كم تُخفي الملابس	٢٠٨
صخرتنا السمراء	مالي أتحامل مكفوفَ الخطوات	٢١١
التاريخ بلغة الأساطير	قبر .... وقبور	٢١٤
الطّريق	أتقول : قد طال الطّريق ؟	٢٢١
الربيع	تنّهد الربيع ملءَ صدره	٢٢٧
ثمن الحريّة	أنا حرّ ... أنا حرّ	٢٣٢
الكلمة الأخيرة	كانت آمالي فيكِ	٢٣٧
مرحباً بالثوار	الماضي .. صوتٌ يهتف بي	٢٤٠
يا رياح	اِصفقي يا رياح .. دونيَ بابي	٢٤٣
ماذا أقول ؟	ماذا أقول ؟؟ وكم أقول !	٢٤٤

الملاحم

المتنوعات

★ ★ ★

ديوان
حمزة شحاتة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

دار الأصفهاني للطباعة بجدة
رقم الترخيص ١٨ ص - ١٣٩٣/٤/٥هـ